نور الإسلام
وأباطيل الإستشراق

تأليف
د. فاطمة هدى نجا

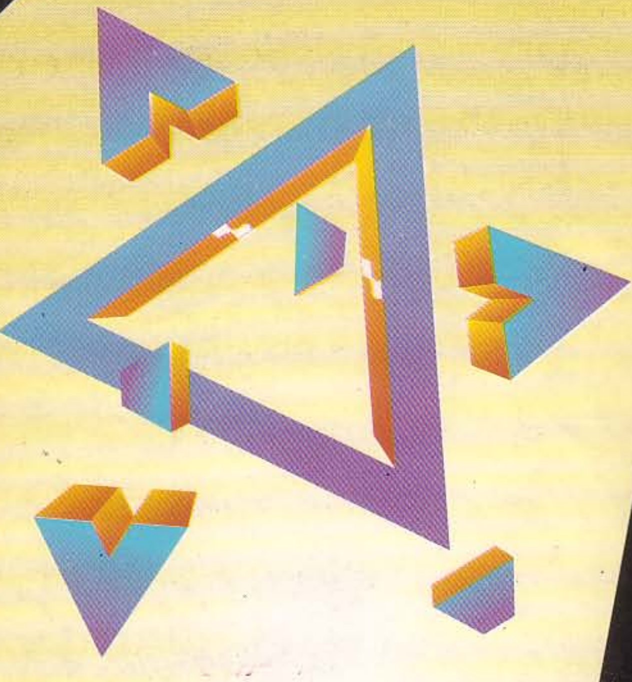

دار الإيمان
طرابلس - لبنان

http://kotob.has.it

نور الاسلام
واباطيل الاستشراق

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

http://kotob.has.it

نور الاسلام
واباطيل الاستشراق

الدكتورة
فاطمة هدى نجا

دار الإيمان
طرابلس - لبنان

http://kotob.has.it

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة
الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الذين ضلّلتهم موجات الغزو الفكري الإستعماري من المتغربين من أبناء إسلامنا الحنيف، فظلموا أنفسهم بمفهومهم الديني والتاريخي المغلوط.

إلى الباحثين عن الحقيقة الدينية والتاريخية الإسلامية المختفية في دهاليز المستشرقين والمبشرين والمستعمرين ومن والاهم، والموجودة بشكل واضح لا لبس فيه ولا التواء في قرآننا العظيم وسنّة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وتاريخنا الناصع من مصادرنا الإسلامية الحبيبة.

إلى المؤمنين المجاهدين الذين استرخصوا الأرواح وأحبوا الشهادة في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين.

إلى السائرين على درب الإيمان.

إلى أبنائي : إحسان، محمود، سامر.

إلى إخوتي المؤمنين في جميع أنحاء العالم أهدي نور الإسلام وأباطيل الإستشراق.

المؤلفة

د. فاطمة هدى نجا

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً. أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وفرّق به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء الله وأعداء الله. فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان، ليكون فارقاً بين الحق والباطل، والسعداء والأشقياء، وجعله برحمته هدى للناس، وأنزله شفاء للصدور، وشفاء للأبدان، وأخبر أنه لا ريب فيه ولا شك؛ فمن حكم به عدل ومن قال به صدق، ومن تدبّره هُدي إلى صراط مستقيم وبعد:

فإن لكل أمة تاريخاً تسجله لأبنائها من منطلق عقيدتها، وواقع حياتها، وتدرِّسه لهم ليكون ناصعاً منسجماً مع ما تتمنى تعليمه لأبنائها، وما تريد أن تنشأ عليه أجيالها في المستقبل.

http://kotob.has.it

هذا بالنسبة إلى كل أمم الأرض، إلا الأمة الإسلامية الحبيبة الغالية، فإن تاريخها قد لعبت فيه أحياناً الأيدي المنحرفة عن جادة الحق في الماضي، وحرَّفته أقلام المستعمرين والمستشرقين وأنصارهما من المتغربين في الحاضر، حتى غدا تاريخاً مشوَّهاً لا يليق بأمتنا الإسلامية الخالدة، ولا يمت بأي صلة لتاريخنا الإسلامي الحقيقي.

فلقد ابتُلي المسلمون بالمستشرقين، والإرساليات، والإستعمار الغاشم الكافر في الماضي القريب، واحتل هذا الثالوث المقيت ديار الإسلام، في غفلة من أهلها، فلم يدع دعامة من دعائم الحياة الإسلامية إلا زلزلها وزعزعها، أو وضع الألغام من تحتها، لعلّها تنفجر يوماً ما، فتأتي عليها من القواعد. وعندما حمل الإستعمار العسكري والسياسي عصاه ورحل، كان قد ترك وراءه آثاره وبصماته في جنبات الحياة الدينية، والتشريعية، والفكرية، والخلقية، والعملية، والعلمية، والتاريخية مستعيناً بالإرساليات والمستشرقين.

لقد ترك وراءه رواسب الغزو الفكري والثقافي، الذي عمل عمله في عقول الأجيال الناشئة من أبناء الأمة الإسلامية، وبخاصة الذين لم يتح لهم أن يتثقفوا بالثقافة الإسلامية.

لقد غيّر هذا الغزو المخطط المدروس، المكوّن من الثالوث «الإستشراق، الإستعمار، الإرساليات»، كثيراً من المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وأحلَّ محلها مفاهيم غربية دخيلة. وما لم يستطع تغييره من القيم والأفكار، أعمل فيه معول التشكيك والبلبلة، حتى تفقد الأمة ثقتها بذاتها وبدينها وبتراثها، وبتاريخها، وتصبح أمة بلا أساس، ولا جذور، وبذلك يسهل على أعدائها تسييرها إلى حيث يريدون، فإن أبت حطّموها بغير جهد كبير.

وتفصيل ذلك أنه عندما أهمل المسلمون دينهم، وأخذت الدنيا طريقها بين صفوفهم، أصاب المسلمين ضعف وانقسام وانحلال، أسدل الستار بعضاً من الوقت على عظمة المسلمين.

http://kotob.has.it

وكان ضعف المسلمين فرصة لأعدائهم الأوروبيين خاصة، حيث بدأت الهجمات المعادية للإسلام. ولعل أشنع هذه الهجمات ما عرف في التاريخ الإسلامي بالحروب الصليبية التي استغرقت قرنين من الزمن، أصاب فيها العالم الإسلامي خسائر فادحة في جميع المجالات. وظل الأمر كذلك حتى شاء الله وبعث في المسلمين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأخلصوا للإسلام والمسلمين، وجاهدوا في سبيل الله، جهاداً صادقاً، أدى إلى اندحار الصليبيين الغاشمين، ثم إجلائهم نهائياً عن ديارنا المقدسة الحبيبة الغالية، التي أعزّها الله بالإسلام والمسلمين.

وبعد انتهاء الحروب الصليبية بالفشل الذريع من الناحية العسكرية، والسياسية؛ لم ينقطع تفكير الغرب من الإنتقام من الإسلام الظافر وأهله بطرق أخرى. فكانت الطريقة المثلى لذلك، هي دراسة تاريخ الإسلام ونقده وتشويهه، رتشويه القرآن الكريم، والسيرة النبوية العطرة. ثم نشأت فكرة الإستيلاء على البلاد الإسلامية عن طريق القوّة والغلبة حين بدأ العالم اسلامي يضعف دينياً، ثم يتدهور سياسياً وعسكرياً وثقافياً واقتصادياً.

وجاء القرن الثاني عشر هـ/ الثامن عشر م حيث بدأ الغرب يسطو مرة بعد أخرى، على بلد بعد بلد من العالم الإسلامي. وما كاد الغرب ينتهي من استيلائه على أكثر أقطار عالمنا الإسلامي، حتى بدأت الدراسات الغربية المسمومة عن الإسلام وتاريخه المشوّه تنمو وتتكاثر، بقصد تبرير سياستهم الإستعمارية نحو هذه الشعوب، وقد تم لهم في القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر م دراسة التراث الإسلامي، ثم كتابته مشوّهاً فاسداً من جميع نواحيه الدينية والتاريخية والحضارية؛ وهذا ألحق التشويه والتحريف بتاريخنا الإسلامي المشرِّف، حين أرَّخ الغربيون والمستشرقون العفنون، تاريخنا الإسلامي الناصع المشرق.

ولقد ركَّزت جهود معظم الكتاب والمؤرخين المحدثين خاصة سواء في العالم الإسلامي، أم في الغرب الأوروبي، على الجوانب السلبية من تاريخنا، وأظهرت المساوىء دون المحاسن. ويرجع ذلك نتيجة لجهالة الكتاب والمؤرخين،

http://kotob.has.it

لاعتمادهم في الكتابة على مراجع أجنبية تتكلم بلسان الخصم، فهي غير صادقة، بل هي تكتب لتثير الكره والإشمئزاز وعدم حب الإنتماء لذلك التاريخ

ونحن نعرف أن الأمة القوية تحاول أن تفرض تاريخها ولغتها على الأمم الضعيفة، أو التي استعمرتها وأخضعتها. وهذا ما فعلته دول أوروبا بعد استعمارها لأكثر الشعوب الإسلامية في القرن الماضي والحاضر؛ فقد فرضت تاريخها عليها، كما حاولت فرض لغتها أيضاً، إلا أن وجود القرآن الكريم حال دون ذلك بالنسبة إلى اللغة. أما التاريخ فقد بقي يدرَّس حتى بعد زوال الإستعمار في البلدان الإسلامية، بل وحتى يعلَّم في أكثر بلدان العالم من وجهة النظر الأوروبية، وحتى التاريخ المحلي يُعطى وللأسف حتى اليوم، من وجهة نظر أوروبا. وأصبح تاريخ أوروبا عالمياً حسب مصطلحهم، لأن أكثر الدارسين في بلاد المسلمين، كانوا يتجهون إلى أوروبا يتلقون فيها العلم، ويأخذون منها التوجيه، ومن بين ذلك مادة التاريخ، التي حرص عليها الأروبيون، وما زالوا، حرصاً شديداً، وحرصوا على توجيهها حسب وجهة نظرهم ومنطلقهم الخاص، وعندما يعود هؤلاء الدارسون إلى مناطقهم التي خرجوا منها، فإنهم يسجلون ما تعلَّموا، ويدِّرسون ما أخذوا وما نهلوا، وينشأ الجيل بعد الجيل، على هذا التوجيه الخاطىء من تاريخنا الإسلامي الحبيب، وتسطر الكتب، وتصبح مصادر ومراجع لكل باحث جديد.

ومن جملة الأسباب التي أدت إلى هذا الإنحراف، والتفكير غير السليم أيضاً، عند مؤرخي الشرق المحدثين، تبعيتهم الفكرية للأقطار والمدارس الإرسالية التي تعلموا ودرسوا فيها، أو لارتباطاتهم الحزبية الباطلة، ومبادئهم الهدامة.

ولهذا نجد أنه عبثت بتاريخنا أيد خبيثة، كما ذكرنا، ودوَّنته أخرى غير أمينة، تشوه تاريخ هذه الأمة، وتظهر التاريخ الإسلامي بصورة قاتمة، وتهتز صور أجمل شخصياته الدينية والجهادية والبطولية.

وحين نقرأ التاريخ الذي يتعلمه أبناؤنا ويدرُسونه في المدارس والجامعات، نرى كيف يقف المسلم أمام تاريخه المدوَّن والمشوَّه من قبل المستشرقين والمتغربين، مشمئزاً خجلاً، مطأطىء الرأس؛ لا يدري كيف يوفِّق بين ما يعرفه عن

http://kotob.has.it

حقيقة نزول القرآن الكريم منجماً على الرسول الحبيب صلوات الله عليه وسلامه عليه، وما يعرفة عن الرسول ﷺ بأنه وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وما يعرفه عن سيرة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وما يعرفه عن تمسك الصحابة، رضوان الله عليهم، والتابعين وتابعيهم بهذا الدين الحنيف، وتفانيهم في خدمته على كافة المستويات، وبين الصور القاتمة المظلمة في صفحات تاريخنا المشوَّه بأقلام الأعداء، ومن سار على دربهم، فيقف هذا الموقف الذي لا يليق برجل العقيدة في حال من الأحوال، ولم تبدأ الأقلام المؤمنة بعد، كما ينبغي إلا نادراً، تخط التاريخ الإسلامي بأحداثه الحقيقية.

لذلك رأيت من واجبي الديني أن أشرع في إخراج هذا الكتاب تحت عنوان: «نور الإسلام وأباطيل الإستشراق» ليرى القارىء نور الإسلام الحقيقي، ويعرف الأباطيل التي يحاول المستشرقون زرعها في قلب أمتنا الإسلامية الخالدة حتى قيام الساعة «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»[1].

والحق الذي جاء به الإسلام بطريقة فذَّة كاملة، لا بد أن يتفق مع عناصر الحق الموجودة لدى المفاهيم الإنسانية، ويختلف مع عناصر الباطل الموجودة لديها؛ فما كان من لقاء بينه وبينها، فهو اتفاق في الحق، وما كان من افتراق بينه وبينها فهو اختلاف بين الحق الذي جاء هو به، والباطل الذي أخذت هي به.

ويتكون هذا الكتاب من تسعة فصول:

الفصل الأول : تعريف الإستشراق، مع نبذة مختصرة عن كيفية وصول حضارتنا وثقافتنا العربية العالمية إلى أوروبا في عصورها المظلمة.

الفصل الثاني : تاريخ الإستشراق.

الفصل الثالث : دوافع الإستشراق وأهدافه.

---

(١) سورة الإسراء، آية ٨١.

http://kotob.has.it

الفصل الرابع : المستشرقون والإسلام: دوافع، تشكيك، أهداف.
الفصل الخامس : أنشطة المستشرقين لتحقيق أهدافهم.
الفصل السادس : المستشرقون والمرأة المسلمة.
الفصل السابع : الإستشراق واللغة العربية الفصحى.
الفصل الثامن : كيف نعود إلى إحياء تراثنا وثقافتنا بأقلامنا العربية.
الفصل التاسع : ما هي أهم الخطوات التي علينا اتخاذها إزاء الإستشراق.

مع خاتمة وملحق يحوي ٤ جداول هي، جدول رقم ١ وفيه: «المستشرقون المعاصرون»، وجدول رقم ٢ وفيه «الخطرون من المستشرقين»، وجدول رقم ٣ وفيه «بعض الكتب الخطيرة»، وجدول رقم ٤ وفيه «أهم المجلات التي يصدرونها.

هذا وأرجو أن تكون هذه المحاولة المتواضعة بداية لجهود أعمق وأشمل في مجال البحث والدراسة، وأسأل الله تعالى أن يحل عقدة من لساني وقلمي.

كما أرجو أن يتخذ منه المشتغلون بالتاريخ علامات على الطريق، فيشمروا عن ساعد الجد، ليخلصوا تاريخ المسلمين من عبث العابثين وضلالات المغرضين. فالكتاب ما هو إلا ضوء مصباح، ينير لهم طريق البحث والتنقيب والدرس، للوصول إلى الغاية المنشودة.

وأحمد الله لما صادفني من التوفيق فيما حاولت. من الله الهدى، وبه التوفيق، وإليه يرجع الأمر كله.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، وأن ينفع الإسلام بنا، وأن يعيد أمة القرآن الكريم إلى سابق عهدها، وقديم مجدها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أسأله تبارك وتعالى أن يجزيني على قدر إخلاصي، وحسن نيتي، وحبي للحقيقة الدينية، وتحمسي لإظهارها خالية من كل زيف، مبرأة من كل غرض.

http://kotob.has.it

كما أتمنى من الله جل وعلا أن يوفقني للقيام بهذا العمل، على أحسن وجه يرضيه، ويمنحني به رضوانه في الحياة الدنيا والآخرة. وأدعو بالخير والرضوان من الله، لمن دعا لي بخير في ظهر الغيب، والله ولي التوفيق، وهو المستعان، له الحمد في الأولى والآخرة، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلفة

طرابلس - رمضان ١٤١٣

د. فاطمة هدى نجا

http://kotob.has.it

الفصل الأول

ما هو الإستشراق؟ وكيف وصلت الحضارة والثقافة العربية العالمية إلى أوروبا في عصورها الوسطى المظلمة؟

ما هو الإستشراق؟

يؤخذ الإستشراق عادة بعدة معانٍ متداخلة ومتكاملة؛ ولعل أهم معنى للكلمة هو المعنى العلمي الذي يقول: الإستشراق تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين: أديانهم، وتاريخهم، وشعوبهم، ولغاتهم، وحضارتهم، وأوضاعهم الإجتماعية، وبلدانهم، وسائر أراضيهم، وما فيها من كنوز وخيرات، وكل ما يتعلق بهم[1].

فالإستشراق إذن هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي[2]. وكلمة «مستشرق» بالمعنى العام إذن، تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، في أديانه ولغاته وآدابه وتاريخه وحضارته الخ.

وكان هدف الغربيين من هذا الإطلاق العام، الذي يشمل كل الشرق والشرقيين، من مسلمين وغير مسلمين، أن يكون غطاء للهدف الأساسي، الذي هو

(١) حبنكة الميداني: أجنحة المكر ص ١١٨؛ مجلة الفكر العربي العدد ٣١ ص ٦٠. عائشة عبد الرحمن: تراثنا ص ٤٦ وبعدها.

(٢) راجع الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية ص: ١١.

http://kotob.has.it

دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، وذلك لخدمة أغراض التبشير من جهة، وأغراض الإستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، وكذلك لإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام، وتحطيم الأمة الإسلامية، وتجزئتها، وتفتيت وحدتها[1].

ثم توسعت الدراسات الإستشراقية بعد توسع الإستعمار الغربي في الشرق، فتناولت دراسة جميع ديانات الشرق، وعاداته، وحضارته، وتاريخه، وجغرافيته، ولغاته وكل ما يتعلق به. وأصبح المستشرقون يقومون بالدراسات الإستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراساتهم ووصاياهم ونصائحهم للمبشرين بغية تحقيق أهداف التبشير، وللدوائر الإستعمارية بغية تحقيق أهداف الإستعمار. وكان كثير من المستشرقين قساوسة ورهبان منتظمون في السلك الكنسي، وهم بمقتضى مهنتهم أصحاب مهمات تبشيرية، وآخرون منهم موظفون ببلدانهم في الدوائر السياسية والإدارية المختصة بشؤون الإستعمار، بشكل مستشارين، أو باحثين أو نحو ذلك. كما دخل في الإستشراق يهود كثيرون، ينافقون النصارى، ويخدمون سراً أهدافاً يهودية ضمن المخطط اليهودي العام. وللأمانة العلمية هناك نفر قليل جداً، عُني بالدراسات الإستشراقية، رغبة في البحث العلمي، البحث المجرَّد، دون أن يكون مدفوعاً بدافع تبشيري، أو دافع استعماري. وكان من بعض هؤلاء من أنصف الإسلام وكتب الحقيقة دون تحيز عن الإسلام والمسلمين؛ هؤلاء المستشرقون المنصفون كتبوا الحقيقة عن ديننا وحضارتنا في مؤلفاتهم، وأثنوا على علمائنا، ومجَّدوا تراثنا، مثل المستشرقة الألمانية المعاصرة «زيغريد هونكة» في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب». وبعض هؤلاء عرف حقيقة وجوهر الدين الإسلامي، وأنعم الله عليه نعمة الإيمان، فأسلم: مثل «ليوبولد ڤايس» الذي سمّى نفسه «محمد أسد» وألَّف كتاباً سماه «الإسلام على مفترق الطرق»، «وموريس بوكاي» الذي كتب «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم». والشهيد أحمد سامي

---

(١) للتوسع راجع ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٣٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

عبد الله الذي كتب كتاباً بعنوان: «لماذا وكيف أسلمت». هذا إلى جانب آخرين منهم: بوركهارت، وكرنكوف، وزونستين، وشنيتسر، ودينه، وفلوري، وميشو ـ بيللر، ومار مادروك، وفيلبي، وجرمانوس، والعدد العديد من البولونيين، والأحد عشر المانيًا الذين أشهروا إسلامهم في برلين وتسموا بأسمائه؛ والذين أسلموا على يد الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ومنهم الدكتورة وارزو لايان اولمانية، وقد تسمت بسامية الأزهرية، والأمريكيان: خديجة دلتك، وليورس الذي سمى نفسه محمد الأزهري، والسويسريان: جميلة زوسترنج، والبرت كادلر؛ والبريطانيون: المستشرق جونس، والصحفي لويس هارد الذي أطلق على نفسه إسم رمسيس محمد يوسف، وإيفون إيفيت كوكا وقد تسمت بإيناس غلام قاسم الخ[1]. ونحن نقدِّر لهؤلاء العلماء جهودهم العلمية العادلة، ونشكر لهم باسم العلم إخلاصهم للحقيقة، ووقوفهم في صف النزاهة العلمية، والتزامهم بالموضوعية والبعد عن الأهواء والأغراض.

ثم اتسعت الدراسات الإستشراقية لأهداف متعددة: دينية، وعلمية، واقتصادية، وسياسية، وعسكرية وغير ذلك. واحتل كثير من المستشرقين مراكز علمية هامة، في الجامعات الغربية، وأوكل إليهم في هذه الجامعات أمر منح الشرقيين في العلوم الإسلامية والعربية الشهادات العليا «الدراسات العليا (الماجستير) والدكتوراة» بغية تخريج حملة شهادات من بلدان العالم الإسلامي، طبق ما يريد المبشرون والمستعمرون. وما يزال الوضع كذلك حتى اليوم.

واستغل اليهود هذا المجال من مجالات الإستشراق استغلالاً واسعاً، حتى أمسى عدد وفير من كراسي الأستاذية للدراسات الإستشراقية في الجامعات الغربية يحتله يهود متعصبون جداً، يعملون لتحقيق أهداف يهودية، ويلبسون بين النصارى أقنعة مزوَّرة. كما أن اليهود مندسون في كل مجال من مجالات الإستشراق الأخرى سواء بأسماء يهودية أو بأسماء مستعارة حتى اليوم. والآن نعود تاريخياً إلى الوراء قليلاً لنرى:

---

(١) العقيقي: جـ ٣ ص ٦٢١.

http://kotob.has.it

كيف وصلت الحضارة والثقافة العربية العالمية إلى أوروبا في عصورها المظلمة؟

لقد بدأ اتصال غرب أوروبا بالعرب عن طريق الممتلكات العربية في أوروبا، ثم عن طريق الحروب الصليبية، وكذلك عن طريق الحج والقوافل التجارية.

لقد حققت الحضارة الإسلامية نصراً كبيراً في الغرب الأوروبي، كما حققت ذلك في الشرق الأسيوي.

ففي الأندلس وصقلية كانت ثقافة المسلمين تمتد إلى غرب أوروبا، وتنير لها السبيل في ظلمة القرون الوسطى.

لقد تم الإتصال بين غرب أوروبا وحضارة المسلمين، عن طريق ممتلكات المسلمين في القارة الأوروبية، فقد لبثوا في الأندلس زهاء ثمانمائة عام، وفي صقلية مائة وثلاثين عاماً، حيث قامت مراكز للحضارة العربية في غرب أوروبا.

فكان هذان الإقليمان بمثابة النوافذ التي أطل منها الغرب على حضارة العرب. لقد فتح العرب الأندلس، وأقاموا فيها مدّة ثمانية قرون، بلغت فيها الحضارة العربية أوجها؛ فازدهرت الحياة العلمية والأدبية ازدهاراً فنياً رائعاً راقياً.

كانت الحضارة العربية في الأندلس تشع من مراكز متعددة مثل قرطبة (Cor-dobs, Cordules) وغرناطة (Crenada, Cranats)، وطليطلة (Toledo Toletum) وإشبيلية (Sevilla, Hispalis)؛ وقد قال عنها المستر درابر أستاذ كلية نيويورك: (. . . وأول مرصد فلكي في أوروبا، هو ما أقامه المسلمون في اشبيلية باسبانيا. .»[1].

«فقرطبة» مثلاً كانت تعتبر جوهرة العالم آنذاك لكثرة معاهدها العلمية، ومراصدها الفلكية، وحركة الترجمة الناشطة بها، ومكتبتها الضخمة الزاهرة،

---

(١) مجلة العباد: عدد ٢٧ ص ١. محمد أسد [ليوبولد فايس] الإسلام ص ٥٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

ومستشفياتها العامرة، ففي القرن الرابع هـ/ العاشر م. كان بها ثلاثون ألف مسجد، وتسعمائة حمام، وسبعون مكتبة؛ وكانت مكتبة المستنصر وحدها تحوي على أكثر من مليون كتاب مخطوط. وكانت مثل هذه الحضارة تدهش أبناء أوروبا، وخاصة القادمين من أقاليمها الشمالية.

وكان العرب والمغاربة معاً مبتكروا هذه الحضارة؛ وكان الأوروبيون يطلقون عليهم المور أو الموريسيكيون (Moro, Moriscos). أما سكان الأندلس من المسيحيين، فقد تشبعوا بالحضارة العربية، حتى أنهم هجروا لغتهم الإسبانية، ليتكلموا العربية؛ فسماهم الأوروبيون بسبب ذلك بالموزاراب «Mozarabes»، وهي كلمة تعني مستعرب العربية[1]. وقد اضطر الأساقفة من رجال الدين المسيحي لذلك، إلى ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية. أما اليهود فقد استعربوا في الأندلس منذ زمن مبكر، فأخذوا لغة العرب، ولباسهم، وعاداتهم، وقاموا بدور مبكر في نقل الحضارة العربية إلى أوروبا، عن طريق الترجمة، لمعرفتهم باللغتين العربية واللاتينية، أو الإنتقال إلى بلاطات النصارى الأوروبيين. وكان الطلاب النابغون النابهون في أوروبا، يأتون إلى مراكز الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس، لينهلوا العلم من جامعاتهم الإسلامية المتفوقة، وخاصة في قرطبة واشبيلية ومالقة وغرناطة؛ ثم يعودون إلى بلادهم، يحملون أفانين من العلم والمعرفة، فانتقلت بذلك الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، وأيقظتها من سباتها، سواء في ذلك الحضارة الفكرية العلمية أو الحضارة العمرانية[2].

---

(١) للتوسع عن كل ذلك راجع:

Haskins: Studies in the history of Mediaval Science. P: 3Sqq.

Ency: (art Maures) T 3. P: 475 sqq: (art Moriscos) T 3. p: 646 etc: (art Moz arabes) T 3. p: 652 etc.

(٢) للتوسع راجع: مؤنس: فجر الأندلس ص: ٥٢٣ وما بعدها أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ ٤ ص: ١٠٥ وما بعدها أحمد أمين: ظهر الإسلام جـ ٣ ص: ٣٤ وما بعدها.

Levi-Brovencal: Histoire d'Espagne Musulmane. p: 80 etc.

لمع من حضارتنا ص: ٥٧٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

ورغم تعرض الأندلس الحبيب السليب لكثير من الحروب وغارات الإفرنج، والقوط، والفتن الداخلية، والحركات الإنفصالية في داخلها، بحيث تجزأت الخلافة فيها إلى ممالك وإمارات، فإن هذا كله لم يؤثر على الحركة العلمية فيها، بل أدى كل ذلك إلى تنافس الملوك والأمراء إلى تقريب العلماء، والأدباء، والمترجمين، وبناء دور العلم، واقتناء المكتبات الخ. فشهدت الأندلس بذلك أزهى عصورها في الحياة العلمية، والفكرية، والثقافية، وشع نورها على جميع القارة الأوروبية، التي كانت آنذاك غارقة في ظلام الجهل والتخلف. فحاولت أوروبا الوقوف على أسباب النهضة العلمية الراقية في الأندلس، وقام بعض ملوكها، وبعض رجال الكنيسة، بتشجيع العلماء وإرسالهم إلى مدن الحضارة في الأندلس للدراسة والتخصص فيها، والوقوف عن كثب على مدى التقدم العلمي في الأندلس. وتعلم هؤلاء اللغة العربية ليستطيعوا فهم العلوم، وليقوموا فيما بعد مع غيرهم بحركة الترجمة إلى اللغات الأوروبية.

وهكذا كتب المؤرخون الأوروبيون والمستشرقون، الكثير عن مدن الأندلس، ومظاهر الحضارة فيها. فالآثار العمرانية الضخمة فيها، كانت تدل على مدى التقدم الحضاري في الهندسة المعمارية عند العرب مثل قصر الحمراء، وقصور غرناطة، وإشبيلية، وجامع قرطبة وغيرها من الصروح المعمارية الضخمة، التي لا تزال حتى اليوم موضع إعجاب وانبهار العالم المتمدن كله، بفخامتها، وروعة بنائها، وزخرفتها، وفنها الهندسي الراقي؛ إلى جانب الحركة العلمية الراقية. ولما أفل نجم العرب في الأندلس، وبدأت معاقل العرب تتساقط في أيدي الفرنجة، نجد أن الملوك الأسبان يغترفون من حضارة المسلمين، ويأخذون بمظاهرها، ولا يستطيعون الوقوف أمامها لتقدمها؛ فكان الذين ينقلونها يعرفون بأسماء أشهرها: المدجنون (Mudejares) «وهي من دجن بالمكان أي أقام فيها»؛ أو المداخلة؛ أو المهاجرون؛ أو المعاهدون، أو حتى الموريسيكيون، وهم المسلمون الذين بقوا بعد حركة الإسترداد، وإن كان بعضهم قد تنصر مكرها، وهذا حرام بالطبع، وذلك لأن الأسبان أجبروهم على التنصر أو الرمي في البحر؛ وقد رمي في البحر أكثر من ثلاثة ملايين

http://kotob.has.it

مسلم، وهجر الكثير إلى المغرب العربي[1]. ويمكننا المقارنة بين ما فعله الأسبان بعد الإسترداد، وما فعله السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي بعد انتصاره في معركة «حطين» الشهيرة، ونترك التسجيل للمؤرخين الأوروبيين أنفسهم في ذلك[2].

وكان معظم هؤلاء قد تجمع في «طليطلة»، وهي مركز ضخم من مراكز الفكر العربي، حيث أقبل الطلاب اللاتين، إلى هذه المدينة العريقة، يدرسون الحضارة العربية، ويقتفون آثارها[3]. وبدأ هذا الإتصال على نطاق فرديّ، فأقبل إلى المدينة علماء من أمثال اديلارد باث (Adelard of bath) وهو من علماء القرن السادس هـ/ الثاني عشر م، وقد ترجم عدّة مخطوطات وكتب عن العربية، وغيره.

واستفاد الأوروبيون من المكتبات المنتشرة في الأندلس، فاستولوا عليها بعد انتصارهم على المسلمين، وقام العلماء والمترجمون بنسخ وترجمة الكثير من المؤلفات العربية، واستفادوا منها في دراساتهم، واعتمدوا الكثير منها للتدريس في جامعاتهم الأوروبية، ولا تزال مكتبة الأسكوريال في ضاحية مدريد، تحوي عشرات الآلاف من المخطوطات العربية في مختلف العلوم، والآداب، والفنون.

وهكذا بدأ الأروربيون يتصلون بالتراث العربي عن طريق الترجمة؛ واستعانوا في هٰذه الترجمات أيضاً باليهود، الذين كان يتقنون العربية واللاتينية.

لكن الجهود الفردية لم تلبث أن حصلت محلها جهود أوسع، وأكثر تنظيماً حين بدأت السلطات الحاكمة تنشىء معاهد للترجمة. فأنشأ كبير أساقفة طليطلة مثلاً مدرسة للترجمة، ظلت مزدهرة حتى القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، كما فتح الملك الفونسو العاشر الملقب الحكيم (Alfonso el Sabio) «٦٥١ - ٦٨٤ هـ/ ١٢٥٨ - ١٢٨٤ م» في عاصمة ملكه مدرسة للترجمة في

---

(١) للتوسع راجع فاطمة هدى نجا: لمع منن حضارتنا ص ٥٧٨ وبعدها.

(٢) للتوسع راجع مجلة الفكر العربي العدد ٣١ ص: ١١٣ وبعدها. فيليب حتي: العرب تاريخ موجز ص ٢٨ وبعدها.

(٣) Jourdan: Recherches christiques ciristiques sur l'age et l'origine des traductions latines, p: 149 etc.

http://kotob.has.it

طليطلة، جعل فيها علماء مسلمين ينقلون إلى الأسبانية أو القلطونية أو اللاتينية كتب العرب.

كما اشتهر بعض أبناء الشعوب الأروبية بعد ذلك، بنقل التراث العربي إلى لغاتهم؛ ومن أشهر هؤلاء جيرارد الكريموني (القرن ٦ هـ/١٢ م)، والبيرتوس ماجنوس «Albertus Magnus» (القرن ٧ هـ/١٣ م) وغيرهما ممن سبق ذكرهم في البحث.

وفي عام (٧١٢-٧١٣ هـ/ ١٣١١-١٣١٢ م) عقدت صلة جديدة ووثيقة، بين التراث العربي الراقي، وبين أوروبا، حين أمر البابا كليمنت الخامس بأن تنشأ استاذيات للعربية والكلدانية والعبرية، في جامعات باريس واكسفورد وروما وغيرها.

هناك نافذة أخرى أطل منها الغرب على حضارة العرب المشعة، هي جزيرة صقلية جنوب إيطاليا.

لقد فتح العرب صقلية في النصف الأول من القرن الثالث هـ/ التاسع م، على يد دولة الأغالبة العربية، التي قامت في شمال افريقيا (تونس والجزائر الحاليتين) في عهد العباسيين. فالروم اتخذوا هذه الجزيرة معقلاً لهم يهاجمون منها الأراضي الإسلامية، لذلك استولى عليها الأغالبة. ولما جاء الفاطميون، وأنشأوا خلافتهم في أرض المغرب، انتصروا على الأغالبة، وضموا بلادهم، واستولوا على صقلية أيضاً من الأغالبة؛ بل وأكدوا سيطرتهم أيضاً في جنوب إيطالية حتى روما (Roma)، وسماها العرب قلوريا، كالبريا (Callore)[٢].

وقد كان احتلال العرب لهذه البلاد الايطالية معناه أنه لا بد أن تشملها الحضارة العربية المشعة آنذاك؛ فأصبحت مسيني (Messine) وبلرم (بالرمو Palermo) وسرقوزة (سيراقيوز Siracuse)، وباري (Parie) وغيرها، مراكز للحضارة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) للتوسع راجع ابن الأثير: الكامل مجلد ٦ ص ١٥٥ وبعدها.
مجلد ٧ حوادث عام ٢٢٨ ص ٥ وما بعدها.

http://kotob.has.it

العربية المشعة في ايطاليا خاصة، وفي أوروبا عامة، بسبب وقوع هذه الجزيرة في وسط الساحل الجنوبي للقارة الأوروبية، فهي نقطة مثالية لانتقال الحضارة العربية من الشرق إلى الغرب. وقد بقي العرب في هذه الجزيرة حوالي مائة وثلاثين عاماً؛ شهدت الجزيرة خلالها، ازدهاراً كبيراً، في حياتها العمرانية والعلمية، لقد نقل إليها العرب كثيراً من أنواع الزراعات المشرقية والمتوسطية، والتي لم تكن معروفة في أوروبا، كما شيدوا فيها الصروح العمرانية من مساجد، ومستشفيات، وخانات، وحمامات، وأسواق تجارية، ومعاهد علمية، ودور كتب وغيرها.

ولما قضى النورمان (Northmen, أو Normands «وهم عنصر مسيحي فرنجي من شمال أوروبا»، على سيطرة الفاطميين في جنوب إيطالية وصقلية في القرن الخامس هـ/ الحادي عشر م[1]، نجد أنه رغم خروج العرب من الجزيرة، ظل التأثير الحضاري للعرب بارزاً في الجزيرة؛ بل إن النورمان أنفسهم تذوقوا تلك الحضارة الزاهرة، وأصبحوا عاملاً فعالاً في نشر هذه الحضارة.

فبالرغم من غزو الملوك الفرنجة النورمان سواحل افريقيا وبلاد الشام، إلا أنهم بعد ذلك أصبحت سياستهم سلمية نحو العرب. وبدأوا يتذوقون الحضارة العربية. فقد تأثر وانبهر كثير من الملوك الإفرنج الذين تعاقبوا على حكم الجزيرة فيما بعد، بالحضارة المتميزة عليهم، وهي الحضارة العربية آنذاك؛ فكان الملوك يتوجون أنفسهم بعبارة «لا إله إلا الله» ويتخذون علامة ملوك الإسلام «الحمد لله حق حمده»، ويلبسون العمائم مثل العرب، ويسلكون في قصورهم طريق ملوك المسلمين، كما كان بلاطهم يعج بالعلماء المسلمين[2]. وكان من أشهر هؤلاء الملوك الملك «رجار الثاني» (روجر الثاني، Roger II) (ت ٥٤٨ هـ/ ١١٥٢ م). فلقد كان هذا الملك معجباً بالحضارة العربية، وأراد تقليد العرب في حياتهم الإجتماعية، فكان يأكل ألوان الطعام العربي، ويلبس الأزياء العربية، ويفخر بارتداء

---

(١) ابن الأثير: الكامل مجلد ١٠ حوادث سنة ٤٨٤ هـ ص: ١٦٣ وما بعدها.

(٢) للتوسع راجع: ابن جبير: رحلة ص: ٣١٥ وما بعدها.

http://kotob.has.it

عباءة عربية، تحلى أطرافها بالكتابة العربية، ويلبس عمامة العرب، وكان يتقلد سيفاً نقشت عليه عبارات عربية؛ وكان أثاث قصره أيضاً على الطراز العربي. ليس هذا فحسب، بل إنه أيضاً «سلك طريق المسلمين من الجنائب والحجّاب، والسلاحيّة، والجنداريّة، وغير ذلك، وخالف عادة الفرنج، فإنهم لا يعرفون شيئاً منه، وجعل له ديوان المظالم تُرفع إليه شكوى المظلومين، فينصفهم ولو من ولده، وأكرم المسلمين، وقرّبهم ومنع عنهم الفرنج، فأحبّوه، وعمّر أسطولاً كبيراً. . .»، كما اشتهر هذا الملك بإعجابه بالحركة العلمية العربية، فجمع حوله مجموعة كبيرة من العلماء والأدباء والشعراء، والفلكيين والرياضيين والمهندسين والأطباء والمؤرخين والجغرافيين؛ وبذل لهم جميعاً الأموال الطائلة لتنشيط الحركة العلمية في الجزيرة.

كما كلّف مجموعة من الرسامين والرحالة، ليرسموا له خريطة العالم، واختار رئيساً على هذه المجموعة الفريدة في نوعها آنذاك، عالماً جغرافياً مغربياً كبيراً هو الشريف الإدريسي، فقام الإدريس مع هذه المجموعة العلمية وبإشرافه العلمي عليها، برحلة واسعة في العالم المعروف آنذاك، حيث كانوا يرسمون الحدود الجغرافية، ويشرحون طبيعة الأراضي التي يزورونها؛ وبعد سنوات، وبعد اكتمال هذا العمل العلمي الضخم، أصدر الإدريسي كتابه الضخم «نزهة المشتاق في اختراقه الآفاق»، وأهداه إلى روجر الثاني، وسمى كتابه الروجاري»؛ وهو عبارة عن مجلدات ضخمة، ويحتوي على خرائط ملّونة، تعد من أدقّ الخرائط التي وضعت للعالم الوسيط حتى ذلك التاريخ. كما صنع الإدريسي كرة أرضية ضخمة محلاة بالذهب.

وخلف روجر الثاني الملك غليام (William) وكان أيضاً معجباً بالحضارة العربية، فكان يرحّب بالعلماء المسلمين، ويقرأ ويكتب بالعربية الخ.

وهناك ملك ثالث من سلالتهم هو فردريك الثاني (Federigo II) (ت ٦٤٩ هـ/

---

(١) ابن الأثير: الكامل مجلد ١٠ ص: ١٩٨.

Gabrich: Federico II et la cultur a musulmane Revista storia Italiana: LXIV, p: 5 etc.

http://kotob.has.it

١٢٥٠ م)، وكان مولعاً بعلوم العرب وثقافتهم، وقد شجع الترجمة لعلوم العرب إلى اليونانية واللاتينية، أو حتى الإيطالية الدارجة، التي كانت قد بدأت في الظهور؛ وأسس جامعة في نابولي (Napoli)، كانت مهمتها نقل علوم العرب ومعارفهم، إلى العالم الغربي. وقد قامت بترجمة العديد من الكتب العربية واللاتينية؛ وقد اتهم بأنه مالأ المسلمين، عندما حضر في حملة صليبية إلى الشرق، وصالح سلطان المسلمين، مما دعا الباب إلى حرمانه[1].

وقد قال المستر درابر أستاذ كلية نيويورك: «إن أول مدرسة أنشئت للطب في أوروبا هي المدرسة التي أسسها العرب في «بالرمو» بايطاليا»[2].

ولا تزال حتى الآن في متحف مدينة بالرمو بصقلية، الكرة الأرضية التي صنعها الإدريسي، إلى جانب الكثير من الآلات الفلكية مثل الأسطرلاب، وغير ذلك من الأدوات العلمية ابتكرها العرب في مجالات الجراحة والفلك وغير ذلك.

وهكذا يتبين لنا بوضوح أن النور والإشعاع الحضاري والثقافي، الذي كان في الأندلس وصقلية، قد تسرّب إلى أوروبا التي جاورتهما، والتي كان يخيم عليها ظلام الجهل الدامس. وعن هذين الطريقين إنتقلت حضارة العرب إلى أوروبا.

هناك طريق آخر لانتقال الحضارة العربية إلى أوروبا ألا وهو الحروب الصليبية.

كانت الحروب الصليبية أيضاً، وسيلة قوية من وسائل الإتصال بين العرب وغرب أوروبا؛ وتعريف الغرب الحضارة العربية المشعة المتفوقة آنذاك. لقد فاجأ الصليبيون بلاد المسلمين بهجومهم عام ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩ م واستولوا على الرها

---

(١) ابن جبير: رحلة ص: ٣١٥ وما بعدها.
جلال مظهر: مآثر العرب على الحضارة الأوروبية، ص: ٧٥ وما بعدها.
(٢) مجلة العباد ص: ١ عدد ٢٧.

http://kotob.has.it

والساحل الشامي. وكان مما وقع في أيديهم من بلاد الشام انطاكية وطرابلس وعكا وقيسارية وبيت المقدس[1].

ودامت الحروب الصليبية نحو قرنين من الزمان (٤٩٤ ـ ٧٠١ هـ/ ١١٠٠ ـ ١٣٠٠ م)، وتعددت حملاتها؛ وتخللتها فترات سلم ومعاهدات. وكانت في نهاية الأمر فاشلة لأوروبا من الوجهة العسكرية؛ فهي انتهت آخر الأمر لصالح المسلمين، الذين وصلوا فيما بعد، بفضل فتوحات الأتراك العثمانيين إلى ضفاف الدانوب، وأسوار فينا في قلب أوروبا.

صحيح أن الحملات الصليبية إلى بلاد الشام كانت فاشلة من الوجهة العسكرية، ولكنها من نواحي العمران والثقافة، حققت نجاحاً هائلاً للتقدم الحضاري الأوروبي.

ويكفينا هنا أن نقول أن هؤلاء الفرنجة الذين احتلوا أجزاء من بلاد الشام، وجدوا فيها حضارة متفوقة أدهشتهم وبهرتهم، تفوقت في كل مجال على ما ألفوه في بلادهم، فتأثروا بهذه الحضارة، ونقلوا آثارها ومآثرها إلى بلادهم؛ ويظهر هذا في أحاديث ملوك أوروبا والرحالين منهم. وعلى العكس، فإنهم كانوا بالنسبة للمسلمين «بهائم فيهم فضيلة الشجاعة لا غير». ومما يُذكر عن جهلهم أيضاً، وقبل أن يقتبسوا من حضارتنا العربية، أنه لما فتح الإفرنج طرابلس الشام في أثناء الحروب الصليبية، أحرقوا مكتبتها بأمر الكونت «برترام سنت جيل»، وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن الكريم، فأمر بإحراق المكتبة كلها، وفيها ثلاثة ملايين مجلد[3]. وقد ذكر «أبو المحاسن» احتلال الصليبيين المتوحشين مدينة طرابلس الشام المتمدنة بقوله:

---

(١) للتوسع عن وحشية الصليبين وهمجيتهم عند احتلالهم لهذه البلاد راجع: غوستاف لوبون: حضارة العرب ص: ٣٢٠ وما بعدها. عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ص: ١١٣ وما بعدها. محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية جـ ١ ص: ٢٩٤ وما بعدها. محمد فريد أبو حديد: صلاح الدين الأيوبي سلسلة إقرأ، العدد ٨٧ ص: ٤٣ وما بعدها. ابن الفلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص: ١٣٨ وما بعدها علي حسن الخربوطلي: التاريخ الموحد للأمة العربية ص: ١٢٦.

(٢) اسامة بن منقذ: الإعتبار ص: ١٣٢.

(٣) Gibbon's: Ronman Empire II. 505.

http://kotob.has.it

«... وهجموا على طرابلس فأخذوها ونهبوا وأسروا رجالها وسبوا نساءهم وأخذوا أموالها وذخائرها، وكان فيها ما لا يحصى ولا يحصر، واقتسموها بينهم»[3].

وقد فعل الإسبان المتخلفون حضارياً، نحو ذلك بمكتبات الأندلس لما استخرجوها من أيدي المسلمين في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[1]؛ ففي عام ٩٠٥ هـ/١٤٩٩ م إنتدب الكاردينال خيمانس (Ximenez) كاهن الملكة ايزابيل زوجة فرديناند، ليتزعم حملة إكراه المسلمين على التنصر، ومصادرة الكتب العربية التي تعنى بالإسلام وحرقها. وفي قرطبة جمعت المخطوطات العربية أكواماً أضرمت النار فيها، ثم أنشىء ديوان التفتيش، وهو من الدواوين التي جاءت بالمظالم المشهورة في التاريخ[2].

لقد تأثر الصليبيون المتوحشون بعد ذلك، بحضارة ومعارف العرب العامة وعلومهم. نزلوا بلاد المسلمين غازين، ولم تكن لهم حضارة وثقافة تداني حضارة وثقافة العرب، فتعلموا كثيراً من إقامتهم في بلاد الإسلام، وتأثرت فنونهم كذلك بفنون المسلمين.

لقد وقفوا أثناء الحرب والسلم على كثير من طرق الحرب المتقدمة، وأنواع الأسلحة التي كان يستخدمها العرب، وأنواع التحصينات الدفاعية من قلاع وأبراج وأسوار وخنادق الخ؛ كما وقفوا على أنواع الزراعة والصناعة المتفوقة المنتشرة في بلاد المشرق، وشاهدوا طريقة بناء الموانىء العربية المتقدمة، وصناعة السفن الحربية، وحتى التجارية الضخمة التي تنقل البضائع المستوردة من الشرق الأقصى إلى أوروبا عن طريق المشرق العربي. فأوجد كل ذلك روح المغامرة العسكرية والتجارية؛ وقد لازمتهم هذه الروح منذ ذلك الحين، وكان لها أثرها في تطورهم ورقيهم.

---

(١) أبو المحاسن بن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ ٥ ص: ١٨٠.
Gibbon's: Roman Empire II. p: 505.

(٢) للتوسع راجع حتي: العرب تاريخ موجز ص ٢٠٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

وتأثر الصليبيون كذلك بالحياة الإجتماعية العربية، فدرس بعضهم اللغة العربية واتقنها؛ وكثير منهم ولدوا في بلاد الشام، ونشأوا متأثرين بطبيعة البلاد، وأعجبوا بطرق الحياة العربية من مسكن، وملبس، ومأكل، واستخدام أثاث مشرقي، فأقلع الإفرنج عن لباسهم الأوربي، وتعلقوا بالأزياء الوطنية الإسلامية، التي كانت أدعى إلى الراحة؛ واكتسبوا شيئاً من الذوق الشرقي في الأطعمة والأشربة، أخصّه ما يتعلق بالسكّر والتوابل. وآثروا لسكناهم البيوت الشرقية الطراز، وما فيها من ايوانات واسعة، ومياه جارية[1]. كما استفادوا من الوقوف بشكل مباشر على النهضة العلمية المزدهرة السائدة في بلاد المشرق العربي، فاستولوا على كثير من خزائن الكتب ودور العلم، إلى غير ذلك من المظاهر الحضارية؛ فمثلاً بعد احتلالهم مدينة طرابلس الشام (الحبيبة) «نهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، وغنموا من أهلها الأموال والأمتعة، وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحصى..»[2].

بعد انتصار العرب على الصليبيين في معركة حطين الشهيرة، بقيادة المجاهد صلاح الدين الأيوبي، ثم إجلائهم نهائياً عصر المماليك، عاد الصليبيون إلى بلادهم، وهم ينقلون معهم الكثير من تراث المشرق العربي.

لقد نقلوا عن طريق السلب والسرقة، الكثير من خزائن الكتب، ودور العلم إلى بلادهم، كما ترجموا الكثير من علومنا المتقدمة إلى لغاتهم المتعددة للتدريس في جامعاتهم.

كذلك نقلوا كثيراً من التقاليد، والعادات، والمظاهر، والإنطباعات العربية المشرقية، حتى أصبحت قصورهم في أوروبا صورة عن حياة المجتمع في المشرق العربي[3]. وبعضهم بقي في بلاد المشرق العربي، واستوطن ديارها، ولا يزالون

---

(١) للتوسع راجع حتي تاريخ العرب ص ٧٣٣ ـ ابراهيم الشريقي: التاريخ الإسلامي العام ص ٢١٦ وما بعدها.

(٢) ابن الأثير: الكامل حوادث سنة ٥٠٣ هـ.

(٣) Haskins: op: cit. p: 130 sqq.

http://kotob.has.it

حتى اليوم، يشهد على ذلك أسماء عائلاتهم، التي تعود إلى أصل افرنجي.

وهكذا يمكننا القول أن زحف الصليبيين إلى الشرق، كان حادثاً بالغ الأهمية في حياة الغرب المسيحي، فتح أمام جماهير أوروبا عوالم جديدة، تختلف عن عالمهم اختلافاً جذرياً في أكثر مناحي الحياة. فلم تكن الحملات الصليبية عمليات عسكرية فاشلة فحسب، بل كانت مخاضاً حضارياً وثقافياً، أخذت بعده أوروبا سمتاً جديداً في مسيرتها التاريخية؛ وانطلقت لتخط الصفحة الأولى في طريق حضارتها الحديثة، التي تدين بالشيء الكثير لما نقلته عن الشرق العربي المسلم حين احتكت به إبان الحروب الصليبية وبعدها.

لقد ظهرت آثار دهشة أوروبا من الرقي والتقدم، الذي كان يحياه مشرقنا العربي في تلك الفترة، في العدد الضخم من الرسائل والتقارير التي أرسلها الصليبيون الأول إلى أهلهم وذويهم وحكوماتهم في الغرب[1]. ويبدو أن الرسائل والتقارير لم تشبع نهم الغرب، إلى معرفة المزيد من حضارة الشرق وأحداثه، فأخذ الكثيرون، منذ الأيام الأولى للحملات الصليبية، بتدوين الكتب التي تبحث في أحداث العصر السياسية، وتصور المرحلة الحضارية والثقافية التي وصل إليهما الشرق العربي آنذاك[2].

وهكذا نرى أن الحروب الصليبية كانت حلقة وصل بين الحضارة العربية الراقية، وأوروبا في عصورها المظلمة، فكانت معبراً مهماً انتقلت منه حضارة العرب إلى أوروبا. ولكن علينا ألا ننسى إنه بعد انتهاء الحروب الصليبية بالفشل العسكري والسياسي لم ينقطع تفكير الغرب في الإنتقام من الإسلام وأهله بطرق أخرى[3].

أما المعبر الثالث لوصول الحضارة العربية الراقية، إلى أوروبا المظلمة في العصور الوسطى، فكان عن طريق القوافل التجارية، والتبادل التجاري بين الشرق

---

(١) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٥٨٧ وبعدها.

(٢) للتوسع راجع حاطوم: المدخل إلى التاريخ ص ٤٠٨ وبعدها.

(٣) مجلة الأزهر مجلد ٢٤ جـ ٨، شعبان ١٣٧٢ هـ.

http://kotob.has.it

والغرب؛ وعن طريق الحجاج إلى بيت المقدس قبل وبعد الحروب الصليبية.

فالمشرق العربي بموقعه المتوسط بين أوروبا والشرق الأقصى، يعتبر همزة وصل، ومحطة تجارية تمر عبره تجارات الغرب والشرق[1].

والعالم العربي بموقعه الجغرافي الإستراتيجي الممتاز، يسيطر على معظم معابر التجارة البرية والبحرية، فكان لا بد للقوافل التجارية القادمة من بلاد الشرق الأقصى، والمتوجهة إلى أوروبا، وبالعكس، من أن تمر بالبلاد العربية. والبلاد الأوروبية آنذاك كانت تشهد طلباً واسعاً للحصول على منتجات الشرق، وخاصة الأفاويه والتوابل، لحاجة أوروبا لهذه المادة الحرارية المهمة؛ فكانت انكلترا مثلاً تعرض المنسوجات الصوفية والقصدير، مقابل منتجات الشرق؛ وقد أصبحت تجارة التوابل من أهم التجارات العالمية في العصور الوسطى، فنشأت من أجل هذه التجارة مؤسسات وشركات، وأساطيل تجارية في أوروبا، وخاصة في مدن إيطاليا مثل: نابلي (Nopli)، وبيزة (Piza)، وجنوة (Genova)، والبندقية (Venezia)، وفلورنسا (Firenze) وهي المدن التي ظهرت فيها حركة النهضة الأوروبية، التي مهّدت للحضارة الحديثة في أوروبا[2].

كما نشأت طبقة من التجار، والمصدرين، والمنخبين والسماسرة، والعملاء وغيرهم. وكانت هذه التجارة بين أوروبا والهند تكسب بلاد المشرق العربي كثيراً من الدخول (الأموال) عن طريق العبور في أراضيها.

وكان هؤلاء التجار في معظمهم يترددون في رحلاتهم بين الشرق والغرب نحو تأمين القوافل التجارية، فيعبرون المحطات البرية، والموانيء البحرية العربية، ويتعاملون مع العرب المتحضرين؛ وكانوا يتأثرون بمظاهر الحضارة عند العرب، كما كان الحجاج الغربيون المتدينون أيضاً يعودون بعد الحج إلى بيت المقدس؛

(١) للتوسع راجع: لوبون: حضارة العرب ص ٥٧٦ وبعدها.
الباز العريني: الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى ص ١٢٠ وبعدها.
(٢) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٥٨٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

وينقلون إلى أوروبا مع جماعة التجار جميع مظاهر حضارة المسلمين، وإن كان هذا النقل أغلبه بالمشاهدة العينية.

وهكذا نرى أن مدن أوروبا التجارية وخاصة مدن ايطالية، نشطت تجارتها مع البلاد العربية المتوسطية؛ وهذه المدن هي (بيزة ونابلي وجنوة والبندقية وفلورنسا) نقلت جميع مظاهر حضارة العرب إلى أوروبا، إلى جانب الحجاج الغربيين؛ فهذا كله ساعد على نقل الحضارة العربية الزاهرة إلى أوروبا[1].

بعد هذا العرض السريع نستطيع أن نقول بأن من هذه الموارد استقى الغرب منذ القرنين ٦ ـ ٧ هـ/ ١٢ ـ ١٣ م، عندما أفاق أهل الغرب من ظلمة العصور الوسطى، ليفتحوا أعينهم على حضارة عربية شامخة البنيان، لم تترك علماً، ولا فناً، ولا ضرباً من ضروب المعرفة الإنسانية إلا أسهمت وشاركت فيه بجديد وابتكار، فنشطت نشاطاً كبيراً حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، ولم يترك الأوروبيون في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر ميلادي، كتاباً عربياً في العلوم أو الآداب، أو الفنون إلا تلقفوه في نهم وشراهة، وعكفوا على ترجمته إلى اللاتينية وغيرها؛ ليتعلموا فيها، ويتتلمذوا على أيدي مؤلفيها من أعلام الفكر العربي[2].

وعلى هذا الأساس قامت النهضة الأوروبية في القرن التاسع هجري/الخامس عشر الميلادي وهي النهضة التي استمرت في تطور وتقدم إلى أن بلغت ما بلغته اليوم من تفوق وازدهار.

لقد فاض سيل المعارف الأندلسية، وخاصة في القرن السادس هـ/ الثاني عشر م، بحيث طما على أوروبا نفسها. وقد لعبت افريقيا الشمالية الغربية والأندلس، وبالأخص «طليطلة». حيث عاش المترجمون يوحنا الإشبيلي، وجيرارد

---

(١) للتوسع راجع ارنست باركر: الحروب الصليبية ص ١٣ وبعدها.

(٢) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٥٨٩.

http://kotob.has.it

الكريموني وميخائيل سكوت دوراً هاماً في حركة انتقال الطب العربي المتقدم إلى أوروبا المظلمة آنذاك. وكان الرائد في هذه الحركة الهامة، حركة إيقاف الغرب على علوم العرب بواسطة الترجمات اللاتينية قسطنطين الإفريقي (المتوفي حوالي ٤٨١ هـ/ ١٠٨٧ م) الذي ترجم القسم النظري من كتاب «الملكي» لعلي بن عباس؛ ونقل الجزء الجراحي منه إلى اللاتينية يوحنا الشرقي (٤٣٣ ـ ٤٩٧ هـ/ ١٠٤٠ ـ ١١٠٣ م). وكانت أوروبا في العصور الوسطى مدينة فيما انتقل إليها من العلوم الطبية إلى طائفة من العلماء المترجمين منهم قسطنطين الإفريقي، وجيرارد الكريموني (المتوفي ٥٨٤ هـ/ ١١٨٧ م) مترجم «التصريف» للزهراوي، و«المنصوري» للرازي، و«القانون» لابن سينا الخ؛ وفرج بن سالم الإسرائيلي الصقلي مترجم «الحاوي» للرازي عام ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م، و«تقويم الأبدان» لابن جزلة الخ(١).

وظلت طليطلة حتى بعد سقوطها بيد الإفرنج، محافظة على مقامها كمركز هام للدراسات الإسلامية. وفي أثناء عملية الترجمة، ونقل الكنوز العلمية العربية إلى الغرب، كانت هذه المدينة المركز الرئيسي لهذا النقل. فقد نشأت فيها مدرسة نظامية للترجمة، وقد لمع فيها نخبة من المترجمين ظهروا في القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، وقصدها العلماء من أنحاء أوروبا، ووفد إليها من الجزر البريطانية ميخائيل سكوت (Michael Scot) وروبرت أوف تشستر (Robert Of Chester). ففي عام ٥٣٩ هـ/١١٤٣ م، أكمل روبرت مع هرمن (Hermaun) الألماطي لبطرس المحترم، أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم، في عام ٥٤١ هـ/ ١٢٥٠ م، وقد أسستها جمعية الوعاظ، بقصد تدريب المبشرين قبل إرسالهم لتبشير المسلمين واليهود(٢).

أما إدلارد أوف باث، فقد زار الأندلس في نفس الفترة الزمنية، وكان يعد من

(١) للتوسع راجع حتي: تاريخ العرب ص ٦٦٣ وبعدها.
(٢) للتوسع راجع حتي: تاريخ العرب ص ٦٧٢ وبعدها.

http://kotob.has.it

كبار علماء الإنكليز قبل روجر باكن. وبعد أن رحل إلى صقلية وسورية نقل إلى اللاتينية عام ٥٢١ هـ/١١٢٦ م، التقاويم الفلكية التي وضعها المجريطي، وهي مبنية على تقاويم الخوارزمي؛ وتضم تقاويم جيوب القوس في الدائرة. ونقل كذلك عدداً من الرسائل الرياضية والفلكية، فأصبح بذلك في طليعة ذلك الموكب الكبير من المستعربين الإنكليز.

أما ميخائيل سكوت (المتوفي حوالي ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦ م) فهو أحد ناقلي فلسفة ابن رشد إلى اللاتينية، وقد درس في الأندلس قبل أن يصبح منجماً في بلاط فردريك الثاني بصقلية. وقد نقل فيما نقله وهو في طليطلة كتاب «الهيئة» وهو كتاب في الفلك للبطروجي، وكتاب أرسطو المسمى «De Coelo mundo»مع شرح ابن رشد. وترجم في صقلية كتباً عربية أخرى قدمها لفردريك أهمها رواية ابن سينا لكتاب أرسطو في علم الحيوان.

وقد لعب اليهود دوراً في عملية الترجمة، سواء منهم من أسلم ومن لم يسلم. ومن أوائلهم نذكر ابراهيم بن عزر الطليطلي (المتوفي عام ٥٦٣ هـ/١١٦٧ م) فقد ترجم رسالتين في التنجيم ليهودي آخر شرقي، سبقه، إسمه «ما شاء الله» توفي عام ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م. وترجم كذلك شرح البيروني على زيج الخوارزمي. كما نذكر عالماً يهودياً أندلسياً آخر، كان معاصراً لإبراهيم هو «يوحنا الإشبيلي»؛ وقد لمع في طليطلة بين عامي (٥٣٠ ـ ٥٤٨ هـ/ ١١٣٥ ـ ١١٥٣ م) فترجم كتباً لكبار علماء العرب في الحساب والفلك والتنجيم والطب والفلسفة وغيرها؛ من العربية إلى اللاتينية، منها الكتب التالية:

١ ـ كتاب الحساب للخوارزمي.
٢ ـ كتاب في الحركات السماوية وجوامع على النجوم للفرغاني.
٣ ـ بضع رسائل عن الفلك وأحكام النجوم.
٤ ـ المدخل إلى علم هيئة الأفلاك لأبي معشر.
بضع رسائل للكندي.
٥ ـ كتاب لأبي علي الخياط عن أصل الكواكب.

http://kotob.has.it

٧ ـ شرح كتاب بطليموس عن الفلك لأحمد بن يوسف ابن الداية.
٨ ـ كتاب عن الفلك لأبي الفرّخان.
٩ ـ كتاب عن الفلك للبتاني.
١٠ ـ كتاب عن الفلك لثابت بن قرّة.
١١ ـ كتاب الفلك لمسلمة بن أحمد المجريطي.
١٢ ـ كتاب المدخل إلى صناعة أحكام النجوم للقابسي.
١٣ ـ قسم من كتاب سر الأسرار.
١٤ ـ كتاب الفصل بين الروح والنفس لقسط بن لوقا.
١٥ ـ كتاب ينبوع الحياة لإبن غبيرول.
١٦ ـ قسم من كتاب الشفاء لإبن سينا.
١٧ ـ كتاب إحصاء العلوم للفارابي.
١٨ ـ كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي.

ولكن يبدو أن أكثر علماء طليطلة أثراً في غزارة الترجمة والنقل هو جيرارد الكريموني؛ وهو من أصل إيطالي؛ عاش بين عامي (٥٠٩ ـ ٥٨٤ هـ/ ١١٢٨ ـ ١١٨٧ م)؛ كان يترجم من العربية إلى اللاتينية. وكان جيرارد هذا قد رغب في ترجمة رواية الفرغاني لكتاب بطليموس المسمى بـ «المجسطي»؛ فارتحل إلى طليطلة، حيث تعلم العربية، وهناك ظل يعمل بالترجمة حتى نهاية عمره. فكان مما نقله من العربية إلى اللاتينية رواية الفرغاني لكتاب بطليموس المسمى بـ «المجسطي» وشرح الفارابي على أرسطو، وأصول الهندسة لإقليدس، ورسائل متفرقة لأرسطو، وجالينوس، وابقراط وغيره. فقد نسب إليه ترجمة واحد وسبعين كتاباً في مختلف العلوم، منها في المنطق، والفلسفة، والرياضيات والفلك (عند اليونان)، والرياضيات، والفلك (عند العرب)، والطب اليوناني، والطب العربي، وأحكام النجوم. ومن الصعب علينا أن نذكر هنا في هذا البحث الموجز أسماء المؤلفات الكثيرة التي ترجمها، وأكثرها قد فقدت أصوله العربية، وبقيت ترجماته اللاتينية.

http://kotob.has.it

هذه الترجمات الكثيرة للكتب العربية، وحاجة اللغات الأوروبية إلى المصطلحات العلمية التي لم تكن موجودة فيها حينذاك، أدت إلى انتقال كثير من الكلمات العربية إلى اللغات الأوروبية. ونحن نرى كثيراً من ذلك بالنسبة للغتنا العربية في الوقت الحاضر. فالمترجمون لمواد علمية عن اللغات الأوروبية، كثيراً ما تصادفهم صعوبات في إيجاد المصطلحات العربية، التي تعبر عن معاني المصطلحات الأوروبية، فيضطرون إلى استخدام المصطلحات الأوروبية. هذه الحالة الخاصة التي يعانيها دارسو العلوم في العصر الحاضر، كان الدارسون الأوروبيون في أوروبا في العصور الوسطى، يواجهونها حينما ينقلون عن ثقافة متمدنة كالثقافة العربية.

لقد انتقل إلى اللغات الأوروبية بواسطة الترجمات الآنفة، وأمثالها، طائفة من المصطلحات والألفاظ العربية الفنية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر لفظة «Julep» من جلاب (كولاب الفارسية)، ولفظة «Rob» من رُب، وتطلق على المربى، ولفظة «Syrup» من شراب الخ[1].

وقد اعترف المؤرخون الأوروبيون أنفسهم أن حضارتنا الإسلامية في عصور أوروبا الوسطى المظلمة، هي نبراس لهم استضاءوا به، وجعلوه المدماك الأساسي لبناء حضارتهم الحديثة. فهذا مثلاً مؤرخ تاريخ الحضارات «ول ديوارنت يقول عن حضارتنا الإسلامية في جملة أقواله: «.. وجملة القول أن ابن سينا أعظم من كتب في الطب في العصور الوسطى، وأن الرازي أعظم أطبائها، والبيروني أعظم الجغرافيين فيها، وابن الهيثم أعظم علمائها في البصريات، وجابر بن حيان أعظم الكيميائيين فيها. تلك أسماء خمسة لا يعرف عنها العالم المسيحي في الوقت الحاضر إلا القليل، وإن عدم معرفتنا إياها ليشهد بضيق نظرتنا وتقصيرنا في معرفة تاريخ العصور الوسطى،.. فقد نمت في علم الكيمياء الطريقة التجريبية العلمية،

---

(١) فيليب حتي تاريخ العرب ص ٦٦٣ وبعدها.
فاطمة هدى نجا: لمع من حضارتنا ص ٥٢٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

وهي أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخرة. ولما أن أعلن «روجر بيكن» هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها جابر بخمسمائة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبساً من نور المسلمين في الشرق[1].

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة جـ ٢ مجلد ع ص ١٩٦.

للتوسع عن حضارتنا العالمية: راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٥٣٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

الفصل الثاني

تاريخ الإستشراق

ذكرنا كيف وصلت الحضارة الإسلامية إلى الغرب، عن طريق الممتلكات العربية في أوروبا، ثم عن طريق الحروب الصليبية، وكذلك عن طريق القوافل التجارية، والتبادل التجاري بين الشرق والغرب، وعن طريق الحجاج إلى بيت المقدس قبل وبعد الحروب الصليبية. وسال فيض المعارف الإسلامية العامة وخاصة في القرنين السادس والسابع الهجري/الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، بحيث طما على أوروبا، وخاصة بعد الترجمات الهائلة للتراث العربي الإسلامي التي قام بها المترجمون فيما بعد.

إذن لقد بدأ الإستشراق منذ دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبة العريضة، وكان المسلمون قد احتلوا عرش السيادة الدولية، وملأوا سمع الزمان وبصره وقلبه وسائر مشاعره.

لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك. ولكن بعض العلماء والرهبان الغربيين قصدوا الأندلس السليبة الحبيبة إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم ـ كما ذكرنا ـ كما تتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

من الصعب تحديد تاريخ معيَّن لبداية الإستشراق، وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب يؤرخ لبدء وجود الإستشراق الرسمي، بصدور مجمع «فينا»

http://kotob.has.it

الكنسي في عام ٧١٣ هـ/١٣١٢ م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية[١]. ولكن الإشارة هنا إلى «الإستشراق الكنسي» تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ، فضلاً عن أن هناك باحثين أوروبيين لا يعتمدون التاريخ المشار إليه بداية للإستشراق. وتتجه المحاولات لا إلى تحديد سنة معينة لبداية الإستشراق، وإنما إلى تحديد فترة زمنية معينة على وجه التقريب يمكن أن تعد بداية للإستشراق.

ويبدو أن الإنتشار السريع للإسلام الدين الحنيف الحق، في المشرق والمغرب، قد لفت بقوة أنظار رجلات اللاهوت إلى هذا الدين. ومن هنا بدأ اهتمامهمُ بالإسلام ودراسته.

ومن بين العلماء النصارى الذين أظهروا في وقت مبكر اهتماماً بدراسة الإسلام، لا من أجل اعتناقه، بل لحماية إخوانهم النصارى منه، كان العالم النصراني «يوحنا الدمشقي» (٥٧ - ١٣٢ هـ/ ٦٧٦ - ٧٤٩ م) ومن مصنفاته كتاب «محاورة مع مسلم»، وكتاب «إرشادات النصارى في جدل المسلمين»[٢].

ولكن يبدو أننا لا نستطيع أن نعد محاولة يوحنا الدمشقي هذا بداية للإستشراق، فيوحنا كان رجلاً شرقياً، عاش وخدم في ظل قصر الخلافة الأموية. ولهذا سنصرف النظر عن مثل هذه المحاولات من جانب النصارى الشرقيين، ونقصر حديثنا فقط على العلماء الغربيين.

بعض الباحثين يجعل بداية الإستشراق في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. ويبدو أن هذا هو السبب الذي أدى بالمؤرخ «نجيب العقيقي» إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين، سجلاً للإستشراق على مدى ألف عام، بدءاً من الراهب الفرنسي جريردي اوراِلياك (٣٢٩ - ٣٩٤ هـ/ ٩٤٠ - ١٠٠٣ م) الذي قصد

---

(١) ادوارد سعيد: الإستشراق ص: ٨٠. للتوسع راجع موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض ص: ١٦٥ وبعدها.

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون جـ ١ ص ٧٢. ديبور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٥٠٨.

http://kotob.has.it

الأندلس، وتتلمذ على أساتذتها في اشبيلية وقرطبة، حتى أصبح أوسع علماء عصره في أوروبا ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ثم تقلّد فيما بعد منصب البابوية في روما باسم **سلفستر الثاني** (٣٩٠ هـ - ٣٩٤ هـ/ ٩٩٩ - ١٠٠٣ م)[١].

وهناك من يقول بأن البدايات الأولى للإستشراق كانت في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بينما يرى **رودي بارت** أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا تعود إلى القرن السادس هـ/ الثاني عشر م، الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، كما ظهر أيضاً في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي[٢]. وما ذهب إليه بارت في هذا الصدد سبق أن عبَّر عنه كتاب المستشرق **جوستاف دوجا** [تاريخ المستشرقين في أوروبا من القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر] الذي صدر في باريس في نهاية الستينات من القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر م.

ويبدو أن الدافع لهذه البدايات المبكرة للإستشراق، كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته. ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الإستشراق في مراحله الأولى، هو تاريخ للصراع بين العالم المسيحي الغربي في القرون الوسطى والشرق الإسلامي الحبيب.

فقد كان الإسلام كما يقول **ساذرن** يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم المسيحي في أوروبا على المستويات كافة. فباعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اتخاذ إجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى النصرانية والتبادل التجاري؛ وباعتباره مشكلة دينية لاهوتية تطلب بإلحاح، العديد من الإجابات، على العديد من الأسئلة في هذا الصدد، وذلك يقتضي معرفة الحقائق الدينية الإسلامية، التي لم يكن من

---

(١) العقيقي: المستشرقون جـ ١ ص: ١١٠.

(٢) رودي بارت: الدراسات الإسلامية والعربية ص: ٩.

http://kotob.has.it

السهل معرفتها. وهنا ظهرت مشكلة تاريخية صار من المتعذّر حلها، كما ندر إمكانية تناولها دون معرفة لغوية وأدبية وتاريخية يصعب اكتسابها، وصارت المشكلة أكثر تعقيداً بسبب السرية والتعصب، والرغبة القوية في عدم معرفتها خشية الدنس(١) [قاتلهم الله].

لقد نشط رجال الدين المسيحي الغربي في ذلك الوقت المبكر ضد الإسلام، وراحوا ينشرون الإفتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ منها أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمداً ﷺ ليس إلا صنماً، أو إله قبيلة أو شيطاناً. كما يقولون بأن محمداً ﷺ ليس أسطورة، وليس شهوانياً دون حياء، وليس ساحراً صغيراً مضحكاً درَّب حمامات على التقاط الحبوب من أذنيه، بل إنه رجل ذو رؤيا حقيقية، وقناعات عميقة، بيد أنه مؤلف لكتاب القرآن [الكريم] الذي هو خليط مهلهل مشوَّش، ممل، خام، مستغلق، تكرار لا نهاية له، وإسهاب وإطناب.. خام إلى أقصى الدرجات، ومستغلق، وبإيجاز، غباء فارغ لا يطاق. وغزت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكتاب اللاتين، فوضعوا حكايات في وصف الإسلام والمسلمين مغرقة في الخيال والضلال، اخترعها خيال الكتاب في ذلك العصر مثل انشودة «رولاند» الشهيرة، وغيرها من آثار أدبية، تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام، أو أنهم يعبدون آلهة ثلاثة الخ. وقد اعترف أعلم المؤلفين المسؤولين عن هذا الأدب وهو «جيلبير النوجنتي» (ت ٥١٩ هـ/١١٢٤ م) بأنه لا يعتمد في كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة، وأشار فقط إلى آراء العامة، وأنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، ثم قال مبرراً كتاباته غير العلمية عن الإسلام ونبيه: «لا جناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكنه أن يتصوره المرء». وقد أطلق ساذرن على هذه الفترة في كتابه «نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى» عنوان «عصر الجهالة»؛ وهو عصر كان أبعد ما يكون عن روح

(١) للتوسع راجع Bosworth: Orientalism and Orientslists.

http://kotob.has.it

العلم والموضوعية[1].

ونحن بدورنا نقول لساذرن وأمثاله: لقد أدى العرب بالإسلام رسالة الدين، ورسالة اللغة، ورسالة العلم، ورسالة الثقافة، ورسالة الرحمة، ورسالة البطولة، ورسالة الحضارة، ورسالة الإنسانية الخ.

وبدءاً من عام ٥٢٥ هـ/١١٣ م قامت في أوروبا حركة لترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية، فكان العلماء النصارى في أوروبا يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية في الفلسفة والعلوم، وكان لرئيس أساقفة طليطلة وغيره السبق في إخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية العربية، بعد التأكد الثابت بأن العرب يملكون مفاتيح قدر عظيم من تراث العالم العلمي. ولكن هذا الإتصال العلمي العميق بلمع من حضارة الإسلام، لم يكن له تأثير في تغيير النظرة الغربية للصورة العقيدية أو الإلهية أو التاريخية للعالم الإسلامي.

وفي القرن السادس هـ/ الثاني عشر م أيضاً جرت بعض المحاولات للتعرف

---

(١) ادوارد سعيد: الإستشراق ص ١٦٩ وبعدها. ساذرن: نظرة الغرب ص: ١٥ - ١٧ - ٤٨ - ٤٩.
مكسيم رودنسون: تراث الإسلام جـ ١ ص ٣٤.
Bosworth: Orientalism.
راجع أيضاً ما يكتبونه عن ازسلام الدين الحنيف والرسول صلوات الله وسلامه عليه في الكتب التالية:
رنا قباني: أساطير أوروبا عن الشرق، لفّق تسد ص ٣٦ وبعدها.
واشنجتون أرفنج: حياة محمد ص ٦١ وبعدها.
جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي مجلد ١ ص ٢٢ وبعدها.
فيليب حتي: العرب تاريخ موجز ص ٧٦ وبعدها.
كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ص ٤١ وبعدها.
آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٣٤ وبعدها؛ جـ ٢ ص ٧ وبعدها.
فرانز روز نثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ٤١ وبعدها.
راجع أيضاً ردود على أقوال المعادين للإسلام:
مازن فروخ: الإسلام والعلم ص ١٩ وبعدها.
سيد قطب: هذا الدين ص ٥ وبعدها.

http://kotob.has.it

على الإسلام بقدر من الموضوعية، ولكن مع الهدف الواضح والمعلن، وهو محاربة هذه التعاليم الإسلامية الإلحادية [قاتلهم الله]. فقد قام بطرس الموقر المحترم [كما يسمونه] (ت ٥٥١ هـ/١١٥٦ م) رئيس رهبان كلوني بتشكيل مجموعة من المترجمين في اسبانيا، يعملون كفريق واحد من أجل الحصول على معرفة علمية غير موضوعية بالمعنى الصحيح، بل كانت موضوعية موجهة إن صح التعبير، فكان بطرس هذا وراء ظهور أول ترجمة غير صحيحة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام ٥٣٨ هـ/١١٤٣ م، وقد قام بالترجمة آنذاك الإنكليزي «روبرت أوف كيتون». وكان بطرس هذا يعتبر الإسلام هرطقة مسيحية، وقد حاول إيجاد مبررات لدى إخوانه المسيحيين في الغرب، ليحظى عمله بالقبول فقال: «. . . فإذا لم يكن بالإمكان تنصير المسلمين به [أي بترجمة القرآن الكريم المغلوطة المشوهة] فمن حق العالم على الأقل أن يساند إخوانه الضعفاء في الكنيسة. . .»(١).

يقول المؤرخ المستشرق رودي بارت في ذلك: «. . . حقيقة أن العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرّفهم على الإسلام، وكانوا يتصلون بها على نطاق واسع، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعاً ما، كانت تصطدم بحكم سابق، يتمثل في أن هذا الدين المعادي للنصرانية لا يمكن أن يكون فيه خير. وهكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا لتلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون بنهم كل الأخبار التي تلوح لهم مسيئة إلى النبي العربي ﷺ وإلى دين الإسلام. . .»(٢).

وهكذا يمكننا القول بأنه كان هناك في هذه الفترة المبكرة للإستشراق اتجاهان مختلفان فيما يتعلق بالمواقف والأهداف إزاء الإسلام. أما الإتجاه الأول فكان إتجاهاً لاهوتياً متطرفاً في جدله العقيم، متطلعاً إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف

---

(١) للتوسع راجع ساذرن: نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى: ص: ١٥ وما بعدها.
(٢) للتوسع راجع: بارت. الدراسات الإسلامية والعربية ص ٩ وبعدها.

http://kotob.has.it

من الخرافات والأساطير الشعبية، وتحريف الحقائق، والعداء والكراهية للرسول العظيم ﷺ وديننا الإسلامي الحنيف القويم؛ أما الإتجاه الثاني فقد نظر إلى الإسلام نسبياً ببعض الموضوعية العلمية بوصفه مهد العلوم الطبيعية والفلسفة والطب، مع الغمز بطرف خفي أن أصل العلوم مأخوذ من اليونان والهند والفرس وغيرها(١). ولكن الاتجاه الخرافي عن الإسلام ظل وما يزال حتى اليوم الحاضر حياً في كتابات المستشرقين عن الإسلام الدين الحق ونبيه الكريم صلوات الله عليه وسلامه عليه.

وقد يقول قائل إن المسلمين قد سيطرت عليهم أوهام وخرافات كما على غيرهم، وأنهم اليوم الأذلة في الأرض، والغلبة لغيرهم، فلو كانت عقيدة الإسلام مبعدة عن الأوهام لأبعدتهم، ولو كانت مبعدة عن الذل لأبعدتهم.

والجواب على ذلك بالتسليم بأصل الإعتراض، من حيث حال المسلمين، ولكن ليس ذلك إلا لأنهم ابتعدوا عن الإسلام ومبادئه، فحقَّت عليهم هذه الحال التي هم عليها، فهم لا يصورون حقيقة الإسلام لأنهم جانبوها. لذلك نحن نقول أنه لمن أراد أن يعرف الإسلام يجب أن يعرفه من أصوله. فالإسلام باق خالد إلى يوم القيامة، سجل في سجل خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد توقع عليه السلام أن يحدث بين المسلمين ما يحدث، فنبههم إلى ما ينبغي الرجوع إليه، فقال عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله تعالى وسنتي».

الإستشراق والتنصير:

لقد كان هناك اقتناع تام لدى دعاة التنصير من المبشرين في القرن السابع هـ/

---

(١) للتوسع راجع:

جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي مجلد ١ ص ٢٢ وبعدها.

فيليب حتي: العرب تاريخ موجز ص ٧٦ وبعدها. آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٣٥ وبعدها، جـ ٢ ص ٨ وبعدها.

كلود كاهن: تاريخ العرب ص ٤١ وبعدها. واشنجتون أرفنج: حياة محمد ص ٦١ وبعدها.

http://kotob.has.it

الثالث عشر م وبعده بضرورة تعلم لغات المسلمين، إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح. وقد كان هذا الإقتناع، الذي ترجم فيما بعد إلى خطة عمل عاملاً هاماً بالنسبة لتطور الإستشراق. ولم يكن من السهل في ذلك الزمان فصل الإستشراق عن التنصير أو عن الدافع الديني بصفة عامة، فالدافع الديني كان هو السبب الأول في نشأة الإستشراق.

ومن بين المبشرين المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين، لغرض التنصير، نذكر على سبيل المثال لا الحصر **«روجر بيكون»** (٦١٤ ـ ٦٩٤ هـ/ ١٢١٤ ـ ١٢٩٤ م)، ونظريته أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التي يمكنه بها توسيع رقعة العالم المسيحي. ولبلوغ هذا الغرض لا بد من توفّر شروط ثلاثة هي:

١ ـ معرفة اللغات الضرورية.

٢ ـ دراسة أنواع الكفر، وتمييز بعضها عن بعضها الآخر.

٣ ـ دراسة الحجج المضادة حتى يمكنه دحضها[1].

وقد شارك بيكون في أفكاره **رايموند لول** (٦٣٤ ـ ٧١٧ هـ/ ١٢٣٥ ـ ١٣١٦ م) الذي ولد في الأندلس السليب، وتعلّم العربية على يد عبد عربي، وكانت له جهود كبيرة في إنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية في أماكن مختلفة. وكان الهدف من كل ذلك في عصره والعصور التالية وحتى اليوم هو التنصير، أي إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين النصراني[2].

وقد صادق مجمع ڤينا الكنسي في عام ٧١٣ هـ/١٣١٢ م على أفكار بيكون ولول بشأن تعلم اللغات الإسلامية، وتمت الموافقة على تعليم اللغة العربية في

---

(١) ساذرن: المرجع السابق ص ٧٦.

(٢) بارت: المرجع السابق ص ٩ وبعدها.

http://kotob.has.it

خمس جامعات أوروبية هي جامعات: باريس، واكسفورد، وبولونيا، وسلمنكا، بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية kurie(1).

وقد ساعد على تقدم ودفع حركة الدراسات الإستشراقية في نهاية عصور أوروبا الوسطى، تلك الصلات السياسية والإقتصادية مع الخلافة العثمانية التي اتسعت رقعتها حينذاك.

وفي القرن العاشر هـ/ السادس عشر م وما بعد، أدت النزعة الإنسانية في عصر النهضة الأوروبية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذي قبل، ومن ناحية أخرى شجعت البابوية في روما دراسات لغات الشرق من أجل مصلحة التنصير.

وفي عام ٩٤٦ هـ/١٥٣٩ م تم إنشاء أول كرسي للغة العربية في الكلية الفرنسية في باريس، وشغل هذا الكرسي **جيوم بوستل** (ت ٩٨٨ هـ/١٥٨١ م) الذي يعد من أول المستشرقين الحقيقيين، وقد جمع وهو في الشرق مجموعة هامة من المخطوطات العربية، وسار على نهجه تلميذه **جوزيف اسكاليجر** (١٠١٦ هـ/١٦٠٩ م). وكان **بوستل** يذكِّر دائماً بقرار مجمع **ڤينا** الكنسي، ويجمل قيمة معرفة اللغة العربية بقوله: «. . . إنها تفيد بوصفها لغة عالمية في التعامل مع المغاربة والمصريين والسوريين والفرس والأتراك والتتار والهنود، وتحتوي على أدب ثري، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس، وأن ينقضهم بمعتقداتهم التي يعتقدونها. وعن طريق لغة واحدة [العربية] يستطيع المرء أن يتعامل مع العالم كله. . .»، وكان يتباهى بأنه يستطيع عبور آسيا وبلوغ الصين دون مترجم(2).

وفي عام ٩٩٣ هـ/١٥٨٦ م أصبح من السهل طباعة الكتب العربية في أوروبا عن طريق المطابع التي أقامها الكاردينال **فرديناند المديسي** أمير تسكانا الكبير. وقد تم حينذاك طباعة كتب عربية مختلفة من بينها مؤلفات ابن سينا في الطب والفلسفة(3).

---

(١) Johann Fueck: Die arabischon studien in Europe p: 21-22.

(٢) ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٨١.

Johnn Fueck p:39-40.

(٣) John Fueck, p: 53-54.

http://kotob.has.it

وفي القرن الحادي عشر هـ/ السابع عشر م بدأ المستشرقون في جمع المخطوطات الإسلامية، وأنشئت كراسي للغة العربية في أماكن مختلفة. ومما هو جدير بالذكر أن قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج عام ١٠٨٠ هـ/١٦٣٦ م قد نص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجاري والآخر تنصيري. وقد جاء في خطاب للمراجع العلمية المسؤولة في جامعة كمبردج بتاريخ ١٩ أيار (مايو) ١٠٨٠ هـ/١٦٣٦ م إلى مؤسس هذا الكرسي ما يأتي: «... ونحن ندرك أننا لا نعرف من هذا العمل إلى الإقتراب من الأدب الجيد، بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها، ولكننا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات...». وهكذا يتضح لنا أن هناك تماثلاً في القصد بين المستشرق العلمي والمبشر الإنجيلي، وهذا التحالف بين الجانبين لا يزال مستمراً حتى العصر الحاضر[٢].

ومن بين الشخصيات التي كان لها أثر كبير في إرساء دعائم الدراسات العربية المستشرق توماس اربينوس (٩٩١ - ١٠٣١ هـ/ ١٥٨٤ - ١٦٢٤ م). الذي كان أول أستاذ يشغل كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن (١٠٢٠ هـ/١٦١٣ م). وكان هذا المستشرق يرى أن القرآن الكريم يعد قمة من حيث اللغة، إلا أنه لم يكن يرى فيه من حيث المضمون شيئاً أكثر من تقليد مضحك للكتاب المقدس، أما رأيه في الرسول ﷺ وتعاليم الإسلام، فهو متفق تماماً مع ذلك النفور الذي كان سائداً حينذاك في الغرب إزاء النبي محمد ﷺ وتعاليم الإسلام[٣].

---

(١) من بحث للأستاذ طيباوي بعنوان: «المستشرقون الناطقون بالإنجليزية»، نشر في مجلة العالم الإسلامي «The Muslim world» تموز (يوليو) ١٩٦٣ م وترجمة الدكتور فتحي عثمان إلى العربية. ونظراً لأهمية هذا البحث فقد الحقه الدكتور محمد البهي بكتابه الفكر الإسلامي الحديث من ص ٥٨١ حتى ص: ٦١٢.

(٢) Johnn Fueck p: 68-69.

(٣) شاخت: تراث الإسلام، انظر الفصل الذي كتبه مكسيم رودنسون جـ ١ ص ٧٨.

http://kotob.has.it

وفي القرن الثاني عشر هـ/الثامن عشر م بدأ الإستشراق يتخفف من أثقال اللاهوت، وخفَّت حدّة الإتهامات ضد الإسلام، فأصبح بعض المستشرقين يعتبرون المسلمين أناساً مثل غيرهم، وكثير منهم كانوا يُفَضِّلون على الأوروبيين[1].

في القرن الثالث عشر هـ/التاسع عشر م كان الشرق الإسلامي لا يزال عدواً، ولكنه محكوم عليه بالهزيمة، وكانت البلاد الشرقية أشبه بالشهود المنهارين لماضٍ عريق. وفي هذا القرن بدأت حركة الإستشراق في فرنسا تتجه نحو اتخاذ طابع علمي، وإن كان مشوَّهاً، على يد **سلفستر دي ساسي** (ت ١٢٨٩ هـ/١٨٣٨ م) الذي أصبح من أكبر المستشرقين في عصره، وإليه يرجع الأمر في جعل باريس مركزاً للدراسات العربية، يؤمها الطلاب والعلماء من مختلف البلاد الأوروبية، ليتعلموا على يديه. وكانت أغلب جهوده العلمية منصبة على الدراسات العربية في النحو والأدب شعراً ونثراً، وليست له دراسات حول الإسلام. وقد أصبحت مدرسة اللغات الشرقية الحية في عهده، تعد الأنموذج لمؤسسة الإستشراق العلمي والعلماني وخاصة بعد أن كان قد تم في القرن الثاني عشر هـ/الثامن عشر م إنفصال الإستشراق عن اللاهوت في كل من فرنسا وانكلترا[2].

أما البلاد التي كانت تسود فيها اللغة الألمانية، فقد كانت الجامعات فيها لا تزال حتى ذلك الوقت تحت سيطرة علماء اللاهوت. ولهذا السبب ظهر الإستشراق العلماني في المانيا والنمسا في بداية الأمر، على يد هواة أبرزهم العالم النمساوي **جوزيف فون هامر برجشتال** (ت ١٣٠٧ هـ/١٨٥٦ م). ومع ذلك بقي المستشرقون العاملون على صعيد الدراسات الإسلامية يشوّهون تاريخنا وديننا الإسلامي الحنيف الدين الحق.

---

(١) شاخت: تراث الإسلام جـ ١ ص: ٦٨.

(٢) للتوسع راجع شاخت: تراث الإسلام جـ ١ ص: ٨٠؛ بارت ص: ١٧.
ابراهيم اللبان: المستشرقون والإسلام ص: ١٥.

http://kotob.has.it

وفي القرن الثالث عشر هـ/التاسع عشر م أيضاً، وبعد أن كانت النظرة الأوروبية تحترم غير الأوروبيين، وتحترم ثقافاتهم، نراها في ذلك القرن، تنظر نظرة متعالية متغطرسة، حيث ظهرت نظريات تقسم الشعوب إلى أجناس راقية، وأجناس متخلِّفة؛ فالأولى شعوب آرية، والثانية شعوب سامية، وانبرى المستشرقون والمفكرون الأوروبيون لبيان ما يزعمون من خصائص للآريين صناع الحضارة، وحملة الإبداع الخلّاق؛ والساميين السطحيين في تفكيرهم وفلسفاتهم(1).

وقد شهد القرن التاسع عشر أيضاً بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين. وقد أتاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين في كل مكان الفرصة لزيادة التنسيق وتوثيق أواصر التعاون والتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضهم بعضاً، وتجنب ازدواج العمل حرصاً على تجميع الجهود وعدم تبديدها في أعمال مكرَّرة.

وقد تم عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس في عام ١٣٢٤ هـ/١٨٧٣ م. وتعقد هذه المؤتمرات منذ ذلك الحين بصفة منتظمة؛ وقد بلغ عددها حتى العصر الحاضر أكثر من ثلاثين مؤتمراً. وهذا عدا المؤتمرات والندوات واللقاءات الإقليمية التي يرجع بعضها إلى تاريخ أقدم من تاريخ أول المؤتمرات الدولية. فقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين الألمان في مدينة درسدن بألمانيا في عام ١٣٠٠ هـ/١٨٤٩ م. ولا تزال مثل هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم(2).

وتضم المؤتمرات الدولية للمستشرقين مئات العلماء. فمؤتمر اكسفورد مثلاً كان يضم تسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة، وخمس وثمانين جامعة، وتسع وستين جمعية علمية، ومجموعات العمل في كل مؤتمر تبلغ أربع عشرة مجموعة، تختص كل منها ببحث مجال معيَّن من الدراسات الإستشراقية. وتنشر بحوث هذه

---

(١) جوتييه: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ص ٦ وما بعدها. مصطفى عبد الرزاق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٩ وما بعدها.

(٢) للتوسع راجع Bosworth, op, cit.

http://kotob.has.it

المؤتمرات في مجلدات «للإهتداء بها كنظم ومناهج ووسائل، ثم أصبحت مع دراسات مؤتمراتهم الموضوعية والإقليمية، أصولاً وأمهات وأسانيد للباحثين»[1].

الإستعمار والإستشراق:

لقد كان للمد الإستعماري في العالم الإسلامي دور كبير في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق وخصوصاً بعد منتصف القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر م. وقد أفاد الإستعمار من التراث الإستشراقي، ومن ناحية أخرى كان للسيطرة الغربية على الشرق دورها في تعزيز موقف الإستشراق، وتواكبت مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الإستشراق وفي مضمونه مع مرحلة التوسع الأوروبي في الشرق»[2].

وقد شهد القرن الثالث عشر هـ/التاسع عشر م استيلاء المستعمرين الغربيين على مناطق شاسعة من العالم الإسلامي. ففي عام ١٣٠٨ هـ/١٨٥٧ م تم استيلاء الإنجليز سياسياً على الهند، وأصبحت الهند بذلك تابعة للتاج البريطاني رسمياً، بعد أن كانت حتى ذلك الحين واقعة تحت نفوذ شركة الهند الشرقية منذ القرن الحادي عشر هـ/ السابع عشر م. وفي عام ١٣٠٨ هـ/١٨٥٧ م أيضاً تم استيلاء فرنسا على الجزائر كلها، بعد أن كان الفرنسيون قد بدأوا غزوها عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٣٠ م. كما احتلت هولندا قبل ذلك في القرن الحادي عشر ه/السابع عشر م، جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) عن طريق شركة الهند الهولندية. وبعد عام ١٣٣٢ هـ/١٨٨١ م تم احتلال مصر وتونس. وظل الإستعمار يقوم بتقطيع أوصال البلاد الإسلامية شيئاً فشيئاً ويضعها تحت سيادته، حتى استطاع في النهاية أن يطوِّق العالم الإسلامي من الشرق والغرب. وبعد الحرب العالمية الأولى كان العالم الإسلامي كله تقريباً خاضعاً لنفوذ الإستعمار الغربي[3].

(١) للتوسع راجع العقيقي: المستشرقون جـ ٣ ص ٣٦٥ وما بعدها.
(٢) للتوسع راجع سعيد: الإستشراق ص ٧٢. شاخت تراث الإسلام جـ ١ ص: ٨٣.
(٣) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث ص ٢٩ وبعدها.

http://kotob.has.it

وقد استطاع الإستعمار أن يجند أكثر طوائف المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهداقه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين؛ ونشأت رابطة رسمية وثيقة بين الإستشراق والإستعمار. وانساق في هذا التيار، عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكون عملهم وسيلة لإذلال المسلمين، وإضعاف شأن الإسلام وقيمه، وهذا عمل يشعر إزاءه المستشرقون المنصفون [إذا وجدوا] بالخجل والمرارة. والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخّروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين[1].

والإستعمار في حقيقة أمره هو امتداد للحروب الصليبية التي كانت في ظاهرها حروباً دينية، وفي باطنها حروباً دينية واستعمارية معاً. وقد كانت العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام حلماً ظل يراود الغربيين منذ هزيمة الصليبيين، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه[2]. فالمعرفة بالأجناس المحكومة أو الشرقيين هي التي تجعل حكمهم سهلاً ومجدياً. فالمعرفة تمنح القوَّة، ومزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة، فهناك باستمرار حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية[3].

لقد اتجه الإستشراق المتعاون مع الإستعمار، بعد الإستيلاء العسكري والسياسي على بلاد المسلمين إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وتراثهم، حتى يتم للإستعمار في النهاية إخضاع المسلمين إخضاعاً تاماً للحضارة والثقافة الغربية[4].

---

(١) للتوسع راجع زقزوق: الإستشراق ص ٤٤، الإسلام في الفكر الغربي ص: ٦٠.

(٢) ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٦٨، ٧٠.

(٣) البهي: الفكر الإسلامي الحديث ص ٥٣٤.

(٤) راجع ما يكتبونه عن الإسلام وتراث المسلمين: فرانز روز نثال: علم التاريخ ص ٤١ وبعدها. قباني: أساطير أوروبا عن الشرق ص ٣٧ وبعدها. أرفنج: حياة محمد ص ٦١ وبعدها. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي مجلد ١ ص ٢٢ وبعدها. كلود كاهن: تاريخ العرب ص ٤١ وبعدها. حتي: العرب تاريخ موجز ص ٧٦ وبعدها. آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٣٥ وبعدها، جـ ٢ ص ٧ وبعدها.

http://kotob.has.it

وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين؛ وقد وجدوا في مجال الإستشراق باباً ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين، فدخلوا هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم، كما وجدوا في الصهيونية باباً آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين.

والواقع أن المستشرقين اليهود قد استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الإستشراقية الأوروبية. لقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوروبي لا بوصفهم اليهودي. وقد استطاع جولد تسيهر في عصره، وهو يهودي مجري، أن يصبح زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع، ولا تزال كتبه حتى اليوم تحظى بالتقدير العظيم والإحترام الفائق من كل فئات المستشرقين، والمفتونين، والمتغربين في العالم العربي والإسلامي[1].

وهكذا لم يقبل اليهود أن يعملوا داخل الحركة الإستشراقية بوصفهم مستشرقين يهوداً حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل تأثيرهم. ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك كسبوا مرتين: كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الإستشراقية كلها، وكسبوا ثانياً تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، ومحاولة إضعافه، والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية عليه، وذلك بادعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول. أما الأسباب السياسية فإنها تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولاً ثم دولة ثانياً.

واليوم ونحن في بداية القرن الخامس عشر هـ/ ونهاية القرن العشريم م، نرى أن حركة الإستشراق لا تزال متماسكة وقوية ومنظمة؛ ولا تزال جمعيات المستشرقين

---

(١) للتوسع عن المفتونين والمتغربين راجع محمد حسين هيكل: حياة محمد ص: ١١٥، ١٣٣، ١٣٤، ١٩٠، ١٩١ وبعدها. طه حسين: «في الأدب الجاهلي ص ١٨٠ وبعدها فهو يعتبر النبي ﷺ قد نظم القرآن الكريم بعد استعانة الرسول ﷺ بشعر أمية بن أبي الصلت الخ. راجع آراءه الغريبة العجيبة عن الإسلام والرسول محمد ﷺ في كتابيه: في الأدب الجاهلي، على هامش السيرة وغيرهما. والمعروف أن طه حسين كان من المفتونين بحضارة الغرب، ومن أوائل كتاب الأدب العربي المتغربين

http://kotob.has.it

ومؤتمراتهم المختلفة تمارس نشاطها، ومعاهد الإستشراق منتشرة اليوم في أغلب الجامعات الأوروبية والأمريكية؛ هذا فضلاً عن تغلغل المصالح الغربية والأمريكية في بلدان العالم الإسلامي، وخاصة في بلدان الشرق الأوسط؛ الأمر الذي يجعل هذه المصالح تساند الحركة الإستشراقية التي تقدم بدورها للجهات المعينة في الغرب الدراسات المختلفة عن بلدان العالم الإسلامي. وبالإضافة إلى ذلك كله فإن مجالات التخصص لدى المستشرقين قد تعددت، وهذا يعني إثراء الدراسات الإستشراقية لا القضاء عليها.

وتهتم الحكومات الأوروبية والأمريكية في هذا القرن بدعم الحركة الإستشراقية في بلادهم، ولا تبخل عليها بالمال اللازم لاستمرار نشاطها، وتمارس ضغوطاً على الإستشراق، يقول **أوليريش هارمان**: «... وطبعاً هناك أيضاً الضغط الملح من قبل أولئك الذين يقدمون الأموال لدعم النتائج التي تؤدي إلى احتواء العالم العربي والإسلامي، والتشبث به، باعتباره منطقة اضطراب، حيث تكمن اهتمامات الغرب ومصالحه..»[1].

فهناك إذن ارتباط وثيق بين مصالح الغرب واهتماماته، ودعم الحركة الإستشراقية. وهذا يجعل استمرار الإستشراق متوقفاً على استمرار الدعم المالي الذي تقدمه الحكومات والهيئات المختلفة، واستمرار الدعم المالي يتوقف على مدى تشبث الغرب بمصالحه في العالم العربي والإسلامي؛ والتشبث بهذه المصالح حقيقة واقعة، تؤكدها جميع الشواهد. وليس هناك أي بارقة تلوح في الأفق توحي بأن الغرب على استعداد للتخلي عن هذه المصالح. وما دام الأمر كذلك فإن الحاجة إلى الإستشراق في الغرب، ستبقى قائمة، بل وستزداد إلحاحاً.

---

(١) مجلة الباحث ص ١٤٤.

http://kotob.has.it

الفصل الثالث

دوافع الاستشراق وأهدافه

مقدمة:

يستبد بنا العجب وتعترينا الدهشة، لموضوع الإستشراق، ونتساءل: ما الذي يدعو الباحث الغربي، إلى بذل كل هذا الجهد والعمر لدراسة عالم غريب عنه، يدرس لغاته التي تختلف تماماً عن لغته، ويحاول جاهداً فهم آدابها وعقائد أهلها وتاريخهم؟

ونتساءل أيضاً: ما الذي يحمله على ذلك، وقد كان في وسعه أن يوجِّه كل تلك الجهود لدراسة مجالات أوروبية أخرى، يمكن أن تظهر فيها إمكاناته الفكرية ومواهبه من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون أكثر فائدة له من الناحية العملية؟ يقول نجيب العقيقي المؤرخ اللبناني: «. . . فلو أن أحدهم انصرف طوال حياته إلى حل الكلمات المتعارضة، أو جمع طوابع البريد النادرة، أو كتابة القصص البوليسي، بدل التحقيق والترجمة والتصنيف، لخرجت به من تلك الجزائر المتعددة التي يعيش فيها المستشرقون إلى العالم الرحب في القرن العشرين، ولعادت عليه برخاء من العيش وشهرة بين الناس، وسلامة من النقاد»[1]. ويعتقد العقيقي بغباء متعمَّد أن الدافع العلمي، كان وراء كل الجهود الإستشراقية، ويدافع عنهم باعتباره منهم.

---

(١) العقيقي: المستشرقون جـ٣ ص: ٦٠٥.

http://kotob.has.it

فالعقيقي، على الرغم من أنه لبناني ولد عام ١٩١٦ م وتعلم في المدارس الوطنية اللبنانية، وعلّم في لبنان والقاهرة حتى عام ١٩٥٢ م، فإنه يعتبر نفسه وبفخر شديد، واحداً من المستشرقين. فقد صنّف نفسه في كتابه «المستشرقون» تحت عنوان «المدرسة المارونية» بوصفه واحداً من أتباع هذه المدرسة، التي أسهمت بجهودها الجبارة في مجال الإستشراق[١].

ولست أدري كيف أدرج «نجيب العقيقي» نفسه في عداد المستشرقين، مع أنه يتحدث عنهم بصيغة الآخرين، فيقول مثلاً: «**لقد بلغ المستشرقون من تعليم لغاتنا وحفظ تراثنا والكشف عن آثارنا وإحيائها** بالنشر والترجمة والتصنيف ذلك المبلغ لمنهج ومميزات ووسائل لم تتوفر جميعها لنا من قبل...»[٢].

ونحن نرد على العقيقي وأمثاله من المتفرنجين والمفتونين بحضارة الغرب الزائفة، والمتزلفين و... و... و..... للغرب؛ نقول: يا عقيقي نريدك وأمثالك المتشدقين أن تعرف دوافع الإستشراق، وأهدافه، وتصحح أخطاء كتابك، وتعود إلى بني جلدتك.

لقد تعرَّفنا على الخطوط العريضة، عن كيفية وصول حضارتنا الزاهرة إلى الغرب، ثم عن نشأة الإستشراق وتطوره عبر الزمن؛ ونأتي الآن في هذا الفصل لنتعرف على دوافع الإستشراق وأهدافه.

لقد بدأ الإستشراق كما بيَّنا بدراسة اللغة العربية والدين الإسلامي، وأصبح بعد التوسع الإستعماري في الشرق الإسلامي يعمل إلى دراسة جميع ديانات الشرق، وعاداته، وحضاراته، وجغرافيته، وتاريخه، وتقاليده، وأشهر لغاته. ولكن العناية بالإسلام والحضارة الإسلامية والآداب العربية هي أهم ما اعتنى، ويعتني به المستشرقون حتى اليوم، نظراً للدوافع الدينية، والإقتصادية، والإستعمارية، والسياسية، والعلمية النزيهة التي شجعت على ذلك.

---

(١) للتوسع عن اللبنانيين والمدرسة المارونية راجع المرجع السابق ص ٣١٧ ـ ٣٣٨.

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص: ٥٩٨.

http://kotob.has.it

وباستطاعتنا أن نتعرف على دوافع المستشرقين وأهدافهم من أعمالهم، ومما حققوه من أهداف، ومن واقع حال الدول الغربية، قبل أن تنبت فيها نابتة الإستشراق، وواقع حالها بعد ذلك؛ ومن واقع صلة الإستشراق بالتبشير بالنصرانية والإستعمار.

والواقع أن الدوافع تلتقي مع الأهداف الغائية من العمل.

وفيما يلي خلاصة عن دوافعهم وأهدافهم، غير أننا سنفرد فصلاً خاصاً هو الفصل الرابع عن الدافع الديني لغزارة المادة بعنوان: المستشرقون والإسلام: دوافع، تشكيك، أهداف.

١ ـ الدافع الديني: موجود في الفصل الرابع.

٢ ـ الدافع الإقتصادي وهدفه:

لقد ظهر الدافع الإقتصادي في عصر ما قبل الإستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر هـ/التاسع عشر والعشرين م. فمن الدوافع المهمة التي حرَّضت كثيراً من الغربيين على الدراسات الإستشراقية رغبتهم بغزو البلاد الإسلامية غزواً اقتصادياً، يهدفون فيه إلى توسيع تجارتهم، والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للإزدهار؛ من أجل الإستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة في الشرق. لذلك وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها، ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، ودراسة لغتها، وذلك لكي يحسنوا التعامل مع سكان تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك، وهو الرغبة في التعامل معنا، لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان؛ ولقتل صناعتنا المحلية، التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين؛ ولتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية، ويجنون من وراء ذلك فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير

http://kotob.has.it

العميم. وهم يعتبرون أنّ العربيّ مزوّدٌ بالنفط، مع غياب أي مؤهلات أخلاقية عربية لامتلاك مثل هذا الإحتياطي النفطي الهائل. والسؤال الذي يقوله الغرب هو «لماذا يمتلك بشر كهؤلاء العرب حق إبقاء العالم المتطور الحر، الديمقراطي، الأخلاقي مهدداً؟ وغير ذلك من أسئلة كهذه، ينبع الإقتراح المتكرر بأن تقوم قوات جيش البحرية الأميركية بغزو حقول النفط العربية. . .»[1].

ونحن نقول لإدوارد سعيد بأن الغرب نجح بعد حرب الخليج إلى ما كان يصبو إليه دائماً، وتصرخ نساؤنا وتقول: «وامعتصماه»، فهل من مجيب؟؟

ضمن هذه الدوافع الإقتصادية وغيرها، وجهّت المؤسسات المالية والإقتصادية والشركات الغربيَّة، وكذلك الملوك في بعض الأحيان، من يهتمون بالدراسات الإستشراقية، وكانوا يزوّدون هؤلاء الباحثين. بما يحتاجون إليه من مال، كما كانت الحكومات الغربية المعينة، تمنحهم الرعاية والحماية، ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم، والمترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الإقتصادية فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات، طمعاً بأن يجدوا أعمالاً لهم لدى المؤسسات الإقتصادية. ونظراً لأهمية الدين، وتأثيره الفعال في الأخلاق والمعاملات، فقد اتجه فريق من المستشرقين الباحثين العلميين لدراسته، وكتابة التقارير، وتأليف الكتب عنه، للإستفادة المادية، كما اهتم فريق منهم أيضاً بنشر كتب التراث الإسلامي، والإستفادة من نشرها في تحصيل الثروات التي يحصل عليها الناشرون عادة.

وصارت بذلك الدراسات الإستشراقية أيضاً وسيلة من وسائل كسب المال الكثير للمستشرقين. ومن خلال معرفتنا لهذا الدافع، نستطيع معرفة الهدف الغائي المرتبط به، ألا وهو المطامع الإقتصادية، وتحصيل الأموال الطائلة[2].

---

(١) ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٢٨٧.

(٢) للتوسع راجع زقزوق: الإستشراق ص ٧٤ وبعدها؛ حبنكة: أجنحة المكر ص ١٢٨ وبعدها؛ السباعي: الإستشراق ص ١٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

٣ ـ الدافع الاستعماري وهدفه:

عندما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين في بلادنا، وهي في ظاهرها حروب دينية، وفي حقيقتها حروب دينية واستعمارية، لم ييأس الغربيون من العودة إلى بلاد المشرق العربي، وسائر بلاد المسلمين، فاتجهوا لدراسة هذه البلاد، في كل شؤونها: من عقيدة، ولغات، وعادات، وأخلاق، وتاريخ، وثروات وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان، بغية أن يتعرَّفوا إلى مواطن القوَّة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها. وعندما تمَّ لهم الإستيلاء العسكري، والسيطرة السياسية، كان من دوافع الدراسات الإستشراقية الرغبة بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والإرتباك في تفكيرهم، وكان لهم في ذلك محاولات تشكيك ووساوس كثيرة، تسلَّلوا بها إلى نفوس المسلمين عامة، وبراعمهم خاصة، ومن الوساوس الكثيرة نذكر:

١ ـ التشكيك بما عند المسلمين من عقيدة وشريعة وقيم إنسانية، وبفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث. والهدف من ذلك أن يفقد المسلمون ثقتهم بأنفسهم، ويرتموا في أحضان الغرب، ويستجدوا منه العقائد والمبادىء والمقاييس الأخلاقية، والحلول لمشاكلهم الحياتية، والتقاليد، والعادات، وأنواع السلوك، ليتم للغرب بذلك إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعاً كاملاً لا تقوم للمسلمين من بعده قائمة؛ وبعد ذلك الطمع بالتسلط الكامل على بلاد المسلمين عامة.

٢ ـ إحياء مفاهيم جاهلية، ماتت وعفى عليها الزمن، بل واندثرت منذ تمكن الإسلام من قلوب المسلمين، فتوحدت عقيدتهم ولغتهم وبلادهم، وحملوا رسالة الإسلام إلى العالم، فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة، وازدادت الشعوب بها هداية ورفعة.

إنهم ما برحوا منذ حوالي قرن يحاولون إحياء القوميات الفرعونية، والأشورية والكلدانية، والكردية، والفارسية، والهندية، والفينيقية، والعربية والتركية وغيرها؛ ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية الواحدة، التي تجمعها رابطة واحدة، هي وحدة الدين الذي ينير جميع مشاعر الإنسان الداخلية وسلوكه الظاهر. فميثاق

http://kotob.has.it

الإسلام المقدس الذي أبرمه القرآن الكريم «المؤمنون إخوة». فالمسلم أخو المسلم في كل أنحاء الأرض؛ بينما الميثاق القومي يقول إن القومي أخو القومي مَنْ كان، وأينما كان، سواء دان بالإسلام أم لم يدن به سواء اليهودي، والمجوسي، والصابئي، والنصراني الخ؛ والعطف على أساس إسلامي يُعد في نظر الفلسفة القومية طائفية رجعية، تؤخر سير الركب القومي[1].

والهدف من ذلك إعاقة قوة الإندفاع التحرّرية عن عملها في قوّتنا، وتحررنا، وسيادتنا، على أرضنا وثرواتنا، وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة العالمية، والتقائنا مع إخوتنا في العقيدة والمثل العليا، والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة؛ وبعد ذلك السيطرة على الشعوب الإسلامية، وبلدان العالم الإسلامي، عن طريق استعمارها، طمعاً باستعباد الناس، واستغلال الأرض، والسيطرة على كل شيء، وسيلة لتحقيق أهواء النفوس وشهواتها؛ ليكون لها العلو في هذه الأرض الفانية.

ولقد تطرَّقنا في الفصل الثاني «تاريخ الإستشراق» عن علاقة الإستشراق بالإستعمار؛ وذكرنا أنه كان للمد الإستعماري في العالم الإسلامي دور كبير في طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق، وخاصة بعد منتصف القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر م فقد شهد هذا القرن استيلاء المستعمرين الغاشمين على مناطق شاسعة من العالم الإسلامي، حيث كان للسيطرة الغربية على الشرق، دورها في تعزيز موقف الإستشراق؛ وتواكبت مرحلة التقدم في مؤسسات الإستشراق وفي مضمونه مع مرحلة التوسع الأوروبي في الشرق. واستطاع الإستعمار أن يجنِّد طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه، وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين، ونشأت بذلك رابطة رسمية وثيقة بين الإستشراق والإستعمار. ومن بين الأمثلة العديدة لارتباط الإستشراق بالأستعمار نذكر على سبيل المثال لا الحصر في فرنسا مثلاً، كان هناك عدد من المستشرقين، يعملون مستشارين لوزارة

(١) للتوسع راجع: السباعي: الإستشراق ص ١٧ وبعدها؛ حبنكة: أجنحة المكر ص ١٢٧؛ محمد احمد باشميل: القومية في نظر الإسلام ص ٦٢ وبعدها.

http://kotob.has.it

المستعمرات الفرنسية في العالم العربي والإسلامي. فمثلاً كان المستشرق «دي ساسي» إعتباراً من عام ١٢٥٤ هـ/١٨١٣ م يشغل منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية. وعند غزو الفرنسيين الغاشمين الجزائر الغالية عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٣٠ م، كان «دي ساسي» هذا، هو الذي ترجم البيان الموجَّه للجزائريين؛ وكان يستشار بانتظام في جميع المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزير الخارجية الفرنسية، وعند الضرورة من قبل وزير الحربية أيضاً. وإلى عهد قريب كان المستشرق «ماسينيون» مستشاراً للإدارة الإستعمارية للخارجية الفرنسية في الشؤون الإسلامية. وكان هذا اللعين «ماسينيون» أثناء إقامته في مشرقنا العربي الحبيب، يُعتبر أحد زعماء الحركة الرامية إلى الكتابة بالعامية وبالحرف اللاتيني، كما سعي لهذه الغاية مبشرون واستعماريون كثيرون من أمم أخرى. وقد حاول اللعين «ماسينيون» أيضاً أن يبث دعوته الغاشمة هذه في لبنان وسورية ومصر والمغرب العربي الحبيب، ولكنه لم ولن يستطيع ذلك بحول الله وقدرته، ما بقي في الأمة الإسلامية، روح إسلامية تنبض. لأن لغتنا العربية الفصحى هي لغة قرآننا العظيم، الذي سيبقى إلى قيام الساعة، كما قال رب العالمين، رب العرش العظيم في كتابه الكريم: «إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون».

أما المستشرق الفرنسي «هانوتو» (ت ١٣٦٤ هـ/١٩٤٤ م) فقد كشف في مقال له بعنوان: «قد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية» كشف بوضوح عن مقترحاته لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها الأفريقية الإسلامية، وما تهدف إليه هذه المقترحات من إضعاف المسلمين في عقيدتهم ليسهل قيادهم[1].

أما في بريطانيا العظمى [سابقاً] فالمصلحة البريطانية في العالم الإسلامي كان الدافع إليها بطبيعة الحال هو ممارسة السيادة البريطانية في مصر والهند وغيرهما من البلاد الإسلامية التي استولت عليها. وقد كان «اللورد كيرزون» في أوائل القرن الرابع عشر هـ/القرن العشرين م، من أشد المتحمسين في بريطانيا لفكرة إنشاء مدرسة للدراسات الشرقية باعتبار أنها تعد «جزءاً ضرورياً من تأثيث الأمبراطورية»،

---

(١) للتوسع راجع: الفكر الإسلامي الحديث ص ٣٠ وبعدها.
بدوي: موسوعة المستشرقين ص: ٣١٣ وبعدها.

http://kotob.has.it

وتساعد على الإحتفاظ بالموقع الذي نالته بريطانيا في الشرق. وقد تحوَّلت المدرسة المذكورة فيما بعد، إلى مدرسة جامعة لندن للدراسات الشرقية والأفريقية. وكانت الحكومة البريطانية لتحقيق أهدافها الإستعمارية، ترسم سياستها في مستعمراتها في الشرق، بعد التنسيق والتشاور مع فريق من المستشرقين الذين يقدِّمون لها الدراسات المطلوبة. يقول الدكتور اللبان رحمه الله: «. . . وقد سمعت أحد كبار المستشرقين يتحدث أمامي فيذكر أن «مستر إيدن» كان قبل أن يضع قراراً سياسياً في شؤون الشرق الأوسط يجمع المستشرقين المستعربين ويستمع إلى آرائهم، ثم يقرر في ضوء ما يسمعه منهم. . .»[1].

وهكذا نرى أن رجال السياسة في الغرب على صلة وثيقة بأساتذة كليات اللغات الشرقية في أوروبا، وإلى آرائهم يرجعون، قبل ن يتخذوا القرارات الهامة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية؛ وقد كان بعضهم يؤسس صداقة بالبارزين من رجال الأمة العربية والإسلامية، ويتخذ من هذه الصلات ستاراً يقوم من ورائه بأعمال التجسس في أثناء الحرب[2].

وفي المانيا نذكر المستشرق «كارل هينريش بيكر» (ت ١٣٥٣ هـ/١٩٣٣ م) مؤسس «مجلة الإسلام» الألمانية، الذي قام بدراسات تخدم الأهداف الإستعمارية الألمانية في أفريقيا، وذلك لأن الرايخ الألماني في عام (١٣٣٧ - ١٣٣٨ هـ/ ١٨٨٥ - ١٨٨٦ م) قد حصل على مستعمرات في القارة الأفريقية، تضم مناطق بعض سكانها من المسلمين؛ وبقيت تلك المناطق تحت السيادة الألمانية حتى عام ١٣٧٠ هـ/١٩١٨ م. وقد أدى ذلك إلى تأسيس معهد اللغات الشرقية في برلين عام ١٣٣٩ هـ/١٨٨٧ م، وهو معهد كانت مهمته تتلخص في الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية الحالية وبلدان الشرق الأقصى، وعن شعوب هذه البلدان وثقافتها[3].

---

(١) اللبان: المستشرقون ص ١٨.

(٢) السباعي: الإستشراق ص ١٨ وبعدها؛ ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٢٢٤.

(٣) بارت: الدراسات الإسلامية والعربية ص ٣١ وبعدها.

http://kotob.has.it

وفي هذا يقول المستشرق الألماني «اوليريش هارمان»: «. . . فقد كان كارل هيزيش بيكر ـ وهو من كبار مستشرقينا ـ منغمساً في النشاطات السياسية، حتى إنه أصبح عام ١٣٦٦ هـ/١٩١٤ م شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في افريقيا والهند كدرع سياسية في وجه البريطانيين»[(١)].

أما في روسيا فإن المستشرق الروسي «بارتولد» (ت ١٣٨٢ هـ/١٩٣٠ م) مؤسس مجلة «عالم الإسلام» الروسية «MirIslama» قد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسية الوسطى.

أما في هولندا فإن عالم الإسلاميات الشهير المستشرق «سنوك هورجرونيه» (ت ١٣٨٨ هـ/١٩٣٦ م) في سبيل استعداده للعمل في خدمة الإستعمار، توجّه إلى مكة المكرّمة عام ١٣٣٧ هـ/١٨٨٥ م، بعد أن انتحل إسماً إسلامياً هو «عبد الغفار»، وأقام هناك ما يقرب من نصف عام. وساعده على ذلك أنه كان يجيد اللغة العزبية كأحد أبنائها. وقد كان لهذا المستشرق دور هام في تشكيل السياسة الثقافية والإستعمارية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية، وشغل مناصب قيادية في السلطة الإستعمارية الهولندية في أندونيسيا[(٢)].

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله بعد أن أجرى مقابلات مع المستشرقين وجهاً لوجه في أوروبا:

لقد كنت كتبت عن المستشرقين كلمة موجزة في كتابي «السنّة ومكانتها في التشريع الأسلامي، قبل أن أزور أكثر جامعات أوروبا عام ١٩٥٦ وأختلط بهم وأتحدث إليهم وأناقشهم. فلما تم لي ذلك ازددت إيماناً بما كتبته عنهم واقتناعاً بخطرهم على تراثنا الإسلامي كله سواء كان تشريعياً أم حضارياً، لما يملأ نفوسهم من تعصب ضد الإسلام والعرب والمسلمين.

---

(١) مجلة الباحث ص: ١٤٥ من مقال كتبه اوليريش هارمان عن الإستشراق الألماني.

(٢) بارت: المرجع السابق ص ٣١.

http://kotob.has.it

كان أول من اجتمعت بهم هو البروفسور «أندرسون» رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي ـ في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن ـ وهو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة كمبردج، وكان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية ـ كما حدثني هو بذلك عن نفسه ـ تعلم اللغة العربية من دروس اللغة العربية التي كان يلقيها بعض علماء الأزهر في الجامعة الأميركية في القاهرة ساعة في كل أسبوع لمدة سنة واحدة. كما تعلم العامية المصرية من اختلاطه بالشعب المصري حين توليه عمله العسكري الآنف الذكر، وتخصص في دراسة الإسلام من المحاضرات العامة التي كان يلقيها المرحوم «أحمد أمين» والدكتور «طه حسين» والمرحوم الشيخ «أحمد ابراهيم». ثم انتقل من الخدمة العسكرية بعد الحرب إلى رئاسة قسم قوانين الأحوال الشخصية في جامعة «لندن» كما ذكرنا!.

لا أريد أن أذكر أمثلة عن تعصبه ضد الإسلام ـ وقد حدَّثني كثيراً عن ذلك المرحوم الدكتور «حمود غرابة» مدير المركز الثقافي الإسلامي في لندن حينذاك ـ ولكني أكتفي بأن أذكر ما حدثني به البروفسور «أندرسون» نفسه من أنه أسقط أحد المتخرجين من الأزهر الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراة في التشريع الإسلامي من جامعة لندن لسبب واحد هو أنه قدم أطروحته عن حقوق المرأة في الإسلام وقد برهن فيها على أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة، فعجبت من ذلك وسألت هذا المستشرق: وكيف أسقطته ومنعته من نوال الدكتوراه لهذا السبب وأنتم تدّعون حرية الفكر في جامعاتكم؟ قال: لأنه كان يقول: الإسلام يمنح المرأة كذا، والإسلام قرر للمرأة كذا، فهل هو ناطق رسمي باسم الإسلام؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الإسلام؟ إن آراءه في حقوق المرأة لم ينص عليها فقهاء الإسلام الأقدمون، فهذا رجل مغرور بنفسه حين ادّعى أنه يفهم الإسلام أكثر مما فهمه أبو حنيفة والشافعي.

هذا هو كلام هذا المستشرق الذي لا يزال حياً يرزق، ولا أدري إن كان لا

http://kotob.has.it

يزال في عمله في جامعة لندن أم أحيل إلى التقاعد (المعاش).

وزرت جامعة أدنبره «اسكتلنده» فكان المستشرق الذي يرأس الدراسات الإسلامية فيها قسيساً بلباس مدني وقد وضع لقبه الديني مع إسمه على باب بيته.

وفي جامعة «جلاسكو» (اسكتلندة أيضاً) كان رئيس الدراسات العربية فيها قسيساً عاش رئيساً للأرسالية التبشيرية في القدس قرابة عشرين سنة حتى أصبح يتكلم العربية كأهلها. وقد حدثني بذلك عن نفسه في هذه الزيارة، وكنت قد اجتمعت به قبل ذلك في المؤتمر الإسلامي المسيحي الذي انعقد في «بحمدون» (لبنان) عام ١٩٥٤.

وفي جامعة أكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية فيها يهودياً يتكلم العربية ببطء وصعوبة، وكان أيضاً يعمل في دائرة الإستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية وهناك تعلم العربية العامية، ثم عاد إلى بلاده انجلترا ليرأس هذا القسم في جامعة أكسفورد. ومن عجيب أني رأيت في منهاج دراساته التي يلقيها على طلاب الإستشراق: تفسير آيات من القرآن الكريم من الكشاف للزمخشري ـ وهو لا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية ـ ودراسة أحاديث من البخاري ومسلم، وأبواب من الفقه في أمهات كتب الحنفية والحنابلة، وسألته عن مراجع هذه الدراسات، فأخبرني أنها من كتب المستشرقين أمثال: جولد تسيهر، ومرجليوث، وشاخت، وحسبك بهؤلاء عنواناً على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين.

أما في جامعة كمبردج فكانت رئاسة قسم الدراسات العربية والإسلامية فيها للمستشرق المعروف «آربري» واختصاصه في اللغة العربية فحسب. وقد ورد إسمه آنفاً.

وقد قال لي ـ خلال أحاديثي معه ـ: بأننا ـ نحن المستشرقين ـ نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الإسلام، ومن الواجب أن لا نخوض في هذا الميدان لأنكم ـ أنتم المسلمين العرب ـ أقدر منا على الخوض في هذه الأبحاث، وربما قال هذا مجاملة أو اعتقاداً منه بصحته.

http://kotob.has.it

وفي مانشستر (انكلترا) اجتمعت بالبروفسور «روبسون» وكان يقابل سنن أبي داود على نسخة مخطوطة، وله كتابات في تاريخ الحديث، تنتمي فيها غالباً مع آراء المستشرقين المتحاملين، وقد حرصت على أن أبين له أن الدراسات الإستشراقية السابقة فيها تحامل وبعد عن الحقيقة، وتعرضت لآراء جولد تسيهر وأثبتُّ له أخطاءه التاريخية والعلمية، فكان مما أجاب به عنه: «لا شك أن المستشرقين في هذا العصر أكثر إطلاعاً على المصادر الإسلامية من جولد تسيهر نظراً لما طبع ونشر وعرف من مؤلفات إسلامية كانت غير معلومة في عصر جولد تسيهر، فقلت له: أرجو أن تكون أبحاثكم - المستشرقين في هذا العصر أقرب إلى الحق والأنصاف من جولد تسيهر، ومرجليوث، وأمثالهما. فقال: أرجو ذلك».

وفي جامعة «ليدن» بهولندا اجتمعت بالمستشرق الألماني اليهودي «شاخت» وهو الذي يحمل في عصرنا هذا رسالة «جولد تسيهر» في الدس على الإسلام والكيد له وتشويه حقائقه، وباحثته طويلاً في أخطاء «جولد تسيهر» وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا فأنكر ذلك أول الأمر، فضربت له مثلاً واحداً مما كتبه جولد تسيهر في تاريخ «السنة»، فاستغرب ذلك، ثم راجع كتاب جولد تسيهر - وكنا نجلس في مكتبته الخاصة - فقال: معك الحق أن جولد تسيهر أخطأ هنا، قلت له: هل هو مجرد خطأ؟ فاحتد وقال: لماذا تسيئون به الظن؟ فانتقلت إلى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان، وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي ما زعمه جولد تسيهر. وبعد مناقشة في هذا الموضوع قال: وهذا خطأ أيضاً من جولد تسيهر ألا يخطىء العلماء؟ قلت له: إن جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الإستشراقية التي تبني حكمها في التشريع الإسلامي على وقائع التاريخ نفسه، فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري؟ وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى إرضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سنوات من مقتل ابن الزبير؟ وهنا اصفر وجه «شاخت» وأخذ يفرك يداً بيد، وبدا عليه الغيظ والإضطراب، فأنهيت الحديث معه بأن قلت له: لقد كان مثل هذه «الأخطاء» كما تسميها أنت، تشتهر في

http://kotob.has.it

القرن الماضي، ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على أنها حقائق علمية، قبل أن نقرأ ـ نحن المسلمين ـ تلك المؤلفات إلا بعد موت مؤلفيها، أما الآن فأرجو أن تسمعوا منا ملاحظاتنا على «أخطائكم» لتصححوها في حياتكم قبل أن تتقرر كحقائق علمية.

ومن الملاحظ أن هذا المستشرق كان يدرس في جامعة القاهرة ـ فؤاد سابقاً ـ وله مؤلف في تاريخ التشريع الإسلامي كله دس وتحريف على أسلوب شيخه جولدتسيهر! . وفي جامعة «أبسلا» في السويد التقيت بالشيخ المستشرق «نيبرج» وهو الذي كان قد أشرف على تصحيح كتاب «الإنتصار لإبن الخيّاط» ـ على ما أظن ـ وطبعته قديماً «لجنة التأليف والترجمة في القاهرة» وجرى بيني وبينه حديث طويل كان أكثره حول أبحاث المستشرقين ومؤلفاتهم عن الإسلام وتاريخه، وجعلت «جولدتسيهر» محور الحديث عن المستشرقين، وذكرت له أمثلة من أخطائه وتحريفه للحقائق، فكان مما قاله بعد ذلك: أن جولدتسيهر كان في القرن الماضي ذا شهرة علمية ومرجعاً للمستشرقين، أما في هذا العصر ـ بعد انتشار الكتب المطبوعة في بلادكم عن العلوم الإسلامية ـ فلم يعد جولدتسيهر مرجعاً كما كان في القرن الماضي. . لقد مضى عهد جولدتسيهر في رأينا! . . وقد أتيح لي خلال تلك الرحلة أن أواصل زيارة الجامعات عدا ما ذكرته منها في عواصم كل من «بلجيكا» و«الدانيمرك» و«النرويج» و«فنلندا» و«ألمانيا» و«سويسرا» و«باريس» واجتمعت بمن كان موجوداً فيها حينئذ من المستشرقين.

ومما ذكرته آنفاً وما دوَّنته في مذكراتي عن المستشرقين الذين لقيتهم خلال تلك الرحلة «اتضحت لي الحقائق التالية:

أولاً : إن المستشرقين ـ في جمهورهم ـ لا يخلوا أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً، وقد يشذ عن ذلك أفراد،

http://kotob.has.it

ثانياً : إن الإستشراق في الدول الغربية غير الإستعمارية ـ كالدول السكندنافية ـ أضعف منه عند الدول الإستعمارية.

ثالثاً : إن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الإستعمارية يتخلون عن جولد تسيهر وأمثاله المفضوحين في تعصبهم.

رابعاً : إن الإستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة، وفي الدول الإستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب، يلقى منهما كل تأييد.

خامساً: إن الدول الإستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الإستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه لسمعة المسلمين.

ففي فرنسا لا يزال «بلاشير» و«ماسينيون» وهما شيخا المستشرقين الفرنسيين في وقتنا الحاضر يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شؤون العرب والمسلمين.

وفي انجلترا رأينا. . أن الإستشراق له مكان محترم في جامعات لندن وأكسفورد وكمبردج وأدنبرة وجلا سكو وغيرها، ويشرف عليه يهود وانجليز استعماريون ومبشرون، وهم يحرصون على أن تظل مؤلفات جولد تسيهر ومرجليوث ثم شاخت من بعدهما، هي المراجع الأصلية لطلاب الإستشراق من الغربيين، وللراغبين في حمل شهادة الدكتوراه عندهم من العرب والمسلمين وهم لا يوافقون أبداً على رسالة لطلب الدكتوراه يكون موضوعها **إنصاف المسلمين وكشف دسائس اولئك المستشرقين.**

وقد حدَّثنا الدكتور أمين المصري ـ وهو خريج كلية أصول الدين في الأزهر وكلية الآداب ومعهد التربية في جامعة القاهرة ـ عما لقيه من عناء في سبيل موضوع رسالته التي أراد أن يتقدم بها لأخذ شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعات انكلترا. لقد ذهب إليها منذ بضع سنوات لدراسة الفلسفة وأخذ شهادة الدكتوراه بها، وما كاد يطلع على برامج الدراسة ـ وخاصة دراسة العلوم الإسلامية فيها ـ حتى

http://kotob.has.it

هاله ما رآه من تحامل ودس في كتب المستشرقين، وخاصة «شاخت» فقرَّر أن يكون موضوع رسالته هو نقد كتاب شاخت في تاريخ الفقه الإسلامي. وتقدم إلى البروفسور «أندرسون» ليكون مشرفاً على تحضير هذه الرسالة وموافقاً على موضوعها، فأبى عليه هذا المستشرق أن يكون موضوع رسالته نقد كتاب «شاخت» وعبثاً حاول أن يوافق على ذلك، فلما يئس من جامعة لندن، ذهب إلى جامعة كمبردج وانتسب إليها وتقدم إلى المشرفين على الدراسات الإسلامية فيها برغبته في أن يكون موضوع رسالته للدكتوراه هو ما ذكرناه، فلم يبدوا رضاهم عن ذلك، وظن أن من الممكن موافقتهم أخيراً، ولكنهم قالوا له بصريح العبارة: إذا أردت أن تنجح في الدكتوراه فتجنب إنتقاد شاخت، فإن الجامعة لن تسمح لك بذلك، وعندئذ حوَّل موضوع رسالته إلى «معايير نقد الحديث عند المحدِّثين فوافقوا، ونجح في نوال الدكتوراه ـ وهو الآن استاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

هذه كلمة موجزة عما تحققته بنفسي عن المستشرقين، وخاصة كتب جولد تسيهر وآرائه، وقد أفردت لمناقشته فصلاً خاصاً في كتابي «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي». بينت فيه تحامل هذا المستشرق اليهودي، وتشويهه للحقائق، وتحريفه للنصوص، تأويله للوقائع التاريخية، وفق هدفه الذي سعى إليه، واعتماده على مصادر لا قيمة لها في نظر العلم وتكذيبه للمصادر العلمية المعترف بها عند أئمتنا وعلمائنا المحققين.

أما في أمريكا فالإستشراق فيها الآن يمثل ذروة العداء للإسلام والمسلمين، ويشرف على الدراسات الإسلامية في جامعاتها أشد أعداء الإسلام تعصباً وحقداً كما يتضح من أسماء أخطر المستشرقين ومؤلفاتهم التي ذكرناها قبل قليل.

ومن المؤلم أن طلاب العالم الإسلامي الذين يدرسون باللغة الإنجليزية في بلادهم لا يزالوا مضطرين إلى دخول الجامعات الإنجليزية والأمريكية، فلا يجد طلاب الدراسات الإسلامية أمامهم مراجع لدراستهم التي ينالون بها الدكتوراه غير تلك المراجع المسمومة، وهم لا يعرفون اللغة العربية، فتتقرر عندهم أن تلك الدسائس حقائق مأخوذة من كتب الفقهاء والعلماء المسلمين أنفسهم.

http://kotob.has.it

إن هذا مما يدعو جامعاتنا العربية للتفكير في إنشاء أقسام لفروع شهادة الدكتوراه باللغة الإنجليزية. وأعتقد أن ذلك من شأنه أن يحوِّل أنظار كثيرين من طلاب العالم الإسلامي عن جامعات الغرب إلى بلادنا العربية. فنصون هؤلاء من التأثر بدسائس المستشرقين المتعصبين الإستعماريين[1].

هذه الأمثلة وغيرها قطرات من سيل جارف، تدل على علاقة الإستشراق بالإستعمار وأهدافه الهدامة للأمة الإسلامية.

٤ ـ الدافع السياسي وهدفه[2]:

ظهرت الأهداف السياسية واضحة جلية، واتسع مداها باتساع رقعة الإستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر هـ/ التاسع عشر والعشرين م. واضطرت الدول الإستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد، وتدرس لهم دينها وآدابها، ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها، وقد اتجهوا في هذه المرحلة إلى العناية بالدين والشريعة، كما عنوا بالعادات السائدة، واللهجات العامية.

بعد تحرر البلاد الإسلامية عامة من الإستعمار، رأت الدوائر الإستعمارية أن حاجتها السياسية تقضي بأن يكون لها في قنصلياتها، وسفاراتها، ومندوبيها في الأمم المتحدة، وسائر المؤسسات الدولية، من لديهم زاد جيد من الدراسات الإستشراقية، ليقوم لهم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة، مرتبطة بالشعوب الإسلامية، وبلدان العالم الإسلامي، وقد يتسمون باسم ملحقين ثقافيين، أو غير ذلك من ألقاب، ومهما تهم السياسية كثيرة منها:

١ ـ الإتصال برجال الفكر والصحافة، وجميع أصحاب وسائل الإعلام

(١) مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون ص ٥١ ـ ٦٠.

(٢) للتوسع راجع: حبنكة أجنحة المكر ص ١٢٩، السباعي: الإستشراق ص ١٨ وبعدها؛ زقزوق: الإستشراق ص ٧٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

المقروءة والمسموعة والمرئية الخ، للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم، وبعدها بث الإتجاهات السياسية التي تريدها دولهم، عن طريق الرشاوي بالمال، أو بمركز حساس بالدولة المستقلة [المُسْتَغَلَّة]، أو حتى بالتهديد بالقتل أحياناً كثيرة.

٢ - الإتصال بالسياسيين، والتفاوض معهم لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم، ومحاولة بث الإتجاهات السياسية الإستعمارية فيهم، حسب ما تريده وتمليه عليهم دولهم الإستعمارية.

٣ - الإتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الأمة الإسلامية، وبث الإتجاهات السياسية التي تريدها دولهم، فيمن يريدون بثها في عملائهم من عبيد الجاه والمال، حتى ولو كان الثمن بيع الدين والأهل والوطن والخلان. وبالطبع العملاء قلة والحمد لله في الوطن الإسلامي، ولكن يجب إبادتهم أينما وجدوا، لأنهم عيون وجواسيس الدول المستعمرة في العالم، على الأمة العربية والإسلامية.

٤ - لا يزال حتى اليوم أكثر السفراء الغربيين، يتقنون اللغة العربية، ويتصلون برجال السياسية في الدول الإسلامية عامة، يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الإسلامية، بحجة توجيه النصح، وإسداء المعونة، بعد أن درسوا تماماً نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الإتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم؛ وإن كان بعض هؤلاء السفراء يدّعون عدم معرفتهم اللغة العربية أمام وسائل الإعلام، ليكونوا جواسيس لدولهم أيضاً بين الناطقين بلغة الضاد؛ إلى غير ذلك من أعمال قذرة.

وكم بث حاملو الدافع السياسي من المستشرقين الحاقدين، في شعوب العالم الإسلامي من دسائس، وأفكار مسمومة حاقدة، وكم استخدموا من أجراء لإثارة الفتن، وإقامة ثورات وانقلابات عسكرية لصالحهم الخاص، وكم زعّموا من عملاء لهم عجنوهم كما يريدون، حتى أصبحوا عبيداً لهم، ومفتونين بالغرب المزيَّف، عن طريق الرشاوي، سواء بالمال، أو بمركز حساس في الدولة المستقلة إسمياً

http://kotob.has.it

والمستغلة حقيقة، أو حتى بالتهديد بالقتل أحياناً. فكان هؤلاء العبيد لسانهم ضد شعوبهم المناضلة.

والحقيقة تثبت أن عمل المستشرقين كخبراء ومستشارين وباحثين في الشركات التجارية والبعثات العسكرية والأمنية والدبلوماسية والعلمية في العالم الإسلامي، تتيح لهم مثل هذه الوظائف المرموقة في بلادنا الإسلامية، إقامة علاقات وطيدة مع زعماء الطوائف، والأقليات، وقادة الأحزاب الجاهلية، وكبار أصحاب رؤوس الأموال؛ كما تتيح لهم جمع أدق المعلومات عن بلادنا، وإرسالها إلى الحاسوب المركزي في وكالة الإستخبارات الأمريكية، والبريطانية، والسوفياتية سابقاً، والفرنسية، والإسرائيلية، ولا تزال وكالة الإستخبارات الأمريكية من أخطر وأنشط وكالات الإستخبارات في العالم.

ولم يعد سراً معرفة أعدائنا، وإحاطتهم بأدق أسرارنا العسكرية والأمنية والإقتصادية والسياسية، كما أنه لم يعد سراً علاقاتهم المشبوهة مع زعماء الطوائف وقدرتهم على تحريك هذه الطوائف في أي وقت يريدون. هذه وهي بعض اهتمامات المستشرقين وأدوارهم في الربع الأول من القرن الخامس عشر هـ/الربع اوخير من القرن العشرين م، ومن المؤسف أن تلامذتهم يسوسون الأمور في كثير من الجامعات، وغيرها من دول العالم الثالث بعقلية أساتذتهم، وإن كانوا يقولون شيئاً آخر، يدّعون: إنهم وطنيون لا سلطان لأحد عليهم، ويفعلون ما يأمرهم به كيسنجر وبوش وغيرهما من زعماء البيت الأبيض؛ وللأسف لا يزال في أمتنا من يصدّق هؤلاء الطلبة القادة ويثق بهم، وإنها مأساة والله!!

وللأسف ما يزال الوضع ـ كما ذكرنا ـ في كثير من الدول العربية والإسلامية، فالمتسلطون على السياسة من عملاء الدول الكبرى يذيقون الشعوب المؤمنة، كل ألوان العذاب والإضطهاد، ويحاولون حتى تصفيتهم جسدياً وبالجملة.

ولكن لا بد للشعوب المؤمنة في النهاية من الإنتصار على الطغاة، حتى ولو كانوا عملاء لأكبر دول العالم. فالشعوب المؤمنة ستحرر من الطغاة والعملاء بقدرة الله تعالى، لأن الله جل وعلا قال: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾.

http://kotob.has.it

ومن خلال معرفتنا لهذا الدافع السياسي، نستطيع معرفة الهدف الغائي المرتبط به. إن هدف هذا الدافع هو تحقيق غايات سياسية، تريد تحقيقها الدول الموجهة لهذا النوع من الدراسات لتسيير دول العالم الإسلامي في أفلاكها.

٥ ـ الدافع العلمي وهدفه:

منذ أواخر القرن الحادي عشر هـ/ السابع عشر م وحتى اليوم، ظهر نفر قليل جداً من المستشرقين، أقبلوا على الدراسات الإستشراقية بدافع من حب الإطلاع، والبحث، والتمحيص على حضارات الأمم، وأديانها، وثقافاتها ولغاتها؛ وبالأخص لدراسة الدين الإسلامي والتراث العربي والإسلامي.

لقد قرأ هؤلاء ـ القلة جداً من المستشرقين ـ الكتب الدينية، وفحصها، وأدرك أن الدين الإسلامي هو دين سماوي، وهو خاتم الأديان، ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، يدعو إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله، وهو دعوة إلى الحق والخير والصلاح.

وكان هؤلاء النفر من المستشرقين أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف.

لذلك جاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق، وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين. ومنهم من اهتدى بدراسته إلى نور الإيمان، وأنعم الله عليه بالإسلام الدين الحنيف الحق، فآمن به، وانتمى إلى الأمة الإسلامية الخالدة.

على أنَّ هؤلاء قلَّما يوجدون، إلا حين يكون لهم من الموارد الخاصة، ما يمكنهم من الإنصراف إلى الدراسات الإستشراقية بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجرَّدة عن الهوى الجانح لا تلقى رواجاً، لا عند رجال السياسة، ولا عند رجال الدين، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمَّ فهي لا تدر عليهم ربحاً ولا مالاً، ولا مكاسب ومغانم؛ ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين. وهؤلاء مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء، والإستنتاجات البعيدة عن

http://kotob.has.it

الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها. ومع ذلك فهذه الفئة النادرة من المستشرقين، والتي تعد على الأصابع، أسلمُ فئات المستشرقين في هدافها، وأقلها خطراً، إذ سرعان ما يرجع هؤلاء إلى الحق والصدق، والواقع، حين يتبين لهم. ولكنهم يلقون عنتاً، واضطهاداً، واستهجاناً، واحتقاراً وحتى ظلماً من المستشرقين الباقين، وحتى من رجال السياسة والحكم في بلادهم، فيتهمونهم بالإنحراف عن النهج العلمي السليم، أو الإنسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم.

ومن بين الأمثلة على ذلك المستشرق «ريتشارد سيمون» الذي تناول في كتابه «التاريخ النقدي لعقائد وعادات أمم الشرق» [عام ١١٣٦ هـ/١٦٨٢ م] عقائد وعادات المسلمين في وضوح واتزان، مستنداً في عرضه لها على مراجع لعلماء المسلمين، مبدياً تقديره وإعجابه بالعادات الإسلامية. وقد اتهمه المستشرقون الباقون وخاصة «أرنولد» بأنه كان في حديثه عن الإسلام موضوعياً أكثر من اللازم، عندها نصحه «سيمون» بأن يتأمل التعاليم الأخلاقية الرائعة للأخلاقيين الإسلاميين. كذلك كان الفيلسوف «بيير بايل» من المعجبين بالتسامح الإسلامي، وقد ظهر أثر ذلك في عرضه لحياة محمد ﷺ في قاموسه التاريخي والنقدي الذي ظهرت طبعته الأولى في روتردام عام ١١٥١ هـ/١٦٩٧ م.

أما المستشرق الألماني «يوهان. ج- رايسكة [١١٧٠ - ١٢٢٨ هـ/ ١٧١٦ - ١١٧٤ م] فكان من عباقرة علماء العربية في عصره؛ ولكن حاربه رجال اللاهوت، كما حاربه رجال عصره وتجاهلوه، وكل ذلك يعود إلى موقفه الإيجابي من الإسلام في كتاب له باللاتينية. لقد رفض وصف النبي محمد ﷺ بالتضليل أو الكذب، أو وصف دين الإسلام بأنه خرافات مضحكة - كما كان ذلك سائداً حينذاك - كذلك رفض تقسيم تاريخ العالم إلى تاريخ مقدس وتاريخ غير مقدس،

http://kotob.has.it

ووضع العالم الإسلامي في قلب التاريخ العالمي. وفوق ذلك عبَّر عن آرائه بأعظم قدر من الصراحة، غير مكترث بكل العواقب المترتبة على ذلك. وقد جرَّت آراؤه عليه ويلات كثيرة جداً، فعاش طول حياته في ضائقة مالية، ومات مسلولاً بائساً فقيراً معدماً في الثامنة والخمسين من عمره. وقال عنه المستشرق «فوك»: «... لقد أصبح شهيد الأدب العربي، وصارت حياته تاريخاً لتلك الآلام التي سجلها في مذكراته... وقد كان من المخجل أن أحداً من الرجال البارزين ـ في عصره ـ لم يعرف الأهمية الفائقة لهذا الرجل العبقري الذي كان من أعظم علماء العربية..»[1].

ومن هؤلاء المستشرقين من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام؛ من أمثال: بوركهارت، وكرنكوف، وزونستين، وشنيتسر، وفلوري، وميشو بيللر، ومار مادروك، وفيلبي، وجرمانوس. وهناك عدد كبير من البولونيين. وهناك أحد عشر ألمانياً أشهروا إسلامهم في برلين وتسموا بأسماء إسلامية. وهناك عدد أسلم على يد شيخ الأزهر ومنهم: الدكتورة وارزولايان الألمانية، وسمت نفسها سامية الأزهرية؛ وهناك الأمريكيان: خديجة دلتك، وليورس الشيخ محمد الأزهري. وهناك السويسريان: جميلة زوسترنج والبرت كادلر. وهناك البريطانيون: المستشرق جونس، والصحفي لويس هارد الذي أطلق على نفسه اسم محمد يوسف، وإيڤون إيڤيت كوكا وقد سمت نفسها إيناس غلام قاسم[1]. ومنهم لا يكتفي بإشهار إسلامه، بل يكرِّس حياته الإيمانية في الكتابة عن الإسلام الدين الحنيف القويم، والدفاع عنه في أوساط قومه الغربيين ـ كما ذكرنا في الفصل الأول ـ وهؤلاء يطعن فيهم المستشرقون المتعصبون كثيراً.

ومن هؤلاء المستشرقين الذين أعطاهم الله نور الإيمان، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: **ليو بولد ڤايس** النمساوي الذي سمى نفسه **محمد أسد**، وألَّف

Fueck: p: 108 etc.

(١) راجع العقيقي: المستشرقون جـ ٣ ص ٦٢١ وبعدها.

http://kotob.has.it

كتاباً سماه «الإسلام على مفترق الطرق»، ومما قاله في كتابه: «. . . إن اليونانيين والرومانيين نظروا إلى أنفسهم على أنهم وحدهم المتمدينون. أما من كان أجنبياً عنهم، وعلى الأخص أولئك الذين كانوا يعيشون شرق البحر المتوسط، فقد كان اليونانيون والرومانيون يطلقون عليهم لفظ «البرابرة». . . ثم إن احتقارهم إلى حد بعيد أو قريب لكل ما ليس أوروبياً من أجناس الناس وشعوبهم قد أصبح إحدى الميزات البارزة في المدنية الغربية. على أن هذا وحده لا يكفي لإظهار ما يكنه الأوروبيون نحو الإسلام خاصة. . . . لا تجد موقف الأوروبي موقف كره في غير مبالاة فحسب كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات: بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدود من التعصب الشديد. وهذا الكره ليس عقلياً فحسب، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية. قد لا تتقبل أوروبة تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير. إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب. حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام. ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكنه أن يعالج على أنه موضوع بحت في البحث العلمي، بل على إنه متهم يقف أمام قضاته. إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصياً بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور «اعتبار الأسباب المخففة». وعلى الجملة فإن طريقة الإستقراء والإستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التي انشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى، أي إن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها. ويختار المستشرقون شهودهم حسب الإستنتاج الذي يقصدون أن يصلوا إليه مبدئياً. وإذ تعذّر عليهم الإختيار العرفي للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن، أو تأولوا الشهادات بروح غير

http://kotob.has.it

علمي من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أي من قبل المسلمين أنفسهم. وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبة. وليس ذلك قاصراً على بلد دون آخر. إنك تجده في انكلترا والمانية، في الروسية وفرنسة، وفي إيطالية وهولندة، وبكلمة واحدة، في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام. ويظهر أنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة، حقيقية أو خيالية ـ ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد. وبما أن هؤلاء المستشرقين ليسوا سلالة خاصة، ولكنهم طلائع مدنيتهم وطلائع بيئتهم الإجتماعية، فإننا من أجل ذلك يجب أن نصل ضرورة إلى أن نستنتج أن في العقل الأوروبي على العموم ـ لسبب ما ـ ميلاً عن الإسلام بما هو دين وبما هو ثقافة...»[1].

والمستشرق الفرنسي الفنان «دينية» الذي عاش في الجزائر، فأعجب بالإسلام، وآمن بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وبعدها أعلن إسلامه وتسمى باسم «ناصر الدين دينية»، وألَّف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ. وله كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» بيَّن فيه تحامل قومه الغربيين على الإسلام ورسوله، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها.

ومنهم أيضاً المستشرق «عبد الكريم جرمانوس» وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند عام ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٠ م. وعاش خمساً وتسعين عاماً؛ وكان يتمنى أن يعيش مائة عام لفهمها. كان عضواً في المجمع اللغوي في القاهرة. أحبَّ الإسلام واللغة العربية وخدمهما. ألَّف أكثر من مائة وخمسين كتاباً عن الإسلام، منها:

---

(١) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق ص ٥٢ وبعدها.

http://kotob.has.it

١ ـ الله أكبر.
٢ ـ معاني القرآن الكريم.
٣ ـ دراسات في التركيبات اللغوية العربية.
٤ ـ الحركات الحديثة في الإسلام.
٥ ـ شوامخ الأدب العربي.

ومنهم أيضاً الطبيب الفرنسي «**موريس بوكاي**» صاحب كتاب «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»، الذي أثبت فيه موافقة ما جاء في القرآن الكريم لأحدث الحقائق العلمية التي توصل إليها الناس بوسائلهم، بخلاف ما في الكتب التي يزعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنها مقدسة. وبعد إثبات ما في القرآن الكريم من الحقائق العلمية الحديثة يقول موريس بوكاي: «... وإن هذه المقارنة قد حملتني على إبداء الملاحظة التالية، وهي: كيف أمكن لمحمد أن يتناول قبل أربعة عشر قرناً حقائق علمية في القرآن لم يكتشفها إلا التقدم العلمي في القرون الحديثة، لو لم يكن القرآن وحياً منزلاً لا شك فيه، ولا ارتياب في نصوصه؟...... وهكذا يتقرر لدينا من جديد أن حقائق القرآن العلمية كما شرحناها في محلها سابقاً، تدل جميعها على أن نصوص القرآن نصوص لا دخل ليد البشر فيها، وإنها وحي لا شك فيه...»[1].

من خلال هذا العرض السريع لدوافع المستشرقين وأهدافهم المختلفة، التي كثيراً ما كانت تتداخل مع بعضها البعض، يتضح لنا أن غالبية المستشرقين متعصبون علينا، وأن المنصفين قلائل جداً جداً. والمستشرقون ينقسمون بذلك إلى فئات:

١ ـ فريق من طلاب الأساطير والغرائب، إفتروا على الإسلام الدين الحنيف، ورسوله الأمين محمد ﷺ؛ واخترع خيالهم المريض حول ذلك الإفتراءات والأقاصيص الكاذبة.

---

(١) موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص: ٢٠٩.

http://kotob.has.it

٢ ـ فريق من المتغطرسين المتكبرين الذين أخذتهم العزّة بالإثم، وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، فراحت أقلامهم تقطر حقداً وعداوة وطعنا بالإسلام الحنيف ونبيه ﷺ؛ منهم في القرن الثاني عشر هـ/الثامن عشر م على سبيل المثال: «بدويل» و«بريدو» و«سيل» الذي كان لكتاباته الحاقدة المسمومة على ديننا ونبينا أثر كبير في الغرب لمدة طويلة. ومنهم من القرن الثالث عشر هـ/ الثامن عشر م «فولدكة» و«جولد تسيهر» و«ڤلها وزن». ويتساوى مع هؤلاء في الحقد والعداوة للإسلام والمسلمين، مجموعة من الملحدين الذين ينالون من الإسلام نيلهم من النصرانية.

٣ ـ فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمي المجرّد، ولكن هؤلاء انحرفوا عن جادة الصواب، وأخذوا يشككون في صحة الرسالة الإسلامية، وفي التوحيد الإسلامي، وفي القرآن الكريم من حيث مصدره أو نصه، وفي صحة الوحي الإلهي على الرسول محمد ﷺ، وفي الحديث النبوي الشريف من حيث صحته، وفي قيمة الفقه الإسلامي الذاتية، وفي قدرة اللغة العربية على التطور... الخ.

٤ ـ فريق من المرتزقة الذين جنّدوا دراساتهم وبحوثهم في خدمة المصالح الغربية الإقتصادية والسياسية والإستعمارية.

٥ ـ وهناك فريق إلتزم في دراسته للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية. ولكن مع ذلك لا يجوز أن يعتمد المسلمون في فهم دينهم على كتب المستشرقين، مهما قيل في مدحهم والثناء عليهم، والإشادة بحيادهم؛ وأتحدى أن يكون هناك مستشرق منصف فيما يكتب عن الإسلام والمسلمين؛ بل لا يجوز الإعتماد فيما نكتبه عن الإسلام، على أقوال المستشرقين، ولو كانوا مسلمين، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ ثبت أن نفراً منهم أسلم خلال وجوده في بلدان العالم الإسلامي لغاية في نفوسهم، وارتدوا عن الإسلام عندما عادوا إلى أوطانهم، وأدوا الدور الذي كان مطلوباً منهم.

http://kotob.has.it

٢ ـ إن بعضهم كـان متخصصاً بـالعلوم الفلسفيـة، وأطلع من خـلال أبحـاثـه على مؤلفات غلاة الصوفية مثلاً الذين يؤمنـون بالحلول ووحـدة الوجـود، ثم راحوا يكتبون عن الإسلام من خلال مناهج الصوفيين الذين أشربوا حبها.

٣ ـ هناك آخرون منهم مزجوا بين الإسلام وعادات وتقاليد الغربيين، وهذا المـزيج المشوَّه أسموه إسلاماً.

ومن سلم من هـذه الإنحرافـات من المستشرقين لا يستـطيع الكتـابـة بعمق وشمولية عن العقائد الإسلامية أو غيرها من بقية العلوم والمعارف الإسـلامية، لأن لهذه العلوم رجالاً حفظ الله بهم دينه، وفي طليعتهم الصحابة، رضوان الله عليهم، والتابعون، ورجال خير القرون.

ليكتب إخواننا المستشرقون المسلمون عن انهيار وتفكـك الأسرة والمجتمـع الغـربي، وليقدمـوا لنا دراسـات وأبحاثـاً عن عقائـد وتصورات المغضـوب عليهم والضـالين، وعن الخرافـات والأساطيـر التي اتخذوهـا ديناً، وعن فسـاد الحضـارة الغربية، وعن نسبـة انتشار «السيـدا» عند الغـرب وأسبابـه ونتائجـه؛ وليكشفوا لنـا فضـائح المستشـرقين وفساد منـاهجهم، وليترجمـوا أمهات الكتب الإسـلاميـة إلى الإنجليـزية والألمـانية والفـرنسية والإيـطالية وغيـرها من اللغـات التي يجيدونهـا، وليكونوا دعـاة إلى الله في أقوامهم، وليعيـدوا النظر بجميـع التصورات والمفـاهيم المشوّهة عن الإسلام، التي سبق أن أخذوها عن بني قومهم، وليحرصوا على دراسة الإسلام وفهمه فهماً صحيحاً ليس فيـه أي غلو أو انحراف، هـذا ما ننصحهم بـه، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.

http://kotob.has.it

المستشرقون والإسلام: دوافع، تشكيك، أهداف، حقيقة الإسلام

يستطيع كل باحث عن تاريخ الإستشراق أن يتبين بما لا يدع مجالاً للشك، أن الهدف الديني كان وراء نشأة الإستشراق، ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا. وقد صاحب الإستشراق طوال مراحل حياته.

فالإستشراق بدأ بالقساوسة والرهبان، واستمر بعد ذلك. ومعظم المستشرقين هم من رجال الكهنوت. وكان هؤلاء مدفوعين بدافع الإنتصار للمسيحية، والرغبة في التبشير، وتنصير المسلمين الذين اكتسحوا أمبراطورياتهم، واستطاع دينهم الحنيف الحق، أن ينتصر ويغلب النصرانية المحرَّفة في نفوس أتباعها.

واتجه هؤلاء إلى محاربة الإسلام، وحماية النصارى من خطره، بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الإستسلام لهذا الدين القويم الحق.

وقد بدأوا بالطعن المتعمَّد في الإسلام، وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه، بغية إقناع جماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية، بأن الإسلام الحنيف الحبيب دين لا يستحق الإنتشار، وبأن المسلمين جميعاً قوم سفاكو دماء، همج، لصوص، منحطون خلقياً، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

وأهم مطاعنهم بالإسلام هي ما يلي:

http://kotob.has.it

١ ـ **لقد كان جل همهم التشكيك بصحة رسالة الإسلام على النبي محمد** ﷺ، والتشكيك بالمصدر الإلهي لهذا الدين السماوي، عن طريق الوحي الإلهي على محمد صلوات الله وسلامه عليه. فكلهم ينكر أن يكون الرسول ﷺ موحى إليه من عند رب العالمين، رب العرش العظيم، وبذلك فهم يتحيرون في تفسير مظاهر **الوحي** التي كان يراها أصحاب النبي رضوان الله عليهم أجمعين.

فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي محمد ﷺ؛ ومنهم من يفسرها بمرض نفسي؛ ومنهم من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي ﷺ حيناً بعد حين، ومنهم... ومنهم... وهكذا؛ وكأن الله جل وعلا لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي[1].

ونحن نقول لهم، إن حديث بدء **الوحي** هذا هو الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته. وفهم هذا الحديث واليقين به هما المدخل الذي لا بُدَّ منه إلى اليقين بسائر ما جاء به الرسول محمد ﷺ من إخباريات غيبية، وأوامر تشريعية.

فحقيقة **الوحي** هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده، ويُشرِّع بواسطة عقله ورأيه، والإنسان الذي يبلّغ عن ربِّه دون أن يغيِّر أو ينقص أو يزيد. من أجل هذا يهتم محترفو التشكيك بالإسلام من مستشرقين، ومبشرين، وكافرين، ومنافقين، وملحدين وغيرهم من المتشدقين المفتونين بجميع أقوال الغرب ضد

---

(١) للتوسع راجع فاطمة هدى نجا: دروس من السيرة النبوية ص ٦٧ وبعدها، عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ص ٩٧ وبعدها. محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ١٢ وبعدها ابن خلدون تاريخ جـ ٢ ص ٦ وبعدها. ابن الأثير: الكامل في التاريخ مجلد ٢ ص ٤٦ وبعدها. نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ص ٣٦٩ وبعدها. سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص ١٤ وبعدها. سهيل زكار: تاريخ العرب والإسلام ص ٤٤ وبعدها. محمد نمر الخطيب: من هدي القرآن ص ٢٠ وبعدها. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام جـ ١ ص ٧٨ وبعدها. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي جـ ٢ ص ٥٠ وبعدها. أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي جـ ١ ص ١٨٨ وبعدها. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي مجلد ٢ ص ٢٢ وبعدها.

http://kotob.has.it

الإسلام الدين الحنيف، وغيرهم من المغضوب عليهم والضالين والموتورين؛ يهتم هؤلاء جميعاً بمعالجة موضوع الوحي في حياة الرسول ﷺ، ويبذلون جُهداً فكرياً شاقاً، من أجل التلبيس في حقيقته، والخلط بينه وبين الإلهام، وحديث النفس، بل وحتى الصرع أحياناً. فهم يعلمون بأن موضوع الوحي هو منبع يقين المسلمين وإيمانهم، بما جاء به محمد ﷺ من عند الله. فلئن أتيح تشكيكهم بحقيقته، أمكن تكفيرهم، بكل ما قد يتفرع عنه من عقائد وأحكام؛ وأمكنهم بذلك أن يمهدوا لفكرة أن كل ما دعا إليه محمد ﷺ من المبادىء والأحكام التشريعية، ليس إلا من تفكيره الذاتي، وليس القرآن الكريم إلا من وحي أفكاره (قاتلهم الله). ومن أجل تحقيق هذه الغاية، أخذ محترفو الغزو الفكري يحاولون تأويل ظاهرة الوحي، وتحريفها عما تحدث به كتب صحاح السنة، وما يرويه المؤرخون في مصادرهم، ويحاولون إبعادها عن حقيقتها الظاهرة. وذهب كل منهم يسلك إلى ذلك ما يروق لخياله من فنون التصورات المتكلفة الغريبة. فبعضهم يتصور أن محمداً ﷺ لم يزل يفكّر حتى تكوّنت في نفسه بطريقة الكشف التدريجي المستمر، عقيدةً، كان يراها الكفيلة بالقضاء على الوثنية؛ وآخر يحاول إشاعة القول بأن محمداً إنما تعلم القرآن ومبادىء الإسلام من بحيرى الراهب، وهناك من يشيع بأن محمداً ﷺ كان رجلاً عصبياً، أو مصاباً بداء الصرع؛ وهناك. . . ، . . . وهناك. . . .

والمسلم المؤمن حين ينظر إلى ما يقوله محترفو الغزو الفكري، يرى أن الهدف والغاية من كل ذلك، هو التهرب من الإقرار بنبوة محمد ﷺ، ويدرك بجلاء ووضوح الحكمة الإلهية الباهرة، من بدء نزول الوحي عليه ﷺ بهذه الطريقة التي أجمعت عليها كتب الصحاح والمصادر الأولية. ويسأل سائل: لماذا رأى رسول الله ﷺ جبيريل بعيني رأسه لأول مرة، وقد كان بالإمكان أن يكون الوحي من وراء حجاب؟

- لماذا قذف الله في قلبه عليه الصلاة والسلام الرعب منه، والحيرة في فهم حقيقته، وقد كان ظاهر محبة الله لرسوله، وحفظه له يقتضي أن يُلقيَ السكينة في قلبه، ويربط على فؤاده، فلا يخاف ولا يرتعد؟.

http://kotob.has.it

- لماذا خشي على نفسه أن يكون هذا الذي تمثل له في الغار آتياً من الجن، ولم يرجّح على ذلك أن يكون ملكاً أو أميناً من عند الله؟.

- لماذا انفصل عنه بعد ذلك مدة طويلة، وجزع النبي ﷺ بسبب ذلك جزعاً عظيماً، حتى إنه كان يحاول - كما يروي الإمام البخاري - أن يتردى من شواهق الجبال؟

- لماذا. . .؟ لماذا. . .؟.

هذه أسئلة طبيعية بالنسبة للشكل الذي ابتدأ به الوحي، ولدى التفكير في أجوبتها نجدها تنطوي على كلمة باهرة، ألا وهي أن يجد المفكّر الحر فيها الحقيقة الناصعة الواقية عن الوقوع في شرك محترفي الغزو الفكري، والتأثر بأخيلتهم المتكلفة الباطلة والحاقدة. لقد فوجىء النبي محمد ﷺ وهو في غار حراء بجبريل عليه السلام أمامه، يراه بعينيه؛ وهو يقول له إقرأ حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست امرأً ذاتياً داخلياً، مردّه إلى حديث النفس المجرّد. وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات. وضمُّ الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات قائلاً في كل مرّة «إقرأ» يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي، ومبالغة في نفي ما قد يتصور، من أن الأمر لا يعدو كونه خيالاً داخلياً فقط.

ولقد داخله الخوف والرعب مما سمع ورأى، حتى إنه قطع خلوته في الغار، وأسرع عائداً إلى البيت يرجف فؤاده، لكي يتضح لكل مفكر عاقل، أن رسول الله ﷺ لم يكن متشوقاً للرسالة التي سيدعى إلى حملها وبثها في العالم، وأن ظاهرة الوحي هذه لم تأت منسجمة، أو متممة لشيء مما قد يتصوره أو يخطر في باله.

وإنما طرأت طروءاً مثيراً علي حياته، وفوجىء بها دون أي توقع سابق. وطبيعي أن هذا ليس شأن من يتدرج في التأمل والتفكير إلى أن تتكون في نفسه، بطريقة الكشف التدريجي المستمر، عقيدة يؤمن بالدعوة إليها.

ثم إن شيئاً من حالات الإلهام، أو حديث النفس، أو الإشراق الروحي، أو التأملات العلوية، لا يستدعي الخوف والرعب وامتقاع اللون. وليس ثمة أي انسجام بين التدرج في التفكير والتأمل من ناحية، ومفاجأة الخوف والرعب من ناحية

http://kotob.has.it

أخرى، وإلا لاقتضى ذلك أن يعيش عامة المفكرين والمتأملين نهباً لدفعات من الخوف والرعب المفاجأة المتلاحقة. وأنت أيها السائل خبير أن الخوف والرعبة، ورجفان الجسم، وتغيّر اللون، كل ذلك من الإنفعالات القسرية التي لا سبيل إلى اصطناعها والتمثيل بها، حتى لو فرضنا إمكان صدور المخادعة والتمثيل منه عليه الصلاة والسلام، وفرضنا المستحيل من انقلاب طباعه المعروفة قبل البعثة إلى عكس ذلك.

ويتجلى مزيد من صورة المفاجأة المخيفة لديه ﷺ في توهّمه بأن هذا الذي رآه وغتّه وكلّمه في الغار قد يكون آتياً من الجن، إذ قال لخديجة (رضي الله عنها) بعد أن أخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» أي من الجان. ولكنها طمأنته بأنه ليس ممن يطولهم أذى الشياطين والجان، لما فيه من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة.

وقد كان الله عز وجل قادراً أن يربط على قلب رسوله ويُطمئن نفسه بأن هذا الذي كلمه ليس إلا جبريل، ملك من ملائكة الله، جاء ليخبره أنه رسول الله إلى الناس، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت إظهار الإنفصال التام، بين شخصية محمد ﷺ قبل البعثة، وشخصيته بعدها. وبيان أن شيئاً من أركان العقيدة الإسلامية أو التشريع الإسلامي، لم يُطبخ في ذهن الرسول ﷺ سابقاً، ولم يتصور الدعوة إليه سلفاً.

ثم إن فيما ألهم الله به خديجة رضي الله عنها، من الذهاب به عليه الصلاة والسلام، إلى ورقة بن نوفل، وعرض الأمر عليه؛ تأكيداً من جانب آخر بأن هذا الذي فوجىء به عليه الصلاة والسلام، إنما هو الوحي الإلهي الذي كان قد أنزل على الأنبياء من قبله. وإزالة لغاشية اللَّبس التي كانت تحوم حول نفسه بالخوف والتصورات المختلفة عن تفسير ما رآه وسمعه.

أما انقطاع الوحي بعد ذلك، وتلبُّثه ستة أشهر أو ثلاث سنوات، على الخلاف المعروف فيه، فينطوي على مثل المعجزة الإلهية الرائعة، إذ في ذلك أبلغ الردّ على ما يفسّر به محترفو الغزو الفكري، الوحي النبوي، من أنه الإشراق النفسي

http://kotob.has.it

المنبعث لديه من طول التأمل والتكرار؛ وأنه أمر داخلي منبعث من ذاته نفسها.

لقد قضت الحكمة الإلهية أن يحتجب عنه الملك الذي رآه لأول مرة في غار حراء، مدة طويلة؛ وأن يستبد به القلق من أجل ذلك. ثم يتحول القلق لديه إلى خوف في نفسه من أن يكون الله عزّ وجل قد قلاه بعد أن أراد أن يشرّفه بالوحي ورسالة الإسلام، لسوء قد صدر منه. حتى لقد ضاقت الدنيا عليه، وراحت تحدثه نفسه، كلما وصل إلى ذروة جبل، أن يلقي بنفسه منها!.. إلى أن رأى ذات يوم الملك الذي رآه في حراء، وقدملأ شكله ما بين السماء والأرض يقول: يا محمد أنت رسول الله إلى الناس، فعاد مرَّة أخرى، وقد استبدّ به الخوف والرعب إلى البيت، حيث نزل عليه قوله تعالى: «يا أيها المدثر قم فأنذر»[1].

إن هذه الحالة التي مرَّ بها رسول الله ﷺ تجعل مجرَّد التفكير في كون الوحي الإلهي إلهاماً نفسياً ضرباً من الجنون، إذ أنه من البداهة بمكان، أن صاحب الإلهامات النفسية، والتأملات الفكرية، لا يمر إلهامه أو تأمله بمثل هذه الأحوال.

وإذاً فإن حديث بدء الوحي على النحو الذي ورد في الحديث الثابت الصحيح، ينطوي على تهديم كل ما يحاول المشككون لديننا الحنيف العظيم، ولنبينا الرسول الكريم ﷺ وللوحي الإلهي الأمين من تخييله إلى الناس في أمر الوحي والنبوة، التي أكرم الله بها محمداً عليه الصلاة والسلام. وإذا تبين لك ذلك أيها السائل الكريم، أدركت مدى الحكمة الإلهية العظيمة، في أن تكون بداءة الوحي على النحو الذي أراده الله عزّ وجل.

وربما عاد بعد ذلك محترفو التشكيك يسألون: فلماذا كان ينزل عليه ﷺ الوحي بعد ذلك وهو بين الكثير من أصحابه، فلا يرى الملك أحدٌ منهم سواه؟ والجواب أنه ليس من شرط وجود الموجودات أن ترى بالأبصار، إذ أن وسيلة الإبصار فينا محدودة بحدٍّ معيَّن. وإلا لاقتضى ذلك أن يصبح الشيء معدوماً إذا

---

(١) سورة المدّثر؛ آية ١ ـ ٢.

http://kotob.has.it

ابتعد عن البصر بعداً يمنع من رؤيته. على أن من اليسير على الله جل جلاله ـ وهو الخالق لهذه العيون المبصرة ـ أن يزيد في قوّة ما شاء منها فيرى ما لا تـراه العيون الأخرى، يقول «مالك بن بني» في هذا الصدد: «إن عمى الألوان مثلاً يقدم لنا حالة نموذجية، لا يمكن أن ترى فيها بعض الألوان بالنسبة لكل العيـون. وهنالـك أيضاً مجموعة من الإشعاعات الضوئية دون الضوء الأحمر وفوق الضوء البنفسجي لا تراها أعيننا، ولا شيء يثبت علمياً أنها كذلك بالنسبة لجميع العيون. فلقد تـوجد عيـون يمكن أن تكون أقل أو أكثر حساسية»[1].

ثم إن استمرار الوحي بعد ذلك يحمل نفس الدلالة على حقيقة الوحي، وأنه ليس كما أراد المتشككون، ظاهرة نفسية محضة، ونستطيع أن نجمل هذه الـدلالة فيما يلي:

١ ـ التمييـز الـواضـح بين القـرآن الكـريم والحـديث القـدسي. إذ كـان الرسول ﷺ يأمر بتسجيـل الأول فوراً، على حين يكتفي بـأن يستودع الثـاني ذاكرة أصحابه، لا لأن الحديث كلام من عنده لا علاقة للنبوة به، بل لأن القرآن الكريم موحى إليه بنفس اللفظ والحروف بواسطة جبـريل عليه السلام. أما الحديث فمعناه وحي من الله عزّ وجل. ولكن لفظه وتركيبه من عنده عليـه الصلاة والسـلام. فكان يحاذر أن يختلط كلام الله عز وجل الذي يتلقاه من جبريل بكلامه هو.

٢ ـ كان النبي ﷺ يُسأل عن بعض الأمور، فلا يجيب عليها، وربما مرّ على سكوته زمن طويل، حتى إذا أُنزلت آية من القرآن الكريم في شـأن ذلك السؤال، طلب السائل وتلا عليه ما نزل من القـرآن الكريم في شـأن سؤاله. وربمـا تصرف الرسول ﷺ في بعض الأمور على وجه معيَّن. فتنزل آيات من القرآن الكريم تصرفه عن ذلك الوجه، وربما انطوت على عتب أو لوم له..

٣ ـ كـان رسول الله ﷺ أميـاً. . وليس من الممكن أن يعلم إنسان بـواسـطة

---

(١) الظاهرة القرآنية ص ١٢٧.

http://kotob.has.it

المكاشفة النفسية حقائق تاريخية، كقصة يوسف. . وأم موسى حينما ألقت وليدها في اليم. . وقصة فرعون. . . ولقد كان هذا من جملة الحِكَم في كونه ﷺ أمياً، قال تعالى: ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾[2]. ولم يقف مشرك بعد هذا التحدي ليقول: إن محمداً ﷺ يقرأ ويكتب وليس أمياً، ومعظم أعداء الإسلام اليوم لا ينكرون أمية الرسول ﷺ.

٤ ـ كان الرسول ﷺ في حياته قبل البعثة صادقاً، أميناً، يصل الرحم، ويحمل الكل[3]، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق يشهد له بهذه الصفات الطيبة أهل مكة كلهم عندما قاموا بتجديد بناء الكعبة قبل البعثة بسنوات قلائل؛ وشهدوا له مرة أخرى عند الصفا عندما قال لهم: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جرّبنا عليك إلا صدقاً.

وأعداء الإسلام ـ في القديم والحديث ـ لا يجرؤون على اتهام محمد ﷺ بالكذب أو بالغدر والخيانة، اللهم إلا نفر قليل من المتأخرين الذين لا يعتد بقولهم.

ولقد ابتعث الله نبيه محمداً ﷺ بعد أن أتم الأربعين من عمره، وخلال هذه الفترة الزمنية، لم ينافس الزعماء في زعامتهم، ولا التجار في تجارتهم، ولم يكن من خطبائهم أو شعرائهم، وإنما كان يعيش حياة هادئة بعيدة عن الصخب والمغامرات.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٥٨.

(٣) الكل: العاجز.

(٤) للتوسع راجع نجا: دروس من السيرة ص ٤٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

هذا الرجل الصادق الأمين الأمي أخبر قومه بعد أربعين من سني عمره بأن الله سبحانه وتعالى أنزل عليه قرآناً وأخذ يتلو عليهم آيات من هذا القرآن، فزلزلت الأرض بهم زلزالها، وخشيوا أن يفتنهم إعجازه، ويسلبهم هذا الدين الإنفراد بسدانتهم لبيت الله الحرام، فأعلنوا حرباً على محمد ﷺ ومن آمن معه،

وتحداهم الله سبحانه وتعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن العظيم، أو بسورة من مثله، وقد نزل بلغتهم، وفيهم أهل البلاغة والفصاحة. قال تعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾**(١). وقال تعالى: **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾**(٢).

وعجز فصحاء الجزيرة وخطباؤها أن يأتوا بسورة من مثل كتاب الله تعالى، ولا يزال هذا التحدي قائماً، وسيبقى ما بقيت الحياة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ولو اجتمع أدباء العربية وعلماء اللغة على صعيد واحد، وأخذوا نصاً من القرآن الكريم ما كان لهم أن يحذفوا كلمة أو حرفاً من هذا النص ثم يستقيم المعنى، فالقرآن معجزة للخلق بلفظه ونظمه وأسلوبه وتأثيره وعلومه.

وإن صدق النبي ﷺ بعد أربعين سنة مع قومه، وأشتهاره فيهم بذلك يستدعي أن يكون الرسول ﷺ من قبل ذلك، صادقاً مع نفسه، ولذا فلا بدَّ أن يكون قد قضى في دراسته لظاهرة الوحي على أي شك يخايل لعينيه أو فكره.

وكأن هذه الآية جاءت رداً لدراسته الأولى لشأن نفسه مع الوحي: **﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتب من قبلك. لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾**(٣).

---

(١) سورة الإسراء، آية ٨٨.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣.

(٣) سورة يونس، آية ٩٤.

http://kotob.has.it

والكلمة التي استهل بها الوحي نجواه مع رسول الله ﷺ «إقرأ» تقدم لنا أروع، وأجمع، وأوجز جواب؛ فالعلم هو جوهر كل حضارة أقامها الإنسان على ظهر أرضه وكوكبه.

والإسلام قدَّم للدنيا حضارة متكاملة تدين لها كل الحضارات التي جاءت من بعده، حتى تلك التي استهدفته بشنآنها وعدوانها. لذلك نستطيع أن ندرك في يسر لماذا كانت أولى كلمات الله إلى رسوله «إقرأ» ولم تكن «تعبَّد» ولا «صل» ولا «صم» بل كانت «إقرأ».

هذه الكلمة «إقرأ» لخّصت جوهر الإسلام ومستقبله؛ فهو لن يكون دين تكريس ديني فحسب، بل ولا دين سلوك فحسب؛ إنما هو قبل ذلك، وفوق ذلك «دين حضارة». جاء ينشىء عالماً جديداً باقياً خالداً حتى نهاية البشر، حتى يوم القيامة[1]، قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2].

ولكن يستيقن الناس أجمعين، عبر الزمان كله، أنّ هذا الدين الحضاري هو عطاء السماء، فقد اختير أستاذه وبانيه، ذلك الذي لا عهد له من قبل بقلم ولا بكتاب. فالرسول محمد ﷺ لن يكون مخترعاً لهذا الدين ولحضارته، وإنما هو مبلّغ عن الله، ناقل عطاياه من السماء إلى الأرض.

فالرسول ﷺ لم يكن يطمح إلى النبوَّة، أو ذرَّة طموح لمجد ديني، ولم يعمل لبلوغ ذلك المجد بوسائل مصنوعة ومتكلفة. كان يرجو الله ربه، وكله أمل أن يعرف الحق بواسطة «الوحي» ثم يهديه إلى البشرية الحائرة، ويهديها إليه. ومكث «الوحي» ينزل ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت الآيات تنزل خلالها حسب الحوادث والأحوال؛ وهذه الفترة الطويلة كانت فترة تعلم وتعليم.

واتساق القرآن الكريم في أغراضه ومعانيه على طول المدة التي استغرقها

---

(١) للتوسع راجع نجا: دروس من السيرة ص ٧٨ وبعدها.
(٢) سورة الحجر، آية ٩.

http://kotob.has.it

تجمعه، يعتبر من وجوه إعجازه، فإن خواتيمه بعد حوالي ربع قرن جاءت مطابقة لفواتحه، يصدق بعضها بعضاً ويكمله، كأنما أُرسلت في نفس واحدة.

ونزول القرآن الكريم عن طريق «الوحي» على هذه الوتيرة مقصود للشارع الحكيم، فالزمن جزء من علاج النفوس، وسياسة الأمم وتقرير الأحكام. فالله عز وجل وعلا يُعلِّم رسوله خلالها، والرسول ﷺ يتلقى هذه المعارف الحيَّة ويُعلِّمها للناس، ويأخذهم بها أخذاً.

هذا هو حقيقة الوحي على الحبيب محمد صلوات الله وسلامه عليه. ولما كان هؤلاء المستشرقون ما بين يهود ونصارى، ويعترفون جميعاً بأنبياء «التوراة» وهم أقل شأناً في التاريخ والتأثير والمبادىء التي نادى بها ﷺ، ولهذا كان إنكارهم لنبوة الحبيب محمد ﷺ تعنتاً مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كقسس ورهبان ومبشرين الخ.

٢ - ويتبع إنكارهم هذا أن يكون القرآن الكريم العظيم، كتاباً منزَّلاً عليه من عند الله عز وجل وحين يفحمهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية، مما يستحيل معرفته عن أميٍّ مثل محمد ﷺ يفعلون ما فعله المشركون والجاهليون في عهد الحبيب ﷺ، من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتحيرون في ذلك، وحين يعييهم الردّ بما جاء في القرآن الكريم العظيم من حقائق علمية لم تُعرف سابقاً، وحتى لم يُكتشف إلا بعضها فقط، حتى هذا العصر؛ يرجعون ذلك إلى ذكاء أو عبقرية النبي ﷺ، فيقعون في حيرة أشد من السابق. ونحن نعلم أن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وصفه الله جل وعلا في القرآن الكريم **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾. فالقرآن الكريم هو كتاب المسلمين الأول، الذي تقوم على أساسه عقائد الدين الإسلامي وشريعته.** ومنه تنبثق أخلاق المسلمين وآدابهم. فإذا ثبت أنه وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإن الإيمان به يصبح أمراً لا مفرّ منه.

فالمسلم يؤمن بالله تعالى، بمعنى أنه يصدق بوجود الربِّ تبارك وتعالى، وأنه

http://kotob.has.it

عزّ وجلّ فاطر(١) السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، لا إله(٢) إلا هو، ولا ربّ غيره. وأنه جلّ وعلا موصوف بكل كمال، منزّه عن كل نقصان، وذلك لهداية الله تعالى له قبل كل شيء، ومصداق ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**﴾(٣)؛ وكذلك للأدلة النقلية والعقلية الكثيرة(٤).

ومن أجل ذلك اتجهت جهود المناهضين للإسلام قديماً وحديثاً إلى محاولة زعزعة الإعتقاد في صحة القرآن الكريم وفي مصدره. وكانوا يهدفون من وراء ذلك كله إلى إبطال القول بأنه وحي من الله جل وعلا إلى الرسول محمد ﷺ لهداية البشر.

لقد بذل المستشرقون المتحاملون على الإسلام، محاولات مستميتة لبيان أن القرآن الكريم، ليس وحياً من عند الله تعالى، وإنما هو من تأليف محمد ﷺ؛ وردّدوا أحياناً الإعتراضات التي قال بها الوثنيون قديماً ـ كما ذكرنا ـ رغم دحض القرآن الكريم لها. فالوثنيون زعموا أنه ﴿**إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . . .**﴾(٥)، وأن محمداً ﴿**. . . يعلمه بشر.**﴾(٦)، وأنه ﴿**. . . أساطير الأولين أكتتبها فهي تُملى عليه بُكرة وأصيلاً**﴾(٧).

والواقع أن القرآن الكريم يشرح حقيقة الدين عند الله، وتاريخ هذه الحقيقة يبسط الشبهات العارضة ويُفَنِّدُها، ويسوق أدلته، وهو على بيِّنة بآراء خصومة، ويتبع

---

(١) فاطر: خالق.

(٢) لا معبود بحق.

(٣) سورة الأعراف، آية ٤٣.

(٤) للتوسع راجع: أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم ص ١٣ وبعدها. سعيد حوى: الله جل جلاله ص ٩ وبعدها. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن ص: ٢٩ وبعدها. أبو الأعلى المودودي: مبادىء الإسلام ص ٦ وبعدها. مجلة المسلمون عدد ١ ـ ٩٥. محمد، ، قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح ص ١٧ وبعدها.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٤.

(٦) سورة النحل، آية ١٠٣.

(٧) سورة الفرقان، آية ٥.

http://kotob.has.it

أقصى ما يثار ضده، ثم يكر عليه بالحجة فيسحقه. وهذا بيان لحكمة نزول القرآن منجماً.

فالأسئلة التي كانت توجّه للنبي ﷺ، والتي ينتظر أن توجَّه إليه في مختلف العقائد والأحكام، وجدت إجابتها الشافية في القرآن الكريم. فالسؤال لا يمثل حاجة صاحبه وحدها، بل حاجات الناس على مرِّ الأيام.

وعندما تقرأ القرآن الكريم أيها الأخ الكريم، وتقرأ هذه الأجوبة المستفيضة، تشعر فيضاً من اليقين ينساب إلى قلبك، كأنها حسمت وساوس عُرضت لك، أو في الإمكان أن تُعرض.

فالقرآن الكريم رسول حي، تسأله فيجيبك، وتقرأه، أو تستمعُ إليه فيقنعك. إقرأ القرآن الكريم يا أخي المؤمن، وانظر كيف يؤسس عقيدة البعث والجزاء، وينوِّه لشمول الإرادة والقدرة في ثنايا إجابة على سؤال موجّه، وانظر كيف صيغت المعاني في اعتراض ودفع، واخذ ورد، وكأنها حوار سيّال، يتعدى أصحابه حتى يجمع الناس إلى آخر الدهر.

فالقرآن الكريم هو خطاب للعقل العام في البشر أجمعين. والإسلام أتى للعالم أجمعين: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[1]. وقد استوقف الأمر بـ «قل» نظر البعض، مثل: **﴿قل هو الله أحد﴾**[2]؛ **﴿قل يا أيها الكافرون﴾**[3]؛ **﴿قل أرأيتم أن أهلكني الله ومن معي﴾**[4]؛ **﴿قل هو الرحمن آمنا به﴾**[5]؛ **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾**[6]؛ **﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم﴾**[7]. وهذا تعليم من الله

---

(١) سورة الأبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١.
(٣) سورة الكافرون، الآية: ١.
(٤) سورة الملك، الآية: ٢٨.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

http://kotob.has.it

لرسوله، وتعليم من الرسول للناس. والخطاب للرسول ﷺ يتضمن أوامر إلى كل حي وجد في عهده، أو يوجد من بعده. وهذا بيان لحكمة نزول القرآن منجَّماً، إذ جاءت الآيات للرسول ﷺ قل كذا رداً على ما عرض له من أسئلة في أثناء تطوافه هنا وهناك يدعو إلى الله، ثم ثبت السؤال والجواب ليكون منهما علم، ينفع الناس كافة في جميع أنحاء العالم حتى آخر الدهر.

ولكن ليس من الضروري أن يقع سؤال ما لتأتي الإجابة عليه من لدن الله «قل»، بل ربما تكون الغاية منه التعريف بالإسلام ونبيه، تعريفاً مشبعاً مقنعاً يستأصل الريب قبل أن يولد.

فالرسول ﷺ ليس وسيطاً يحمل لك خيراً قدَّمته، ولا قرباناً يحمل عنك عقاباً استحققته. **فإذا تعلق قلبك أيها القارىء بالإيمان، فهو إيمان برب العالمين رب كل شيء؛ والإيمان ينبوع الحياة للإنسان، وقوة ساحرة، إذا استمكنت من شعاب القلب، وتغلغلت في أعماقه، تكاد تجعل المستحيل ممكناً.**

وعمل الرسول ﷺ ينتهي إلى هذا الحد، وهو وصل العقول والقلوب ببارئها، وإيضاح الصراط المستقيم لها. وعلى كل إنسان تحمل تبعيته في فعل الخير أو الشر بعد ذلك. انظر أيها القارىء إلى قوله تعالى جلت قدرته: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾**(1). ولم يكن الرسول ﷺ يعرف الغيب، بل هو كأي بشر آخر لا يدري ماذا يكسب غداً، ولا يُنتظر منه شيء من ذلك بعد أن انتهى إليه أمر الله، قال تعالى: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾**(2).

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٢٤.

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

http://kotob.has.it

والحقيقة إن لغة القرآن الكريم لها خصوصية التفرد، وقد عجزت فصاحة العرب وبلاغتهم ـ وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة ـ عن محاكاة لغة القرآن الكريم. وقد تحداهم الوحي ـ كما ذكرنا ـ أن يأتوا بسورة من مثله، وعجزوا عن قبول التحدي الذي لا يزال، وسيظل، وسيبقى قائماً حتى قيام الساعة.

فلو كان القرآن الكريم غير خارج عن العادة، لأتوا بمثله، أو حتى عرضوا من كلام فصحائهم وبلغائهم ما يعارضه. فلما لم يشتغلوا بذلك، عُلم أنهم فطنوا لخروج ذلك عن أوزان كلامهم وأساليب نظمهم وزالت أطماعهم عنهم.

ومع ذلك يقول المستشرق «جورج سيلG. Sale» في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، التي صدرت عام ١١٥٦ هـ/١٧٣٦ م: «... أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمرٌ لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح ـ مع ذلك ـ أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته، لم تكن معاونة يسيرة. وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الإعتراض عليه بذلك»[1]. وقد صادفت المقدمة التمهيدية للترجمة التي جزم فيها بتأليف الرسول ﷺ للقرآن الكريم نجاحاً عظيماً في أوروبا، الأمر الذي أدى بمستشرق آخر هو «كاسميرسكي» أن يجعل من مقدمة «جورج سيل» مقدمة لترجمته الفرنسية لمعاني القرآن الكريم التي صدرت عام ١٢٦١ هـ/١٨٤١ م. وقد استطاعت هذه المقدمة أن تثبت وجودها زمناً طويلاً جداً، كمصدر علمي موثوق به لدى المستشرقين من حيث اشتمالها على عرض شامل للدين الإسلامي[2]. وقد أصبحت قضية تأليف النبي ﷺ للقرآن الكريم لدى المستشرقين «أمراً لا يقبل الجدل»، كما ذكر «جورج سيل» في مقدمته؛ غير أن من المستشرقين من يذكر ذلك صراحة مثل

---

(١) نقلا عن اللبان ص ٤٤.

(٢) زقزوق: بحث في حولية كلية الشريعة بجامعة قطر ص: ١٠٩ وبعدها، البحث عنوانه: الإسلام في الفكر الثقافي. بلاشير: القرآن، نزوله ص: ١٩ وبعدها.

http://kotob.has.it

«جـ. سيل» وبعده «رينان» الذي اعتبر الرسالة المحمدية [بعثة الحبيب محمد ﷺ] إمتداداً للحركة الدينية التي كانت سائدة في عصر الرسول ﷺ دون أن تشتمل هذه الرسالـة على أي جديـد[1]. ومنهم من يذكـر ذلك بـطريق غير مبـاشر، كمـا يفعل المستشرقون المعاصرون اليوم، ليوهموا القارىء بأن رأيهم وكأنه استنتاج علمي.

وبما أن النبي محمد ﷺ هو مؤلف القرآن الكـريم (في نظرهم الخـاطىء)، فإن الفرية الإستشراقية تحاول أن تكون محبوكة قدر الإمكان، وذلك ببيان المصادر التي اعتمد عليها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه؛ وهنا يذهب الخيال الإستشراقي كـل مذهب لإثبـات مـزاعمـه البـاطلة. فمثـلاً يـرى المستشرق «ريتشـارد بل» مؤلف كتاب مقدمة القرآن الكريم[2]، أن النبي ﷺ قد اعتمد في كتابته للقرآن الكـريم على الكتاب المقـدس، وخاصـة على العهـد القـديم في قسم القصص. فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود وغيرهما مستمد من مصادر عربية. ولكن الجانب الأكبر من المـادة التي استعملها الـرسول ﷺ ليفسـر تعاليمـه ويدعمهـا قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية. وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السـابق في مكة، حيث كـان في المدينـة على اتصال بالجاليات اليهودية، وعن طريقها حصـل على قسط غير قليـل من المعرفـة بكتب موسىٰ [عليه السلام] على الأقل[3].

أما المستشرق (لوت) فيدَّعي إلى أن النبي ﷺ مدين بفكرة فواتح السور من مثل: «حم، وطسم، والم.. الخ» لتأثير اليهـودية، ظنـاً منه أن السـور التي بُدئت بهذه الفواتح مدنية، وقد خضع فيها النبي ﷺ لتأثير اليهود. ولو دقَّق في الأمر، لعلم أن سبعاً وعشرين سورة من تلك السور التسع والعشرين مكية؛ وأن اثنتين فقط من

---

(١) دراز: مدخل إلى القرآن الكريم ص: ١٣٠.

(٢) (بل) مستشرق من رجال الدين، أستاذ اللغة العربية بجامعة ادنبرة بانكلتـرة، صرف سنين عـديدة في دراسة القرآن الكريم. اكدَّ في أوَّل كتبه عن القرآن الكريم، العلاقات النصرانية بالنبي ﷺ وقد صدرت ترجمته الإنكليزية للقرآن الكريم في جـزأين في عامي ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٧ م، ١٣٥٩ هـ/ ١٩٣٩ م. (العقيقي جـ ٢ ص ٩٣ وبعدها).

(٣) للتوسع راجع اللبان ص ٤٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

هذه السور مدنية، وهما سورتا البقرة وآل عمران[1].

وبعد إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله تعالى، يستميتون ليثبتوا أنه ملفق من الديانتين اليهودية والمسيحية، كا رأينا، وليس لهم في ذلك أي مستند علمي، وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الإلتقاء بين الإسلام واليهودية والمسيحية.

والواقع أن المستشرقين اليهود أمثال «جولد تسيهر» و«شاخت» وغيرهما، هم أشد حرصاً على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه. أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى، إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به، وأخذه منه، وإنما فيه مبادىء أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه منها، وكأن المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادؤها الأخلاقية؛ وكأن الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر؛ فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

إنهم أغبياء ولا شك، فهم لا يعرفون أن الأنبياء والرسل جميعاً استقوا من منبع واحد؛ فالأديان كلها من منبع واحد؛ منها ما حرِّف كاليهودية والمسيحية؛ ومنها ما بقي بأمر الله تعالى كالإسلام؛ لأنه آخر ما أُنزل على الناس، وسيبقى خالداً حتى يوم القيامة، قال تعالى جلَّت قدرته في كتابه الكريم: ﴿**إنا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2].

أما المستشرق (بارت) فيدَّعي أن معلومات الناس في مكة في عصر النبي ﷺ عن النصرانية كانت محدودة وناقصة؛ ولم يكن النصارى العرب سائرين في معتقداتهم في الإتجاه الصحيح؛ ولهذا كان هناك مجال لظهور الآراء البدعية المنحرفة. ولولا ذلك لما كان محمد ﷺ على علم بأمثال تلك الآراء التي تنكر صلب المسيح [عليه السلام] وتذهب إلى أن نظرية التثليث النصرانية لا تعني الأب

---

(١) للتوسع راجع غلاب: نظرات استشراقية ص ٤١ وبعدها.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

http://kotob.has.it

والإبن وروح القدس، وإنما تعني الله وعيسى ومريم. وعلى أية حال فإن المعارف التي استطاع محمد ﷺ أن يجمعها عن حياة المسيح [عليه السلام] وأثره كانت قليلة محدودة. وعلى العكس من ذلك كان محمد ﷺ يعرف الشيء الكثير عن ميلاد عيسى [عليه السلام] وعن أمه مريم[1]. ويريد (بارت) أن يؤكد بذلك أن المعلومات التي وردت في القرآن الكريم عن النصرانية، وعن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وعن أمه، كانت المعلومات الشائعة آنذاك إما خاطئة أو محدودة، فمحمد إذن هو مؤلف القرآن الكريم. ويزعم المستشرقون أيضاً أن محمداً ﷺ تعرَّف على النصرانية من بحيرى الراهب في رحلة عمه التجارية إلى الشام [عندما كان صغيراً]، وقد تمثل محمد ﷺ في نفسه ما سمعه من بحيرى الراهب، وما عرفه من اتباع اليهودية؛ وخرج على الناس يعلن دينه الجديد الذي لفّقه من الدينين الكبيرين.

إن هؤلاء المستشرقين يصرون على تضخيم أثر مقابلة الرسول ﷺ وهو صغير لبحيرى الراهب، رغم أنه لا يوجد لذلك سند صحيح[2].

إن قول هؤلاء المستشرقين كلها مزاعم واهية، لا حظَّ لها من العلم، ولا سند لها من التاريخ، وإنما هي مزاعم وافتراضات وتخمينات فقط لا غير؛ لإظهار وجود مصدر بشري للقرآن الكريم. وهذا كذب وبهتان ولا شك؛ وقد تناول الدكتور دراز في كتابه مدخل إلى القرآن جميع هذه الإفتراضات، وأظهر زيفها وبطلانها[3]. لذلك نحن نرفض المقياس الذي يريد أن يطبقه المستشرقون على علاقة هذه الأديان بعضها ببعض، وهو مقياس التأثير والتأثر، كما لو أن الأمر يدور حول شيء إنساني يخضع لهذا المقياس الإنساني. كما أننا نرفض منهج المستشرقين في دراسة الإسلام لأنه منهج مصطنع جاء وليد اللاهوت الأوروبي.

---

(١) للتوسع راجع زقزوق: الإسلام في الفكر الغربي ص ٦٧ وبعدها.

(٢) للتوسع راجع ابن هشام: السيرة مجلد ١ ص ١٨٠ وبعدها. دراز: مدخل ص ١٣٤ هامش ١؛ نجا: الغرر ص ١٤٠ وبعدها، دروس من السيرة ص ٣٥ وبعدها. محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٥ وبعدها.

(٣) للتوسع راجع محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن ص ١٦٥ وبعدها.

http://kotob.has.it

أما المستشرق (دوزي) [ت ١٣٠٤ هـ/١٨٨٣ م] فقد أطلق عبارات مريضة عن القرآن الكريم؛ فهو يقول إن القرآن الكريم «كتاب ذو ذوق رديء للغاية ولا يوجد فيه إلا القليل، وفيه إطناب بالغ وممل إلى حد بعيد..»[1].

ونحن لا يأخذنا العجب أن يصدر عن (دوزي) وأمثاله من المستشرقين مثل هذا الهراء، ولكننا نتساءل فقط. من أين له الأهلية لإصدار مثل هذا الحكم على القرآن الكريم؟ إن علم الإستشراق الذي يتحدث باسمه لا يمكن أن يعطي له مثل هذا الحق على الإطلاق، وبالتالي فهي الأحقاد والنزعات والأهواء التي تدفعه إلى ذلك. ومن هذا شأنه وتفكيره لا يمكن أن يصل إلى إدراك ما ينطوي عليه القرآن الكريم العظيم من فصاحة وبلاغة وإعجاز، أجبرت المشركين على الإعتراف بها، فراح مندوبهم الوليد بن المغيرة «بعد سماعه من الرسول ﷺ بضع آيات من سورة [فصِّلت] عائداً إلى قومه مشدوهاً؛ فقالوا له: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: «ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة؛ يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم...»[2].

وشتان بين موقف «دوزي» وموقف «الوليد بن المغيرة». فالوليد بن المغيرة قال ما قال عن تذوُّق سليم لبلاغة القرآن الكريم؛ أما المستشرق «دوزي» فمن أين له مثل هذا التذوق وهو غريب عن هذه اللغة، وأجنبي عن روحها، ولو حتى برع في معرفة ألفاظها.

ونحن نرد عليهم ونقول:

١ ـ زعم المستشرقون بأن القرآن الكريم من وضع محمدﷺ، وهم لا يملكون دليلاً على ذلك، لا بل إن الأدلة تصفعهم، فرسول الله ﷺ لبث ثلاثاً وعشرين عاماً يتلو القرآن الكريم، ويحدث قومه بالحديث النبوي، ولم نجد تقارباً

---

(١) زقزوق: الإسلام في الفكر الإستشراقي ص ١١٨.
(٢) للتوسع راجع ابن هشام: السيرة جـ١ ص ٢٩٣ وبعدها.

http://kotob.has.it

أو تشابهاً بين القرآن والحديث، ومع أن الرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم، فهو لا يستطيع أن يأتي بسورة، بل بآية تشبه آيات القرآن الكريم، ويستحيل أن يكون القرآن الكريم من وضعه، والحديث من وضعه، ولا يكون تشابه ولو في بعض الآيات والأحاديث على الأقل.

٢ ـ **كان ﷺ يأتيه القرآن الكريم على غير ما عمل فيعاتبه**، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك**﴾(١). وعن ابن مكتوم قال تعالى: ﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى**﴾(٢). وجاءه قول الله تعالى بعد أن صلى على المنافق عبد الله بن أبي بن أبي سلول: ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره**﴾(٣). وفي قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما قال تعالى معاتبا نبيه: ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾(٤).

فلو كان القرآن من وضعه، لما ذكر فيه مثل هذه الأخطاء، بل لو كان ﷺ يملك أن يخفي خبراً واحداً لما أصبحت هذه الأخبار قرآنا يتلوه المسلمون على مرّ الأزمان والعصور، قال جل وعلا: ﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين**﴾(٥). وقال تعالى: ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾(٦).

---

(١) سورة التحريم: الآية: ٦٦.

(٢) سورة عبس، الآيات: ١ ـ ٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ٨٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٥) سورة يونس، الآية ٣٧.

(٦) سورة الحاقة، الآية: ٤٤ ـ ٤٧.

http://kotob.has.it

٣ ـ أخبر القرآن الكريم عن أمور غيبية ما لبثت أن حدثت: وعد الله سبحانه وتعالى نبيه بالنصر، والتمكين في الأرض، فقال جل وعلا: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾**[١]. وقال تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾**[٢]. وقال تعالى: **﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾**[٣].

ولقد أظهر الله دينه على الدين كله، وعصم نبيه من الناس، ونصره على المشركين والمنافقين، وفتح الله جل وعلا على خاتم أنبيائه ورسله: مكة والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن، وبعد وفاة الحبيب ﷺ بقليل تم فتح بلاد فارس والعراق والشام ومصر، ومعظم بلاد العالم، وأصبح الدين كله لله.

وكذلك تحقق وعد الله سبحانه وتعالى بظهور الروم على الفرس في بضع سنين، قال تعالى: **﴿ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[٤]. وقد تحقق وعد الله عز وجل، مع أن دولة الروم كانت في منتهى الضعف، وكانت دولة فارس في أوج قوتها، والله جل وعلا لا يخلف وعده ولكن المشركين والمنافقين والمستشرقين والمفتونين بالغرب لا يعلمون.

كذلك تحقق وعد الله لنبيه ﷺ بفتح مكة المكرمة، ودخول المسجد الحرام، آمنين مقصرين، قال تعالى: **﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين. محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم**

---

(١) سورة الصف، الآية: ٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢١

(٤) سورة الروم، الآيات من ١ إلى ٥.

http://kotob.has.it

تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾[1]. كذلك تحقق وعد الله عز وجل بموت أبي لهب وامرأته على الكفر، كما تحقق وعده تعالى بهزيمة المشركين في بدر.

إن المشركين في مكة واليهود في المدينة، كانوا أشد حقداً وأكثر عداوة لمحمد ﷺ من المستشرقين، وقد طرقت مسامعهم هذه الآيات عند نزولها، وكانوا يتمنون أن لا تتحقق، ولكنها تحققت في وقتها المحدد، وفي الكيفية التي وعد الله بها المؤمنين.

فإذا كان القرآن الكريم من عند محمد ﷺ، كما يزعم المستشرقون الأفاكون، ما الذي يجعله يغامر مثل هذه المغامرة التي تكتنفها المخاطر؟.

وأي إنسان يعرف ماذا سيحدث له بعد لحظات؟. وما يزال القرآن الكريم يتحدى المستشرقين اليوم، كما كان يتحدى المشركين بالأمس، وفي هذا دليل أيضاً على أنه تنزيل العزيز الحميد.

٤ ـ فرية أخذ القرآن الكريم عن اليهود والنصارى:

قال المستشرقون: إن محمداً ﷺ أخذ القرآن الكريم، وأصول دينه، وأخبار الأنبياء والمرسلين عن الراهب بحيرى عندما لقيه في الشام، وعن ورقة بن نوفل الذي كان من متنصرة العرب العلماء بالنصرانية وأحد أقرباء خديجة (رضي الله عنها)، وعن الغلام الرومي الذي كان يعمل حداداً في مكة المكرمة. وهذه الإدعاءات ليست جديدة، والمستشرقون يرددون أقوال المشركين في مكة واليهود في المدينة. قال تعالى جلت قدرته: **﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾**[3].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

http://kotob.has.it

وبالله عليكم أيها الناس، ألا يحق لنا أن نسأل هؤلاء الذين يجادلون في مصدر القرآن الكريم، ويرون أنه مأخوذ من النصرانية واليهودية والبيئة العربية نقول لهم: ما هو المانع أن يكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الوحي الإلهي، الذي أقام الإتصال بين السماء والأرض على مدى تاريخ البشرية.

وما هو المانع يأن يكون القرآن الكريم وحياً أصيلاً مأخوذاً من النبع نفسه الذي اغترفت منه الديانات السماوية الصحيحة؟.

لماذا تحرمون أيها المستشرقون المتكبرون على الإسلام، ما تبيحونه لليهودية والنصرانية؟ أليس مبدأ جواز إتصال السماء بالأرض عن طريق الوحي مبدأ مسلمٌ به؟ لماذا إذن تحتكرونه لليهودية والنصراينة فقط، وتمنعونه عن إسلامنا الحنيف؟ ولماذا؟ ولماذا؟.

هل هو التعصب الأعمى، أم هي الكراهية لهذا الدين الحق الذي جاء مصححاً، لما طرأ على الديانات السابقة من أباطيل وأوهام كاشفاً وجه الحق فيها.

لقد جاء القرآن الكريم بما هو أعظم وأكمل من كل المعلومات التي كانت لدى بحيرى الراهب، ولدى كل النصارى واليهود في شتى بقاع العالم.

جاء القرآن الكريم مصدقاً لما نزل على داود وسليمان وموسى وعيسى عليهم السلام وغيرهم من أنبياء الله جل وعلا، من حيث كون الكتب التي نزلت عليهم هي في الأصل وحي من عند الله. وذكَّر القرآن الكريم أن اليهود والنصارى أوتوا نصيباً من الكتاب، وأنهم نسوا حظاً مما ذكِّروا به، وأنهم حرَّفوا الكلم عن مواضعه، لذلك نرى العديد من الأمثلة التي خالف فيها القرآن الكريم ما ورد من أخبار في كل من العهد القديم والجديد.

فهل أخذ محمد ﷺ ذلك من الرهبان في رحلته التجارية إلى الشام؟ وهل كان كفار مكة يسكتون عن ذلك لو عرفوا أن محمداً ﷺ استقى معلوماته من اليهود أو النصارى؟. وحتى المعلومات التي ذكرت في القرآن الكريم، وكان لها أصل في كتب اليهود أو النصارى لم يكن محمد ﷺ ولا قومه، يعلمون شيئاً عنها. ويشير

http://kotob.has.it

القرآن الكريم إلى ذلك بعد قصة نوح مثلاً ﴿**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاخبر إن العاقبة للمتقين**﴾[1]. وبعد قصة يوسف (عليه السلام) يقول جل وعلا في كتابه العزيز: ﴿**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرَهُمْ وهم يمكرون**﴾[2].

وهناك من أخبار القرآن الكريم ما لم يكن يعرفه أهل الكتاب... فقد ذكر القرآن الكريم بعد قصة زكريا وولادة مريم عليهما السلام وكفالته لها قوله تعالى: ﴿**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يُلقُونَ أقلامهُم أيُّهم يكفُلُ مريمَ وما كنت لديهم إذ يختصمون**﴾[3]. فمن أين عرف محمد ﷺ كل ذلك وغيره؟.

وقد كفانا العلامة الزرقاني رحمه الله في رده على هؤلاء الكافرين ودحض شبهاتهم، قال رحمه الله:

١ - إن هذه الدعوة مجردة من الدليل، خالية من التحديد والتعيين، ومثل هذه الدعاوي لا تقبل ما دامت غير مدللة، وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد ﷺ من بحيرى الراهب؟ ومتى كان ذلك؟ وأين كان ذلك؟.

٢ - إن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام في تجارة مرتين، مرة في طفولته ومرة في شبابه، ولم يسافر غير هاتين المرتين، ولم يجاوز سوق بصرى فيهما، ولم يسمع من بحيرى ولا من غيره شيئاً من الدين، ولم يكن أمره سراً هناك بل كان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو طالب، وشاهد في المرة الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التي خرج الرسل بتجارتها أيامئذ، وكل ما هنالك أن بحيرى رأى سحابة تظلله ﷺ من الشمس، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن، ثم حذره عليه من اليهود، وقد رجع به عمه خوفاً عليه ولم يتم رحلته.

---

(١) سورة هود، آية ٤٩.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران، آية ٤٤.

http://kotob.has.it

كـذلك روي هـذا الحديث من طـرق في بعض أسانيـدهـا ضعف، وروايـة الترمذي ليس فيها اسم بحيرى، وليس في شيء من الروايات أنه ﷺ سمع من بحيرى الراهب أو تلقى منه درساً واحداً أو كلمة واحدة لا في **العقائد** ولا في **العبادات** ولا في **المعاملات** ولا في **الأخلاق**، فأنى يؤفكون؟.

٣ ـ إن تلك الروايات التـاريخية نفسهـا تحيل أن يقف هـذا الراهب مـوقف المعلم لمحمد ﷺ لأنه بشره أو بشر عمه بنبوته، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ويتلقى من جبريل ويكون هو أستاذ الأستاذين وهادي الهداة والمرشدين وإلا كان هذا الـراهب متناقضاً مع نفسه.

٤ ـ إن بحيرى الراهب لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامي المعجز لكـان هو الأحرى بالنبوة والرسالة والإنتداب لهذا الأمر العظيم.

٥ ـ إنـه يستحيل في مجـرى العادة أن يتم إنسـان على وجه الأرض تعليمـه وثقافته ثم ينضج النضج الخـارق للمعهود فيمـا تعلم وتثقف، بحيث يصبح أستـاذ العلم كله لمجرد أنه لقي مصادفة واتفاقاً راهباً من الرهبان مرتين، على حين أن هذا التلميذ كان في كلتا المرتين مشتغلاً عن التعليم بالتجارة، وكان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان صغيراً تابعاً لعمه في المرة الأولى، وكان حاملاً لأمانـة ثقيلة في عنقه لا بد أن يؤديها في المرة الثانية، وهي أمانة العهد والإخلاص في مال خديجة وتجارتها.

٦ ـ إن طبيعة الدين الذي ينتمي إليه الراهب بحيرى، تأبى أن تكون مصـدراً للقرآن وهدايته، خصوصاً بعد ما أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير وتحـريف. وحسبـك أدلة على ذلـك أن القرآن قـد صوَّر علوم أهـل الكتاب في زمـانه بـأنهـا الجهالات ثم تصدى لتصحيحها، وصور عقائدهم بـأنها الضـلالات ثم عمل على تقويمها، وصور أعمالهم بأنها المخازي، والمنكرات ثم حض على تركها، ثم تذكر أن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه، وأن الخطأ لا يمكن أن يكون مصدراً للصواب، وأن الظلام لا يمكن أن يكون مشرقاً للنور.

http://kotob.has.it

٧ ـ إن أصحاب هذه الشبهة من الملاحدة يقولون: إن القرآن هو الأثر التاريخي الوحيد الذي يمثل روح عصره أصدق تمثيل. فإذا كانوا صادقين في هذه الكلمة فإننا نحاكمهم في هذه الشبهة إلى القرآن نفسه، وندعوهم ليقرأوا ولو مرة واحدة بتعقل ونصفةٍ، ليعرفوا منه كيف كانت الأديان وعلماؤها وكتابها في عصره؟ وليعلموا أنها ما كانت لتصلح لأستاذية رشيدة، بل كانت هي في أشد الحاجة إلى أستاذية رشيدة. إنهم إن فعلوا ذلك فسيستريحون ويريحون الناس من هذا الضلال والزيغ ومن ذلك الخبط والخلط، هدانا وهداهم الله فإن الهدى هداه [ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور].

٨ ـ إن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ﷺ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة، ولكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة فحين أرادوا طعنه بأنه تعلم القرآن من غيره لم يفكروا أن يقولوا أنه تعلم من بحيرى الراهب كما قال هؤلاء، لأن العقل لا يصدق ذلك والهزل لا يسعه، بل لجأوا إلى رجل في نسبة الأستاذية إليه شيء من الطرافة والهزل، حتى إذا محت العقول نسبة الأستاذية إليه لاستحالتها، قبلتها النفوس لهزلها وطرافتها، فقالوا: إنما يعلمه بشر، وأرادوا بالبشر حداداً رومياً منهمكاً بين مطرقته وسندانه، ظالاً طول يومه في خبث الحديد وناره ودخانه، غير أنه اجتمع فيه أمران حسبوهما مناط ترويج تهمتهم أحدهما: أنه مقيم بمكة إقامة تيسر لمحمد ﷺ الإتصال الدائم الوثيق به، والتلقي عنه، والآخر: غريب عنهم وليس منهم، ليخيلوا إلى قومهم أن عند هذا الرجل علم ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم فيكون ذلك أدنى إلى التصديق بأستاذيته لمحمد ﷺ، وغاب عنهم أن الحق لا يزال نوره ساطعاً يدل عليه، لأن هذا الحداد الرومي أعجمي لا يحسن العربية، فليس بمعقول أن يكون مصدراً لهذا القرآن الذي هو أبلغ نصوص العربية بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية»[1].

---

(١) مناهل العرفان جـ ٢ ص ٣١٧ ـ ٣١٩.

http://kotob.has.it

ونحن بدورنا نتابع القول للمستشرقين انتبهوا أيها الناس فالإسلام ليس ديناً تابعاً لأي دين آخر، إنه الدين الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون آخر حلقة في قصة اتصال السماء بالأرض لهداية البشر؛ وقد أعلن الله سبحانه ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿.. **اليوم أكملت لكم دينكُمْ وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً..**﴾[1].

والله عز وجل جعل القرآن الكريم هداية كاملة للإنسان، وجعله كاملاً شاملاً، بحيث لا تبقى قضية من قضايا الوجود إلا وقد بيَّن حكمها فيه فريضة أو وجوباً، أو حرمة، أو إباحة، أو كراهة الخ؛ سواء في ذلك شؤون العقيدة، أو العبادة، أو الإجتماع، أو السياسة، أو الإقتصاد، أو الحرب، أو السلم، أو التشريع، إلى آخر ما يتصوره الإنسان من شؤون الإنسان؛ قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿**ونزَّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿... **وتفصيل كل شيء**﴾[3]. وقد تكفل الله جل جلاله حفظ القرآن الكريم، فقال تعالى جلت قدرته: ﴿**إنا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[4]، في حين لم يتكفل رب العالمين حفظ الكتب السماوية السابقة، وإنما استحفظ عليها أهلها فقط، لأنها كانت أساساً لشرائع مرحلية مؤقتة ستنسخها شرائع أخرى، آخرها الشريعة الإسلامية.

فالدين الذي بعث به الرسل السابقون، قد نسي، أو حرِّف، أو بُدِّل، وطُمست معالم الحق فيه، واستقر الباطل عنده أهله، في عقائدهم وعباداتهم وسلوكهم. وإذا علمنا أنه لا يوجد الآن أي كتاب ديني في العالم غير القرآن الكريم، وحديث الرسول ﷺ الصحيح له سند متصل، أدركنا أن الإنسانية إذا أرادت الإسلام لربها، ليس أمامها إلا اتباع الرسول محمد ﷺ، وليست مختارة في ذلك،

---

(١) سورة المائدة، آية ٣.

(٢) سورة النحل، آية ٨٩.

(٣) سورة يوسف، آية ١١١.

(٤) سورة الحجر، آية ٩.

http://kotob.has.it

فإن الله جل وعلا لن يقبل غيره، قال تعالى جلّت قدرته: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوِّله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾**(١). وقال تعالى: **﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض، ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً﴾**(٢)؛ وقال تعالى جلت قدرته: **﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾**(٣)؛ وقال تعالى: **﴿إن الذين كفروا لو أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبِّل منهم ولهم عذاب اليم﴾**(٤).

وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: (مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً وأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين)(٥).

٥ ـ كتبهم المحرَّفة تكذبهم: إن معظم المستشرقين هم من اليهود والنصارى، ويؤمنون بالكتب التي يتداولها بنو قومهم، وقد جاء ذكر النبي محمد ﷺ في هذه الكتب رغم ما وقع بها من تحريف.

جاء في التوراة عن النبي موسى عليه السلام: «قال لي الرب: سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما آمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه». وجاء في العهد الجديد أن علماء الكتاب، كما في بشارة يوحنا [پ ـ ١٩] كانوا ينتظرون ثلاثة وعد

(١) سورة النساء، آية ١١٥.

(٢) سورة النساء، آية ١٥٠.

(٣) سورة المائدة، آية ١٩.

(٤) سورة المائدة، آية ٣٦.

(٥) رواه أحمد والشيخان والترمذي وغيرهم بألفاظ مختلفة.

http://kotob.has.it

الله بمجيئهم وهم: المسيح، وإيليا، والنبي». وجاء في السطر الخامس من التوراة أن النبي سيظهر في جبال فاران، لكنهم يزعمون أن جبال فاران من أرض الشام، وليست أرض الحجاز وليس هذا ببدع من بَهَتِهِمْ وتحريفهم وعندهم في التوراة أن إسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران. هكذا نطقت التوراة، ولفظها: وأقام اسماعيل في برية فاران، وأنكحته أمه امرأة من [جرهم]. ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكن لآل اسماعيل، فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران، وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد اسماعيل، وتضمنت إنتشار أمته وأتباعه حتى يملأوا السهل والجبل. جاء في مزمور من مزامير الزبور: «لترتاح البوادي وقراها ولتصير أرض قيذار مروجاً، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه في الجو». وقيذار أحد أجداد الرسول ﷺ بالإجماع كما نقل ابن القيم في هداية الحيارى. وجاء في مزمور آخر: «إن ربنا عظم محموداً، وفي مزمور ثالث: «الهناقدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً» فقد نص داود على اسم محمد وبلده، وأن كلمته قد عمت الأرض. وقال أشعيا عن الحرم: «إن الذئب والجمل فيه يرتعان معاً». وقال أيضاً: «إني جعلت أمرك يا محمد بالحمد يا قدوس الرب إسمك موجود من الأبد». وقال اشعيا في كتابه: «أشكر حبيبي وابني أحمد»، وقال في موضع آخر: «إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد»، وهذا إفصاح باسمه.

وجاء ذكر النبي ﷺ في إنجيل برنابا في قرابة سبعة وأربعين موضعاً منها ما هو بصريح الاسم، ومنها أنه [مسيا] رسول الله أمل بني إسرائيل ومنها أنه رسول الله الذي يأتي بعد عيسى ابن مريم عليه السلام.

فمن ذلك ما جاء في الفصل السابع والتسعين من هذا الإنجيل:

«... فقال حينئذ الكاهن: ماذا يسمى مسيا وما هي علامة مجيئه؟ أجاب يسوع:

إن اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي، قال الله:

http://kotob.has.it

[اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجماً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى إن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً] إن اسمه المبارك محمد، حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين:

يا الله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم».

وجاء في إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام للحواريين:

«أنا ذاهب وسيأتيكم البار قليط، روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إلا كما يقال له وهو يشهد علي وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به».

وجاء في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا:

«إن البار قليط لا يجيئكم ما لم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً ولكن مما يسمع يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب».

وفي موضع آخر من الإنجيل نفسه قال عيسى عليه السلام:

«ابن البشر ذاهب والبار قليط من بعده يخبي لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل».

وقال متّى قال المسيح:

«ألم تروا أن الحجر الذي أخره البناؤن صار أساً للزاوية من عند الله، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم إن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ، وكل من سقط هو عليه يمحقه».

والبار قليط كلمة يونانية وردت في أول إنجيل كتب باللغة اليونانية، ولا تزال مستعملة في الأناجيل اليونانية المتداولة الآن ومعناها الحمد أو الحامد أو المخلص.

http://kotob.has.it

وقد شهد الرسول ﷺ بنبوة عيسى عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله.

وقصارى القول: إن معظم المستشرقين يؤمنون بالتوراة والأناجيل المتداولة ولا يؤمنون بما ورد فيها من بشائر حول بعثة المصطفى ﷺ وهذه واحدة من تناقضاتهم التي لا تحصى(١).

ومن الجدير بالذكر أن نفراً من اليهود والنصارى وغيرهم أعلنوا إسلامهم بين يدي الرسول ﷺ عندما رأوه وسمعوا منه، وتأكد عندهم أنه النبي الكريم الذي وردت أوصافه في كتبهم، ومن هؤلاء نذكر: سلمان الفارسي، وكعب الأحبار، وعبد الله بن سلام وغيرهم.

٦ ـ الفرية السادسة: زعم معظم المستشرقين بأن الحبيب محمد ﷺ كان يعاني من أمراض نفسية، وحاول «ماكسيم رودنسون» وهو أحد دعاة مدرسة فرويد، أن يحلل شخصية الرسول ﷺ تحليلاً نفسياً!! أما إبطال هذا الزعم باطل من وجوه عدة منها:

الوجه الأول : إن الأمراض النفسية المتزايدة من أنتاج الحضارة الغربية الفاسدة، ولقد كان فرويد نفسه مصاباً بأمراض نفسية بشهادة تلميذه وزميله (يونج)، وكل إناء بما فيه ينضح.

الوجه الثاني : ردد مثل هذه الأباطيل بعض المشركين في مكة، لكن بعضهم هداه الله إلى الإسلام، وكفَّر عن أخطائه في الجاهلية وحسن إسلامه، وبعضهم مات ذليلاً مهاناً. أما معظم المشركين فكانوا يشهدون باستقامة رسول الله ﷺ وصدقه كالوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة وأبي سفيان [قبل إسلامه].

---

(١) للتوسع راجع: انجيل برنابا، انجيل يوحنا، ابن كثير البداية والنهاية جـ ٢ ص ٣٢٧ وبعدها. ابن القيم: هداية الحياري ص ٥٣ وبعدها. عبد الملك كليب: من علامات النبوة. محمد سرور: دراسات في السيرة ص ١٦١ وبعدها.

http://kotob.has.it

الوجه الثالث : ابتلى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بمصائب كثيرة من أشهرها: وفاة أحب الناس إليه كوالديه، وجده عبد المطلب، وعمه أبي طالب، وزوجه خديجة، وطفله إبراهيم، وابتلاه الله جل وعلا أيضاً بإعراض الناس عنه وشدة عداوتهم له. . . فما زادته كل هذه المصائب وغيرها إلا إيماناً بالله تعالى، وثباتاً على الحق؛ وتتجلى هذه المعاني الكريمة بأقواله وأفعاله، كما تتجلى في سلوكه وأخلاقه وفي دخول الناس في دين الله أفواجاً.

الوجه الرابع : إن هؤلاء المستشرقين لا يملكون أدلة تثبت صحة أقوالهم، وهيهات هيهات لهم ذلك، وليس عندهم إلا الأكاذيب والإفتراءات الكثيرة التي تدل على سوء نواياهم وخبث مقاصدهم(1).

وبعد بالله عليك أيها القارىء أخبرني من الذي يعاني من أمراض نفسية؟.

بعد أن تعرَّفنا على مزاعم المستشرقين في التشكيك في مصدر القرآن الكريم، نرى أنه علينا التحدث عن نقطة أخرى تسير في اتجاه التشكيك نفسه.

٣ ـ إن المستشرقين يشككون الناس في صحة النص القرآني، وكأنهم بذلك يريدون أن يردوا على القرآن الكريم بالسلاح نفسه.

فالقرآن الكريم صرَّح أن التوراة والإنجيل قد أصابهما التبديل والتحريف. لذلك تكلم المستشرقون كثيراً، وكتبوا في موضوع القراءات بالأحرف السبعة، محاولين إثبات أن القراءة كانت حرة طليقة، الأمر الذي يجعل تعرُّض نص القرآن الكريم للتغيير أمراً لا مفرَّ منه. وهم بذلك يوهمون بأن التدوين وقع في جو هذه

---

(1) للتوسع راجع محمد سرور: دراسات ص ١٧٠ وبعدها.

http://kotob.has.it

الحرية؛ وفي هذا الجو تم تسجيل قراءات مختلفة؛ وهذه القراءات التي نجمت عن ذلك لم تكن هي الصورة التي ورد بها الوحي أساساً. ونتيجة ذلك كله هي القـول بحدوث تغيير في النص القرآني.

ونحن نـرد ونقول: إن اختلاف القراءات أمر ثابت لاننكره، ولكن الأمر الذي لا شك فيه أيضاً أن القرآن الكريم كان وحياً باللفظ والمعنى معاً.

من أجل ذلك كان الرسول ﷺ حريصاً كل الحرص على تسجيل الوحي فور نزوله، والعناية بحفظه في السِّجلات التي سُطِّرَ فيها[1]. وليس صحيحـاً ما يـردده المستشرق (بلا شير) من أن فكرة تدوين الوحي لم تنشأ إلا بعد إقامة النبي ﷺ في المـدينـة المنـورة، وأن التـدوين كـان جـزئيـاً ونـاتجـاً عن جهـود فـرديـة ومثـاراً للإختلاف[2].

والثابت أن فكرة تدوين الوحي كانت قائمة منذ نزوله، وليس أدل على ذلك من قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنـه، بعد قـراءته صحيفـة في القرآن الكريم من سورة «طه» عند أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بن عمـرو، في مكة المكرمة في بداية ظهور الإسلام[3]. والثابت أيضاً أن الرسول ﷺ كـان كلما جـاءه الوحي وتلاه على الحاضرين، أملاه من فوره على من كان عنده ليدونوه[4].

وأما ما يتعلق بمسألة الأوجه السبعة في القراءة، فإن الأمر فيها لم يكن متروكاً لأهواء الناس، وإنما كان محكوماً بما يقرأه الرسول ﷺ للنـاس من أوجه للقـراءة، كان القصد منها، التخفيف على الناس في أول الأمر، فأذن لكل منهم أن يقرأ على حرفه، أي على طريقته في اللغة، إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد النبوي.

---

(١) اللبان ص ٤٨؛ نجا: الغرر ص ٣٧ وبعدها.

(٢) بلاشير: القرآن ص ٢٨ وبعدها.

(٣) للتـوسع راجـع ابن هشام: السيـرة مجلد ١ ص ٣٤٢ وبعدهـا، فاطمـة هدى نجـا: الغرر ص ١٥٤ وبعدها.

(٤) للتوسع راجع نجا: الغرر ص ٣٧ وبعدها.

http://kotob.has.it

والواقع الذي عليه المسلمون منذ خمسة عشر قرناً هو تمسكهم الشديد بالمحافظة على الوحي القرآني لفظاً ومعنى، ولا يوجد مسلم يستبيح لنفسه أن يقرأ القرآن الكريم بأي لفظ شاء ما دام يحافظ على المعنى[1].

وليبحث المستشرقون اليوم في أي مكان في العالم، عن مسلم يستبيح لنفسه مثل ذلك، وسيعييهم البحث؛ فلماذا إذن هذا التشكيك في صحة النص القرآني، وهم يعرفون مدى حرص المسلمين في العالم، في السابق واللاحق على تقديس نص القرآن الكريم لفظاً ومعنى.

ونحن نقول للمستشرقين والمتغربين ومن سار على دربهم، نقولها بكل فخر: أننا تلقينا القرآن الكريم عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والرسول ﷺ بدوره قد تلَقَّاه وحياً من الله جل وعلا؛ ولم يحدث أن أصاب هذا القرآن الكريم أي تغيير أو تبديل على مدى تاريخه الطويل؛ ولن يصيبه تغيير كما قال الله تعالى: ﴿**إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2]. وهذه ميزة فريدة انفرد بها القرآن الكريم وحده من بين الكتب السماوية كافة، الأمر الذي يحمل في طياته صحة هذا الدين الذي ختم به الله سائر الديانات السماوية. والحقيقة إن المستشرقين بعد أن درسوا بعض معاني القرآن الكريم العظيم، شعروا بخطورة هذا الكتاب على مسار دينهم وحضارتهم، وحياة المجتمع الغربي خاصة والعالمي عامة. يقول المستشرق بلاشير: «قلّما وجدنا بين الكتب الدينية الشرقية كتاباً بلبل بقراءته أدبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن»[3]. ونحن نرد عليه بقولنا:

لقد فزع المستشرقون من القرآن الكريم بعد أن درسوا بعض معانيه، وتأملوا مبادئه الأساسية، وتبينوا مزاياه الفريدة، وما فيه من دعوة إلى الإعتصام بحبل الله

---

(١) للتوسع راجع دراز: مدخل ص ٣٤ وبعدها. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن جـ ١ ص ٢١٢ وبعدها. زقزوق: الإستشراق والخلفية الفكرية ص: ٨٩ وبعدها.

(٢) سورة الحجر، آية ٩.

(٣) بلاشير: القرآن ص ٤١.

http://kotob.has.it

المتين، وإلى الترابط والتآخي، والتعاون على البر والتقوى؛ والتحذير من الغيبة والنميمة، والشر، والظلم والنهي من السخرية بالغير أو التجسس عليه؛ والحض على الصدق والأمانة، والعدل، والوفاء بالعهد، والحث على طلب العلم، والتخلص من الجهل الخ.

٢ ـ ولقد وجدو أن هذا القرآن الكريم لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بروح المعرفة المنشئة للعمل.

٣ ـ ولقد عرفوا أن القرآن الكريم لم يجيء ليكون كتاب متاع عقلي، ولا كتاب أدب وفن، ولا كتاب قصة وتاريخ، ولا كتاب معارف عامة، ولا كتاب تشريع، ولا كتاب معالجة قضية العقيدة الممثلة في قاعدتها الرئيسية، الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة؛ وإن كان هذا كلّه من محتوياته، وإنما جاء ليكون منهاج حياة، منهاجاً إلهياً خالصاً.

٤ ـ ولقد رأوا أن القرآن الكريم يفسر للإنسان سر وجوده، ووجود هذا الكون من حوله. ويقول له: من هو؟ ومن أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب في نهاية المطاف؟ ومن ذا الذي جاء به من العدم والمجهول؟ ومن ذا الذي يذهب به، وما مصيره هناك؟ يقوله له أيضاً: ما هذا الوجود الذي يحسّه ويراه، والذي يحس أن وراءه غيباً يستشرفه ولا يراه؟ ومن أنشأ هذا الوجود المليىء بالأسرار؟ ومن ذا يدبره؟ ومن ذا يحوره؟ ومن ذا يجدد فيه ويغير على النحو الذي يراه وغيره وغيره. يقول له كذلك كيف يتعامل مع خالق هذا الكون، ومع الكون أيضاً، كما يبين له: كيف يتعامل العباد مع العباد وغيره وغيره. قال تعالى: ﴿**ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾.

٥ ـ ولقد عرف المستشرقون من خلال فهمهم لبعض معاني القرآن الكريم، إنه حين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده، متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية، تكون هذه، هي الصورة الوحيدة، التي يتحرّر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر، وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية، لأن حضارة الإنسان

http://kotob.has.it

تقتضي قاعدة أساسية من التحرر الحقيقي الكامل للإنسان، ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع. ولا حرية، في الواقع، ولا كرامة للإنسان، ممثلاً في كل فرد من أفراده، في مجتمع بعضه أرباب يشرعون، وبعضه عبيد يطيعون؛ فالمجتمع الإسلامي، هو وحده المجتمع الذي يهيمن عليه إله واحد، ويخرج فيه الناس من عبادة العباد، إلى عبادة الله وحده رب العباد.

٦ ـ ولقد عرف المستشرقون أيضاً أن الحضارة الصحيحة، هي التحقيق السوي لغاية الوجود الإنساني في الأرض، التي حددها قوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**(١)؛ وفسرها قوله تعالى: **﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾**(٢) وهي في المفهوم الإسلامي شيء شامل لكل النشاط الهادف للإنسان. إن الصلاة والنسك جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة، بمدلولهما الحقيقي، ومقتضاهما الحقيقي، وإن إقامة شريعة الله في الأرض، والحكم بما أنزل الله، وهو المقتضى المباشر للا إله إلا الله، جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة.

٧ ـ ولقد عرف المستشرقون أيضاً أن إقامة العدل الرباني في الأرض، كما أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون، وأخرج أمة الإسلام لتقيمه، وقال سبحانه وتعالى في توجيهاته لها وأعداده إياها لحمل هذه الأمانة الكبرى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾**(٣). وقال تعالى جلت قدرته: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾**(٤).

---

(١) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٢) سورة الأنعام؛ آية ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٣) سورة النساء، آية ١٣٥.

(٤) سورة المائدة، آية ٨.

http://kotob.has.it

٨ ـ ولقد عرف المستشرقون إن إقامة العدل الرباني على هذه الصورة، جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة.

٩ ـ ولقد عرف المستشرقون أيضاً أن إقامة الحياة كلها، بكل ألوان النشاط فيها، على قاعدة أخلاقية مدارها تقوى الله وخشيته.. حتى تكون السياسة ذات أخلاق قائمة على حكم ولي الأمر بشريعة الله تعالى، والسمع والطاعة من الأمة لولي الأمر فيما يأمر به موافقاً لشريعة الله، والنصح لله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، وإقامة الأمر على الشورى التي أمر بها الله؛ ويكون الإقتصاد له أخلاق، قائمة على الإلتزام بما أحله الله، وتحريم ما حرَّم الله من ربا، وغش، وسلب، ونهب، واحتكار، وسرقة، وغصب، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل مال الأجير، وتطهير المال بأداء الزكاة، والإنفاق في سبيل الله، وعدم الإنفاق في ترف أو سرف أو معصية؛ وتكون علاقات المجتمع ذات أخلاق قائمة على التواد والتكافل والتحاب، وحرمة العرض والدم والمال، والتعاون على البر والتقوى، وكظم الغيظ والعفو عن الناس، والكف عن الغيبة والنميمة، والغمز واللمز، والتجسس والإطلاع على العورات، وتكون علاقات الأسرة ذات أخلاق، وعلاقات الجنسين ذات أخلاق... إن إقامة الحياة كلها على هذه القاعدة الأخلاقية جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة.

١٠ ـ ولقد عرف المستشرقون أيضاً إن الوفاء بالمواثيق، يستوي في ذلك العقود الفردية أو المعاهدات والمواثيق الدولية، جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة.

١١ ـ ولقد عرف المستشرقون أيضاً أن طلب العلم، سواء العلم بدين الله وأحكامه، أو العلم بسنن الله في الكون وخواص المادة، الذي يعين على استخلاص ما سخّر الله للإنسان من طاقات السموات والأرض، واستخدامها في عمارة الأرض، أو العلم بسنن الله في الحياة البشرية، التي يقوم على أساسها مجتمع صالح، أو العلم بالتاريخ البشري وما فيه من فترات الهدى والضلال،

http://kotob.has.it

والنتائج المترتبة على كل منهما في واقع الحياة البشرية، إن هذا العلم بمختلف فروعه واتجاهاته، جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة.

فلله الحمد والشكر، الذي أرسل رسوله الكريم ﷺ بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وجعل دينه الذي اصطفى للناس دين حضارة سليمة، وإتقاء صحيح إلى مجد الإنسان في دار الإبتلاء، ثم في دار الجزاء(1).

وعندما علم المستشرقون ذلك كله بعد معرفة بعض معاني القرآن الكريم، حاولوا طمس هذه الحقائق [وأنى لهم ذلك]، وحاولوا إبعاد المسلمين عنها عن طريق إرسالياتهم في بلادنا، وغسل أدمغة أبنائنا المفتونين بزيف حضارة الغرب في بلادهم. وأسرعوا إلى حكام بلادهم من المستعمرين القدامى والجدد، وعرّفوهم خطورة القرآن الكريم، الذي اشتمل على مبادىء صحيحة تقيم الدنيا وتقعدها؛ **وكتبوا تقاريرهم التي تفيد بأنه إذا تحقق فهم معاني القرآن الكريم وتطبيقها ونشرها في العالم، ساد المسلمون المؤمنون العالم كله، وتحكموا في مصيره**. ومعنى ذلك أنه إذا عرف المسلمون كتاب الله العظيم حق المعرفة، وفهموا معانيه، وطبقوه تطبيقاً

---

(1) للتوسع عن القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام الدين الحنيف راجع:
الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه لتأويل؛ ٣ أجزاء. الدنبوري: عيونن الأخبار مجلد ٢، ص: ١٣١ وما بعدها.
مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازة ص: ١٩٦ وما بعدها.
محمد نمر الخطيب: من هدي القرآن ص: ٣١.
محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص: ٥ وما بعدها.
عبد الرحمن عزام: الرسالة الخالدة ص: ١٦ وما بعدها.
سيد قطب: هذا الدين ص: ٩ وما بعدها.
معالم في الطريق ص: ١٤ وما بعدها.
عبد المتعال الصعيدي: ثقافات آسلامية ص: ٨١ وما بعدها.
مصطفى صادق الرافعي: اعجاز القرآن ص: ٢٥ وما بعدها.
موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن الكريم والعلم ص: ١٠٦ وما بعدها.
محمد عزة دروزة: القرآن المجيد ص: ٥ وما بعدها.
ندوات علمية: رابطة العالم الإسلامي ـ مكّة المكرمة ص: ١٢٨ وما بعدها.
فاطمة هدى نجا: لمع من حضارتنا العربية العالمية ص ١٣٩ وبعدها.

http://kotob.has.it

تاماً، فالويل كل الويل للإستعمار، والإستغلال، وتحكم الدول الكبرى بمصير العالم. ذلك أنه لن تقوم لهؤلاء قائمة بعد الساعة التي تتم فيها هذه المعرفة؛ ويتحقق فيها ذلك التطبيق.

وهنا يتبين لنا ذلك المجهود الضخم الذي يبذله المستعمرون الجدد اليوم، حتى يبقى القرآن الكريم مجهولاً؛ وأن تظل مبادؤه مهجورة أيضاً وبعيدة عن التنفيذ[1].

وكذلك يبدو لنا بوضوح سبب هلع الغرب وفزعه الذي لا حدَّ له عندما يشعر بوجود صحوة إسلامية، في أي مكان في العالم الإسلامي، والتي تعني عودة إلى هذا القرآن الكريم العظيم، الذي يزرع الإباء والعزَّة والكرامة في قلوب أبنائه، ويرفض أن يكونوا أذلاء لأعدائهم، ويحض على الوحدة الإسلامية؛ الأمر الذي يهدد أطماع ومصالح الغرب في شرقنا الإسلامي، ويقضُّ مضاجعهم خوفاً من إنتصار الإسلام.

وتقوم وسائل الإعلام في أكثر بلاد الشرق المستعْمَر فكرياً، والمستغل إقتصادياً، والمستقل صورياً؛ وفي بلاد الغرب المستبِدّ الظالم للمستضعفين وخاصة في العالم الثالث، والمتحرر والمنفتح والمتحضر صورياً، بتصوير الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي الحبيب بكل ما في المعجمات من ألفاظ منافية للحقيقة الناصعة مثل: الرجعية، والسلفية، والتعصب، والإرهاب، والتطرف، والتشدد، والجمود الخ. وتصوير كل من يتّبِع عقلية وحضارة الغرب الزائفة بالمتمدن والمتحضر والمتحرر والعصري المنفتح وهكذا.

ويعمل الجميع على أن لا تقوم للإسلام قائمة مرَّة أخرى. ولكن أكثر المسلمين بالهوية، للأسف الشديد، لا يدركون هذه الحقيقة إدراكاً تاماً.

وقد قام الإستعمار ـ وما يزال ـ بالتخطيط المدروس لإضعاف العالم

---

(١) للتوسع راجع غلاب: نظرات استشراقية ص ٣٢ وبعدها. محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح ص ٣٤١ وبعدها.

http://kotob.has.it

الإسلامي، وإبعاده عن مقوّماته الإسلامية، ومنع أية محاولة لجمع شمل المسلمين مرة أخرى.

وللأسف الشديد يجد الإستعمار من بين أبناء العالم الإسلامي، من العملاء المأجورين، أناساً يرتضون لأنفسهم أن يكونوا أدوات لتحقيق أهدافه؛ هؤلاء باعوا أنفسهم للمستعمر، وخانوا أوطانهم في أجل حفنة من الدولارات.

ونحن لا نلقي القول تجنياً على أحد؛ وإنما هذا ما تنطق به الوثائق السرية الإستعمارية نفسها. فقد جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني (أورمسبي غو) لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير (كانون الثاني) ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٨ م ما يأتي:

«إن الحرب علّمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الأمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الأمبراطورية وحدها، بل فرنسا أيضاً، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة. إن سياستنا الموالية للعرب في الحرب العظمى (يعني الأولى) لم تكن نتائج لمتطلبات (تكتيكية) ضد القوات التركية، بل كانت مخططاً أيضاً لفصل السيطرة على المدينتين المقدستين مكة، والمدينة عن الخلافة العثمانية التي كانت قائمة آنذاك.

ولسعادتنا فإن كمال أتاتورك لم يضع تركيا في مسار قومي علماني فقط، بل أدخل إصلاحات بعيدة الأثر، أدت بالفعل إلى نقض معالم تركيا الإسلامية»[1].

فعلى العالم الإسلامي التنبّه لما يحوكه الغرب ضده؛ والله المستعان، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

٤ ـ ويتبع إنكارهم هذا التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف:

وسبب ذلك أن المستشرقين بعد محاولاتهم الفاشلة فشلاً ذريعاً للتشكيك في القرآن الكريم من جوانب مختلفة، كما رأينا، وبعد أن أعياهم البحث والتنقيب،

---

(١) للتوسع راجع زقزوق: الإستشراق ص ٩٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

ولم يجدوا لجميع محاولاتهم أي أثر إيجابي لدى المسلمين المتمسكين بقرآنهم العظيم، عندها رأى هؤلاء المستشرقون أن يوجهوا محاولات التشكيك إلى ناحية أخرى، أي إلى الأصل الثاني للإسلام الحنيف، وهو السنة النبوية الشريفة، مع الإستمرار في محاولاتهم السابقة الفاشلة(١).

وأول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي الشريف، كان المستشرق اليهودي **جولد تسيهر** الذي يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي الشريف.

يقول عنه المستشرف **ڤيسك** كاتب مادة «الحديث» في دائرة المعارف الإسلامية: «إن العلم مدين ديناً كبيراً لما كتبه «جولد تسيهر» في موضوع الحديث، وقد كان تأثير «جولد تسيهر» على مسار الدراسات الإسلامية الإستشراقية أعظم مما كان لأي من معاصريه من المستشرقين، فقد حدَّد تحديداً حاسماً اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات»(٢).

اما المستشرق **بفانمولر** فيلخص عمل «جولد تسيهر» ويقول: «لقد كان «جولد تسيهر» أعمق العارفين بعلم الحديث النبوي [الشريف]، وقد تناول في القسم الثاني من كتابه «دراسات محمدية» موضوع تطور الحديث تناولاً عميقاً. وراح بما له من علم عميق، وإطلاع يفوق كل وصف، يبحث التطور الداخلي والخارجي للحديث من كل النواحي... وقد قادته المعايشة العميقة لمادة الحديث الهائلة إلى الشك في الحديث، ولم يعد يثق فيه؛... وبالأحرى كان «جولد تسيهر» يعتبر القسم

---

(١) للتوسع عن صحة الحديث النبوي الشريف راجع: ابن هشام السيرة النبوية مجلد ١ ص ٢٣٣ وبعدها. البلادزي: انساب الأشراف جـ ١ ص ١٠٤ وبعدها. الطبري: تاريخ جـ ٢ ص: ٢٩٨ وبعدها. فاطمة هدى نجا: الغرر ص ٥٨ وبعدها، دروس من السيرة النبوية ص ٥٤ وبعدها. البوطي: فقه السيرة ص ٨٢ وبعدها. بنت الشاطىء: موسوعة آل النبي ص ٥٧٨ وبعدها. اسماعيل الكيلاني: لماذا يزيفون التاريخ ص ٤٧ وبعدها محمد سرور: دراسات في السيرة ص ١٤٩ وبعدها. عماد الدين خليل: دراسات تاريخية ص ٥٤ وبعدها مجلة العباد ص ١٢ وبعدها. العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومة ص ٥٨ وبعدها.

(٢) Fusck, op, cit, p: 231.

http://kotob.has.it

الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والإجتماعي في القرن الأول والثاني. فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول: عهد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام.

ويقدم «جولد تسيهر» مادة هائلة من الشواهد لمسار التطور الذي قطعه الإسلام في تلك العصور التي تم فيها تشكيله من بين تلك القوى المتناقضة، والتباينات الهائلة حتى أصبح في صورته النسقية... ويصور «جولد تسيهر» التطور التدريجي للحديث، ويبرهن بأمثلة كثيرة كيف كان الحديث انعكاساً لروح العصر،... وكيف راحت كل الأحزاب والإتجاهات في الإسلام تبحث لنفسها من خلال ذلك عن إثبات لشرعيتها بالإستناد إلى مؤسس الإسلام، وأجرت على لسانه الأقوال التي تعبر عن شعاراتها»[1].

إن «جولد تسيهر» وغيره من المستشرقين الذين يشككون بالحديث النبوي الشريف، ليهدموا بها الأصل الثاني للإسلام وهو السنة النبوية الشريفة؛ هؤلاء يشككون في صحة الحديث النبوي الشريف الذي اعتمده علماؤنا المحققون؛ يتذرع هؤلاء بما دخل على الحديث النبوي الشريف من وضع ودس، متجاهلين تلك الجهود الجبارة العظيمة التي بذلها علماؤنا الأفاضل، لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين في ذلك إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري عن طريق الإسناد وغيره، حيث ظهرت كتب الصحاح، كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، والمسند للإمام أحمد وغيره؛ مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم. ومما حملهم على دعواهم هذه، ما رأوه في الحديث النبوي الشريف، الذي اعتمده علماؤنا من ثروة تشريعية وفكرية مدهشة؛ لهذا ادعوا أن هذا كله لا يعقل أن يصدر عن رجل أمي مثل محمد صلوات الله وسلامه عليه؛ بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى. فالعقدة النفسية

---

(١) PFann mueller, op, cit, p: 233. etc.

http://kotob.has.it

عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول الحبيب محمد ﷺ، ومنها ينبعث كل حيرتهم وتخبطاتهم وأوهامهم.

إنهم لا يريدون أن يفهموا أن الحبيب ﷺ رجل أمي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي.

ولسنا هنا في معرض الردالتفصيلي على مزاعم «جولد تسيهر» وغيره من المستشرقين بقصد هدم الأصل الثاني للإسلام وهو السنة النبوية الشريفة؛ فقد تكفل بعض أفاضل العلماء بذلك، مثل الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» فمن أراد التفصيل فليرجع إليه.

ولكننا نريد أن نقول لهؤلاء المستشرقين المشككين بالسنة النبوية الشريفة إن السنة النبوية الشريفة، هي الأصل الثاني للإسلام، وقد أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يبلغ رسالة الإسلام إلى الناس في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك..**﴾[1]. ولكن الأمر لم يكن مجرّد تبليغ آلي، وإنما هو تبليغ مصحوب بالتبيين؛ لأن السنة بيان للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه..**﴾[3]. وقال تعالى جلت قدرته لرسوله الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿**ونزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[4]. وقد فعل الرسول الحبيب ﷺ ما أمره الله به، فكانت سنته المتمثلة في أقواله وأفعاله وتقريراته بالنسبة للقرآن الكريم بمثابة «تفصيل مجمله وبيان مشكلة وبسط مختصرة»[5]. وبذلك يكون الإرتباط بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إرتباطاً لن ينفصم بحول الله وقدرته. وقد نبَّه النبي ﷺ على ذلك حين قال في خطبة

---

(١) سورة المائدة، آية ٦٧.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) سورة النحل، آية ٦٤.

(٤) سورة النحل، آية ٨٩.

(٥) الشاطبي: الموافقات جـ٢ ص ١٢.

http://kotob.has.it

الوداع: «. . . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيِّناً، كتاب الله وسنَّة نبيِّه. . »[1]. ومن أجل ذلك اهتم المسلمون اهتماماً عظيماً بالسنة بوصفها الأصل الثاني للإسلام. وقد كان هذا الفهم يُعد من الأمور البديهية لدى صحابة رسول الله ﷺ.

نحن لا ننكر أن هناك الكثير من الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ مع أنه لا أصل لها؛ ولكننا نؤكد أن ذلك لم يكن في يوم من الأيام خافياً على علماء المسلمين في مختلف العصور.

لذلك فإن علماء المسلمين الأفاضل الذين اهتموا بجمع الحديث النبوي الشريف لم يفرطوا إطلاقاً في ضرورة التدقيق الذي لا حدَّ له في رواية الحقائق. لقد وضع القرآن الكريم أمامهم أهم قاعدة من قواعد النقد التاريخي في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا. . .﴾[2]. وتتمثل هذه القاعدة في أن أخلاق الراوي تعتبر عاملاً هاماً في الحكم على روايته؛ وقد أفاد المسلمون إفادة عظيمة من هذه القاعدة، وطبقوها على رواة الأحاديث النبوية الشريفة. والواقع أن تطبيق هذا المنهج النقدي على رواة الأحاديث كان السبب الذي تطورت عنه بالتدريج قواعد النقد التاريخي[3].

ولعلماء الحديث الشريف باع طويل وعظيم في نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق أو كذب، فقد تتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ولا منعهم عن تجريح الرواة، والتشهير بهم ورع ولا حرج، حتى وصلوا في هذا الباب إلى أبعد مدى، وأبلوا فيه بلاء حسناً[4]. ويروي الإمام مسلم في مقدمة صحيحة عن ابن سيرين قوله: «. . .

(١) ابن هشام: السيرة النبوية مجلد ٢ ص ٦٠٤.

(٢) سورة الحجر، آية ٦.

(٣) محمد إقبال: تجديد التفكير ص: ١٦٠ وبعدها.

(٤) للتوسع عن ذلك راجع ابن هشام: السيرة النبوية جـ ١ ص ٢٣٣ وبعدها. الألباني: مختصر صحيح الإمام البخاري ص ٣٠ وبعدها؛ مختصر صحيح الإمام مسلم ص ٤ وبعدها. سعيد حوى: الإسلام ص ٢٨ وبعدها. الذهبي: تاريخ الإسلام ص ١٢٥ وبعدها. أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم ص: ٣٩ وبعدها. ابن كثير: البداية والنهاية مجلد ٣ ص ٢ وبعدها.

http://kotob.has.it

لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»؛ ويقول ابن عباس أيضاً: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف». ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب. يقول أبو العالية: «كنا نسمع الحديث من الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم»، ويقول ابن المبارك: «بيننا وبين القوم القوائم» يعني الإسناد[1].

وقيل ليحي بن سعيد القطان: «أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند يوم القيامة؟ فقال: لأن يكون خصمي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول: لم لم تذب الكذب عن حديثي»[2].

وقد وضع رجال الحديث القواعد الدقيقة التي ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب. ويعلم المستشرقون وخاصة «جولد تسيهر» ذلك حق العلم، ويعلمون أيضاً أن ما بذله المسلمون في توثيق الحديث، لم يبذل أحد من أتباع اليهودية والنصرانية عشر معشاره في سبيل توثيق العهدين القديم والجديد؛ كما وأنهم يعلمون أيضاً أن إماماً من أئمة الحديث مثل الإمام البخاري صاحب «صحيح البخاري» لم يأخذ في صحيحه بعد حذف المكرر إلا حوالي أربعة آلاف حديث فقط، من مجموع حوالي ستمائة الف حديث قام بجمعها وغربلتها في ست عشرة سنة في النبحث والتنقيب، حتى انتقى منها هذه الآلاف القليلة، نتيجة للمناهج العلمية الدقيقة التي وضعها المحدثون[3]. **ولم يكن المسلمون في وقت من الأوقات في حاجة إلى من يعلمهم ذلك من أمثال «جولد تسيهر» ومن سار على نهجه من المستشرقين والمتغربين والمفتونين والمنافقين.**

---

(١) للتوسع راجع صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ ص ٨٠ وبعدها. البوصيري: علامات النبوة ص ٢٩ وبعدها.

(٢) للتوسع راجع السباعي: السنة ومكانتها ص ٩٢ وبعدها.

(٣) للتوسع راجع البخاري: صحيح البخاري جـ١ المقدمة.

http://kotob.has.it

أما القول والدعوى أن الحديث أو القسم الأكبر منه، كان نتيجة للتطور الديني والسياسي والإجتماعي للإسلام في القرنين الأولين، وما كتبه «جولد تسيهر» وغيره من حديث عن طفولة الإسلام ونضوجه و. . الخ. فإن القرآن الكريم يكذّب هذه المزاعم أيضاً. فقد توفي الرسول ﷺ بعد أن اكتمل الدين الإسلامي تماماً بنص القرآن الكريم حيث يقول: ﴿. . . **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** . . .﴾[1].

وهذه الآية الكريمة تتضمن أيضاً إكمال السنة النبوية الشريفة، لأن الرسول ﷺ مبلّغ ومبين لما في الكتاب ـ كما ذكرنا ـ، فالحديث عن مرحلة نضوج للإسلام بعد وفاة النبي ﷺ حديث لا أساس له من الصحة؛ فالنضوج كان قد تم بالواقع قبل وفاة الرسول ﷺ. أما القول بأن الحديث الشريف كان انعكاساً للتطورات التي شهدها المجتمع الإسلامي في القرنين الأولين فيكذبه الحديث الشريف في خطبة الوداع: «. . . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنّة نبيّه. . »[2].

وقد كان من نتيجة ذلك جمع المسلمين على كلمة سواء في العقائد، والعبادات، وأحكام المعاملات والأخلاق في جميع بقاع العالم. فكيف يمكن حدوث ذلك إذا لم يكن الدين قد اكتمل، والقواعد قد ترسخت، والعبادات قد استقرت أوضاعها، والأخلاق قد تمكنت من النفوس. إن القول بأن الحديث أو القسم الأكبر منه كان نتيجة للتطور الذي حدث في المجتمع الإسلامي في القرنين الأول والثاني، يترتب عليه ألا تتحد عبادة المسلم في شمال افريقيا، مع عبادة المسلم في جنوب الصين، نظراً للإختلاف البعيد في البيئة في كل منهما؛ فكيف اتحدا في العبادة والتشريع والآداب، وبينهما هذا البعد وهذا الاختلاف[3].

---

(١) سورة المائدة، آية ٣.

(٢) ابن هشام: السيرة مجلد ٢ ص ٦٠٤.

(٣) السباعي: السنة ومكانتها ص ١٩٦. للتوسع راجع الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٥ وبعدها.

http://kotob.has.it

أما ما يتعلق باختلاف المذاهب وتعددها بعد القرن الأول الهجري، فقد كان نتيجة لاختلاف أفهام المسلمين في فهم الكتاب والسنَّة. وهو اختلاف في الإجتهادات في الفروع لا في الأصول. وقد أباح الإسلام مثل هذا الإختلاف في الفهم الناتج عن اجتهاد صادق. فإذا كان اجتهاداً صائباً فلصاحبه اجران، وإن كان اجتهاداً خاطئاً فلصاحبه مع ذلك أجر واحد، ومن هنا نجد المرونة التي تتلاءم مع كل عصر وكل مكان.

وهكذا نرى أن المستشرقين لم ولن يصلوا بقدرة الله تعالى إلى ما يريدون من زعزعة اعتقادات المسلمين بإيمانهم بكتاب الله تعالى وسنَّة نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه؛ لذلك اتمنى عليهم بصدق، التوجُّه إلى دراسات تنفعهم في حياتهم؛ وليبتعدوا عن عقيدتنا الصادقة السمحاء.

٥ ـ ويتبع إنكارهم أيضاً، التشكيك بأن الشريعة الاسلامية مستمدة من القانون الروماني:

ذكرنا سابقاً بعضاً من آراء ومواقف المستشرقين من صحة نص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ما يكفي دليلاً وشاهداً على محاولاتهم المستميتة في سبيل هدم هذين الأصلين اللذين يقوم عليهما الإسلام. فالإعتقاد بهما إذا تطرق إليه الشك، فإن ذلك سيؤدي بدوره إلى تخلخل الإعتقاد في الإسلام من أساسه. وعندما لم يستطيعوا ذلك، فإنهم لم ييأسوا، بل إن دائرة عملهم أوسع من التشكيك في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ فهم حريصون على تجريد المسلمين والعقلية الإسلامية، والفقه الإسلامي، والفكر الإسلامي بصفة عامة من كل القيم الإنسانية والحضارية والإبتكارات العلمية.

فالمستشرقون يدَّعون بتأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني، على اختلاف فيما بينهم في درجات هذا التأثر.

فمثلاً المستشرقون «جولد تسيهر» و«فون كريمر» «وشيلدون آموس» وغيرهم من المستشرقين، بعد أن شُدهوا واحتاروا حين إطلاعهم على عظمة التشريع

http://kotob.has.it

الإسلامي الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور، يزعمون ويدَّعون بأن الشريعة الإسلامية السمحاء، مستمدة من القانون الروماني. ويؤكدون أن القانون الروماني هو المصدر الذي أقام فقهاء المسلمين على أساس من قواعده الكيان القانوني للشريعة الإسلامية ويستدل هؤلاء على دعواهم الواهية، بأدلة مختلفة، منها أن النبي ﷺ كان على معرفة واسعة بالقانون الروماني، كما أن فقهاء المسلمين قد تعرّفوا على آراء فقهاء مدارس القانون الروماني، وأحكام المحاكم الرومانية في البلاد التي كانت لا تزال فيها هذه المدارس والمحاكم قائمة بعد الفتح الإسلامي؛ هذا إلى جانب تشابه في النظم القانونية والأحكام والقواعد الموجودة في الشريعة والقانون الروماني؛ الأمر الذي يعني أن الشريعة الإسلامية إقتبست هذه النظم والأحكام من القانون الروماني باعتباره سابقاً عليها. وللأسف يؤكد المتغرب «نجيب العقيقي»، والمدَّعي بفخر أنه مستشرق في كتابة «المستشرقون» مسألة تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني كما لو كانت حقيقة ثابتة مفروغاً منها؛ فيقول: «وتأثر الفقه[1] بالقانونين اليوناني والروماني، وكان القديس يوحنا الدمشقي... خير معبر لنقل تلك الأفكار إلى العربية»[2].

هذه الأدلة زائفة وباطلة، ولا تثبت أمام النقد العلمي الجاد. فالنبي ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. وليس لخروجه لبلاد الشام في المرتين اللتين سافر فيهما أي أثر في إمكان إطلاعه على القانون الروماني. فرحلته الأولى مع عمه أبي طالب كانت وعمره حوالي التاسعة، هذا إذا صحّت الرحلة؛ ورحلته الثانية كانت سنة خمسا وعشرين سنة، ولم يرافقه فيها إلا عرب أقحاح؛ ولم يختلط بأحد من علماء القانون الروماني كما تذكر المصادر[3]. وليس هناك أي سبب يدعو الحكام الرومان أو أحد علمائهم لتعليم الحبيب ﷺ قواعد القانون الروماني. أما معرفة علماء المسلمين للقانون الروماني في المدارس والمحاكم الرومانية، فهو زعم باطل أيضاً،

(١) يعني الفقه الإسلامي.

(٢) للتوسع راجع العقيقي: المستشرقون جـ ١ ص ٧٢ وبعدها.

(٣) للتوسع راجع ابن هشام: السيرة جـ ١ ص ١٨٤ وبعدها؛ الطبري: تاريخ جـ ٢ ص ٢٧٧ وبعدها. ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٢ ص: ٢٢٩ وبعدها. الذهبي: تاريخ الإسلام، السيرة النبوية ص ٥٥ وبعدها.

http://kotob.has.it

لأن هذه المدارس كانت قد أُلغيت بقرار امبراطوري في ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ٥٣٣ م، وما بقي من هذه المدارس في القسطنطينية وروما لم يكن له أي تأثير على المسلمين. أما مدرسة بيروت فقد اندثرت قبل الفتح الإسلامي بثلاثة أرباع القرن. أما ما قاله المستشرقون من تأثر الإمام الأوزاعي بالقانون الروماني، فهو محض إفتراء، ولا أساس له؛ لأن الإمام الأوزاعي كان من فقهاء مدرسة الحديث التي كانت أبعد المدارس عن التأثر بمؤثرات أجنبية. وقد قضى الفتح الإسلامي على أي سلطة أجنبية للقضاء في الخلافة الإسلامية. أما القول بالتشابه المزعوم بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني، فهذا محض إفتراء أيضاً، ذلك لأن الشريعة الإسلامية تقوم على أساس الوحي الإلهي، بينما يعتمد القانون الروماني على العقل البشري، ولذلك فإن الصلة بينهما، منقطعة[١].

وفي هذا الصدد يقول الدكتور السنهوري رحمه الله: «إن هذا القانون [الروماني] بدأ عادات... ونما وازدهر عن طريق الدعوى والإجراءات الشكلية. أما الشريعة الإسلامية، فقد بدأت كتاباً منزلاً من عند الله، ونمت وازدهرت عن طريق القياس المنطقي والأحكام الموضوعية... إلا أن فقهاء المسلمين امتازوا عن فقهاء الرومان، بل امتازوا عن فقهاء العالم باستخلاصهم أصولاً ومبادىء عامة من نوع آخر هي أصول استنباط الأحكام من مصادرها، وهذا ما سموه بعلم أصول الفقه»[٢].

ونحن نقول بكل فخر بأن النظام القانوني أو الدستوري في الخلافة العربية في العصر الإسلامي يتمثل بالتشريع الإسلامي الخالد فالدين الإسلامي على عكس بعض الأديان الأخرى عقيدة ونظام؛ يجمع بين الدين والقانون[٣]. والشريعة

(١) للتوسع راجع زيدان: المدخل ص: ٧٣ وبعدها.

(٢) المرجع السابق ص ٨٨.

(٣) للتوسع راجع محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث، وصلته بالإستعمار الغربي، ص: ٢٩٩ وما بعدها.
أبو الأعلى المودودي: مبادىء الإسلام ـ مترجم، ص: ٦ وما بعدها.
يوسف القرضاوي: شريعة الإسلام ص: ١١ وما بعدها.

http://kotob.has.it

الإسلامية شريعة إلهية، لأنها تعتمد أساساً على القرآن الكريم الذي هو كلام الله؛ لهذا فالتشريعات الإسلامية تحمل طابعاً من الإلزام والجبر، لأن كلام الله تعالى نهائي وقاطع.

والشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان. وهي قضية خبرية شهد بصدقها الوحي الإلهي، وشهد بصدقها التاريخ والواقع، وكل من اطلع على كنوزها من علماء القانون من المسلمين، ومن المنصفين من غير المسلمين.

فأما شهادة الوحي، فقد أنزل الله تعالى هذه الشريعة بعلمه على النبي محمد ﷺ ليقيم بها عدله في الأرض، ويحقق بها مصالح العباد في المعاش والمعاد؛ كما دلّ على ذلك استقراء نصوص الأحكام وتعليلاتها في الكتاب والسنة، وأنه سبحانه خصّ هذه الشريعة بالعموم، والإستمرار، دون الشرائع السماوية السابقة.

لقد اقتضت حكمته تعالى أن تكون شرائع الرسل الذين سبقوا النبي محمداً ﷺ في الزمن، شرائع محدودة موقوتة، فهي لأقوام معينين، في مرحلة زمنية خاصة، وكان هذا هو الموافق للحكمة والمصلحة، فلم تكن البشرية في طور يسمح لها بتقبّل شريعة عامة خالدة.

ولهذا لم يتكفّل الله سبحانه وتعالى، بحفظ مصادرها المقدسة من الضياع والتحريف، ولم يضمن لها أن يبعث في كل جيل من يحفظ كتابتها، ويصون ميراث بنيها، ويجدد لها أمر دينها.

ومن هنا حرّفت الكتب السماوية المنزّلة قبل القرآن الكريم، تحريفاً لفظياً ومعنوياً، ونسي أهلها حظاً ما ذكروا به. وهذا أمر أثبته القرآن الكريم، ودل عليه الإستقراء بيقين، واختلطت كلمات الله بكلمات البشر.

فلما بلغت البشرية طورها الأخيرة. بعث النبي محمد ﷺ ليكون رحمته للعالمين، ورسوله إلى الناس أجمعين، كما قال الله تعالى يخاطبه:

http://kotob.has.it

﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1]؛ **﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾**[2]؛ وقال تعالى: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾**[3].

وقال النبي محمد ﷺ معدداً خصائص رسالة الإسلام، وما مَنَّ الله عليه من فضل: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: . . . وفيه: وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة» (متفق عليه).

ومقتضى هذا العموم أن تكون هذه الرسالة، أو هذه الشريعة صالحة لكل قوم وكل بيئة، وكل زمان ومكان.

كما اقتضت حكمته تبارك وتعالى أن تكون هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع، فهي ناسخة لما قبلها، ولا تنسخ بشريعة بعدها، إذ ليس بعد كتابها كتاب، ولا بعد نبيها نبي. فقد كمل الدين بالإسلام، وصدق الله العلي العظيم إذ يقول: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[4]. وقال تعالى: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**[5]. وقال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأكمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فصار الناس يطوفون به ويتعجبون من حسنه، ويقولون: لولا هذه اللبنة، وأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين»[6]. وحيث أراد الله لهذه الشريعة الخلود، فقد جرى قدر الله ومشيئته بضمان دوامها إلى قيام الساعة؛ قال تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**. ويبدو أنه من أهم مزايا الشريعة الإسلامية، أنها في كل أحكامها، ومبادئها، وتوجيهاتها، ذات صبغة إنسانية عالمية،

---

(١) القرآن الكريم: سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) القرآن الكريم: سورة الأعراف، آية ١٥٨.

(٣) القرآن الكريم: سورة الفرقان، آية: ١.

(٤) القرآن الكريم: سورة المائدة، آية: ٣.

(٥) القرآن الكريم: سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

(٦) رواه الإمام أحمد، والشيخان، والترمذي وغيرهم بألفاظ مختلفة.

http://kotob.has.it

فهي رحمة للعالمين، وهداية للناس كافة، فهي ليست تشريعاً لجنس خاص من البشر، أو لإقليم معين من الأرض. بل هي للإنسان من حيث هو إنسان، عربي أو أعجمي، أبيض أو أسود، أصفر أو أحمر، في الشرق، أو في الغرب، في الشمال، أو في الجنوب، في امريكا أو في استراليا، أو في أي بقعة من بقاع العالم، وفي أي طبقة من طبقات المجتمع كان. فلا عنصرية في هذا التشريع، ولا عصبية، ولا طبقية، وإنما الناس فيه سواء.

وهذه الميزة، إنما هي أثر من آثار الصبغة الربانية في هذا التشريع. فلو كان واضعه فرداً، أو فئة من الناس، لتعصبت بوعي أو بلا وعي، لجنسها، ووطنها، ومصالحها، وطبقتها.

ولكن الشارع هنا هو رب العالمين، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، الناس أجمعين، العالمين أجمعين؛ فهم جميعاً عباده، لا فضل لفرد منهم على فرد، ولا لفئة على أخرى، بحكم الخلق والنشأة.

لقد هيأت الشعائر التي فرضها القرآن الكريم، للمجتمع الإسلامي إطاراً اجتماعياً ودينياً صلباً، لما لها من طابع قسري صارم.

ولما كانت التعاليم القرآنية لا تحيط بجميع المشكلات المستجدة في حياة الأمة، ولا تفي تماماً بكل ما يقتضيه قواعد السلوك اليومي، لجأ المسلمون إلى مصدر جديد للتشريع، لا يتنافى مع مبادىء التشريع الواردة في القرآن الكريم، ألا وهو الحديث، والسنة النبوية الشريفة؛ ليسدُّوا به الحاجة إلى استكمال تلك التعاليم من مصدر معتمد؛ فأصبحت السنة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي؛ فهي تحوي أحكاماً وقوانين كثيرة للمجتمع الإسلامي المتطور؛ وأصبحت المعيار الذي تقاس عليه السوابق التي وضعها النبي ﷺ أو أقرَّها.

والتشريع الإسلامي بعد فتح البلاد، واعتناق أهلها الإسلام، أصبح أساس القانون فيها. فحلّ مكان القوانين التي كانت سائدة فيها كالقوانين الرومانية في غرب الخلافة العربية، والقوانين الفارسية في شرقها، والقوانين القوطية في الأندلس. وكان أثر التشريع الإسلامي أكثر فاعلية مما قامت به القوانين السابقة، وذلك لأن من

http://kotob.has.it

أسلم كان لا بد له أن يلم بالتشريع الإسلامي، على عكس القوانين الرومانيـة، أو الفارسية، أو القوطية، التي لم يكن يعرفها غير رجال القانون.

ويعتمد التشريع الإسلامي على المصادر الآتية:

١ ـ **القرآن الكريم**: كتاب الله وتنزيله، هو المصدر الأول للشريعة الإسلامية لذلك فالتشريع الإسلامي غير متأثر بالقانون الروماني، أو الفارسي، أو غيره، بل هو تشريع إسلامي خالص، يُعبِّر عن طبيعة المجتمع الإسلامي المتطور؛ فهو لم يؤخذ عن أي قانون آخر.

كان القرآن الكريم وحده إذن، هو النبع الذي استقى منه المؤمنـون الأولون دينهم، وتكيّفوا به، وتخرّجوا عليه.

ولم يكن ذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة، ولا ثقافة، ولا علم، ولا دراسات، كلا بالطبع! فقد ذكرنا أنه كانت هناك حضارة الرومان، وثقافتها، وكتبها، وقانونها، كما كانت هناك مخلفات الحضارة الإغريقية، ومنطقها، وفلسفتها، وفنّها؛ وكانت هناك حضارات الفرس والهند والصين الخ.. وكانت الحضارتـان الرومـانية والفارسية تحفان بالجزيرة العـربية من شمـالها ومن جنـوبها، كمـا كانت اليهـودية والنصـرانية تعيشـان في قلب الجزيـرة... فلم يكن إذن عن فقـر في الحضـارات والثقافات العالمية، يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده فقط، في فترة تكوينه؛ وإنما كان ذلك عن تصميم مرسوم، ونهج مقصود من رسول الله ﷺ أن يقصر النبع الـذي يستقي منه ذلـك الجيل في فتـرة التكوين الأولى، على كتـاب الله وحـده، لتخلص نفـوس المسلمين للقـرآن الكـريم وحـده، ويستقيم عـودهم على منهجـه وحده.

كـان رسول الله ﷺ يـريد صنـع جيل خـالص القلب، والعقـل، والتصـور، والشعور، بل حتى خالص التكوين من أي مؤثـر آخر، غيـر المنهج الإلهي الـذي يتضمنه القرآن الكـريم. لم يكن المؤمنون الأولـون يقرأون القـرآن الكريم بقصـد الثقافة والإطلاع، ولا بقصد التذوق والمتاع؛ لم يكن أحدهم يتلقى القرآن الكريم

http://kotob.has.it

ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية، والفقهية محصولاً يملأ به جعبته. إنما كان يتلقى القرآن الكريم، ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه، وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته.

لقد حُفظ القرآن الكريم في صدور المسلمين، ولم يُجمع كله في عصر النبي ﷺ، ولكن تم تدوين بعض أجزاء منه. فلما كانت خلافة أبي بكر، شعر المسلمون بالحاجة إلى نص قرآني مضبوط يجمع أجزاء القرآن المدوّنة، وغير المدوّنة، يكون الرجوع إليه أضمن من الإعتماد على الذاكرة، والأجزاء المتفرّقة، وخاصة وأن الخليفة (أبا بكر رضي الله عنه) رأى عدداً كبيراً من القرّاء يستشهدون في حرب الرّدة، فعهد بالمهمة إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي، فجمع زيد السور المكتوبة على العسب (الجريد)، وعلى الرقاع، والأدم، والأحجار؛ بالإضافة إلى جمع ما كان يحفظه الرجال في صدورهم. ولكن بعض جماعات من المحاربين المسلمين في العراق، وفارس، والشام، ومصر، وجدوا لديهم أجزاء مكتوبة من القرآن، .يختلف الواحد منها عن الآخر، فاشتد الخلاف بينهم، كما اقترح فريق أن تضم إلى القرآن الكريم الأحاديث القدسية المعتقد أنها موحاة بمعناها لا بلفظها؛ ولم يتم جمع القرآن الكريم.

الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٤ ـ ٣٥ هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٦ م)، أخذ على عاتقه جمع القرآن الكريم في كتاب واحد موحّد؛ وعهد بهذه المهمة إلى جماعة من كبار الصحابة، أهم أعضائها زيد بن ثابت (كاتب الوحي). فاتخذت اللجنة ما جمعه الصحابة، وخاصة الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أساساً لجمعها. فكان جمعها له في سور وآيات، على حسب تلاوة الرسول، كما أوحى له الله جلّ جلاله، وليس على حسب نزولها التاريخي. وقد سمي هذا القرآن «مصحف عثمان» أو فقط «المصحف»؛ وكتبت منه أربعة نسخ، بالخط الكوفي غير المنقوط، وزّعت على المدينة، ودمشق، والبصرة، والكوفة،

http://kotob.has.it

ليكون عليه الإعتماد دون غيره[1].

٢ ـ **الحديث والسنة**: تعني كلمة الحديث النبوي في الأصل الخبر أو الرواية الشفوية، في موضوع ديني أو دنيوي؛ ثم أصبحت تعني في ازسلام أقوال النبي ﷺ. أما كلمة «سنة» فتعني طريقة تصرف النبي ﷺ في الأمور الإجتماعية والدينية؛ت ثم أصبحت تعني في الإسلام عادة النبي، أي ما عمله أو استحسنه أو أقّره. إذن الحديث يشير إلى قول الرسول ﷺ والسنة تشير إلى العمل. ولهذا أصبح المقصود بالحديث والسنة أقوال الرسول ﷺ وأفعاله المتعلقة بالدين والدنيا. وسميت الأحاديث بالسنة لضرورة اتباعها.

ويبدو أن تعقد الحياة في المجتمع الإسلامي المتطور، أدى إلى الإعتماد على الحديث والسنة في التشريع؛ لذلك يعتبران المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، لأن أحكامهما تتضمن أحكاماً، وقوانين كثيرة للمجتمع الإسلامي المتطور.

وكان الحديث شأنه شأن القرآن الكريم يُحفظ في صدور الرجال، أو يكتب في صحائف متفرِّقة. ويبدو أن تدوين الحديث بدأ في عهد النبي ﷺ، فقد جمع الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حوالي خمس مائة حديث؛ وكان لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) صحيفة حديث، وكان عند عبد الله بن عباس صحف حديث كثيرة، كما كان لبعض الصحابة صحف حديث أخرى، من أمثال هؤلاء الصحابة ابن شهاب الزهري، وعبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان يسمي

---

(١) للتوسع عن ذلك راجع: ابن أبي داود كتاب المصاحف؛
السيوطي: كتاب الإتقان في علوم القرآن، جـ ١؛
حاجي خليفة: يكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص: ٤٦٧ وما بعدها.
عبد المنعم ماجد: الدولة العربية جـ ١ ص: ٢٤٩ وما بعدها.
Noldeke: Geschichte des Corāns;
Blachère: Les Corans, introd.

http://kotob.has.it

صحيفته التي كان يدوِّن عليها الحديث (الصادقة)، وغيرهم[1].

وكان المسلمون يردّون معظم الأحاديث شفاهاً، ولم يتم تدوين الحديث على نحو منظّم إلا في أواخر القرن الثاني وبداية الثالث الهجريين في خلافة عمر بن عبد العزيز، لأن المسلمين كانوا يتحاشون تدوينه منذ البداية خوفاً من أن يختلط بالقرآن الكريم.

وكان نقل الحديث يتم عن طريق سلسلة من الرواة الحفاظ الموثوق بهم، ترتفع إلى أن تصل إلى النبي ﷺ، أو عن طريق السلف الأول من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، وهو ما عرف «بالإسناد». وقد دعاهم ذلك إلى البحث عن طريقة توصلهم إلى معرفة صحة أقوال النقلة، وقدرتهم على الحفظ، ونزاهتهم، وقربهم أو بعدهم عن النبي، وهو ما عُرف اصطلاحاً: بالجرح والتعديل. وزيادة في الحيطة، كان الشيعة يعتمدون في جمع الأحاديث على أئمتهم، وسموا الحديث أخباراً[2].

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص: ٦١، ٧٦. ابن سعد: الطبقات مجلد ٢ ص: ٣٧١، ص: ٣٧٣ حيث يقول ابن سعد: اخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس المدني عن سليمان بن بلال عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو (بن العاص) قال: استأذنت النبي؛ ﷺ، في كتاب ما سمعت منه، قال فأذن لي فكتبته، فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة... وعن مجاهد قال: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال: «هذه الصادقة! فيها ما سمعت من رسول الله...»؛ راجع أيضاً ابن سعد: الطبقات؛ مجلد ٦ ص: ١١٢، ١١٤، ١٢٥، ١٢٧ وما بعدها؛ راجع أيضاً الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ ٢ ص: ١٠ ـ ١١ وما بعدها.

عبد الرحمن عزام: بطل الأبطال، ص: ٢ وما بعدها. فاطمة هدى نجا: لمع من حضارتنا ص ١٣٦ وبعدها. عن بداية تدوين الحديث النبوي الشريف، وتدوين السيرة والمغازي راجع:

الإمام النووي: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، وبذيله مختصر من شرح العلامة ابن علان رحمه الله. المصعب الزبيري: نسب قريش ص: ١٧ وما بعدها. المسعودي أخبار الزمان ص: ٢٥ وما بعدها؛ فاطمة هدى نجا: العزر جـ ١ ص: ٥٨ وما بعدها.

عن حياة الرسول ﷺ راجع: محمد حسن هيكل: حياة محمد ص: ١٠٧ وما بعدها؛ الندوي: السيرة النبوية ص: ١٥ وما بعدها. خالد محمد خالد: عشرة أيام في حياة الرسول ص: ٢٧ وما بعدها.

(٢) النعمان: دعائم الإسلام جـ ١ ص ٦٤ وما بعدها.

http://kotob.has.it

ولكن على الرغم من تلك الإحتياطات التي اتخذت في تدوين الحديث من حيث السند، فإن كثيراً من الأحاديث لم تسلم من النحل في القرن الثاني الهجري، لتلبية حاجة البدع والنزاعات؛ التي بعدت عن مقاصد الرسول ﷺ. لذلك لا بد للباحث في الحديث الشريف، من الإعتماد على المجموعات الصحاح: كجامع الصحيح للبخاري (ت ٢٥٧ هـ)، وصحيح مسلم (ت ٢٦٢ هـ) وسنن أبي دواد (ت ٢٧٥ هـ) وسنن الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، إلى جانب «المسند» للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).

٣ ـ **الفقه أو علم الفروع**: لقد تمّ للتشريع الإسلامي أصوله؛ ولكن التطور المستمر الذي طرأ على المجتمع الإسلامي، جعل المسلمين يبحثون عن مصدر ثالث للقوانين؛ فلجأوا هذه المرّة إلى شرح الأصول، وهما القرآن والحديث، أو ما عرف بالفقه أو علم الفروع[1]. ولهذا جرى العرف عند المسلمين، على أن يقارن التشريع الإسلامي بشجرة لها أصول وفروع، أصولها القرآن والحديث، وفروعها شرح الأصول أو الفقه.

والواقع أنه في القرن الثالث الهجري، جمع المثقفون المسلمون أنواعاً مختلفة من البحوث، هي أساس كل الدراسات في علم الحديث، وأشهرها مجاميع الحديث أمثال: جامع الصحيح للبخاري، وصحيح مسلم، وشروح عمدة القارىء للعيني الخ.

ومع أن مؤلفي مجاميع الحديث، حاولوا ترتيبها حسب نظام خاص، فإن القرآن الكريم وتفاسيره، والأحاديث وتفاسيرها كوّنت رصيداً ضخماً لا يمكن تحويله بسهولة إلى موجز ضيق من القواعد والمبادىء المحدَّدة للسلوك. لذلك أصبح للرأي قيمته، فقد أصبحت الشريعة تستقي من مصدر آخر هو الإجتهاد والرأي الشخصي بواسطة المتكلمين، ولكن لا يصبح للرأي الشخصي سلطة إلا عندما يستند على الإجماع، أي رأي الخاصة من رجال الدين والفقهاء في زمن من

(١) للتوسع راجع الجرجاني: كتاب التعريفات؛ ابن خلدون: المقدمة ص: ٣٥٣ وما بعدها.
Sanhoru: Le Califat.

http://kotob.has.it

الأزمنة. أما التقدير أو الحكم الفردي، فلم يؤخذ به، إلا في أضيق الحدود، عندما يكون تطبيقاً يماثل حالة سابقة، وهو ما يعرف بالقياس؛ وهو ما يزال يستعمل حتى اليوم، فالفقيه يستطيع أن يطبق حالة جديدة على حالات جديدة مماثلة سابقة لـه، ويتمثل حق إصدار هذه الأحكام في الفتاوى التي يفتيها أشخـاص معترف بقيمتهم العلمية؛ ويعتبر: الإجتهاد، والإجماع، والقياس، والرأي، والإستحسان، والنظر، والفتـاوى، والمصالحـة ـ أي مصلحة الأمـة ـ والتقليد، والإستنبـاط أوجه متعـددة للفقه.

والفقه كما عرفه المسلمون هو المعرفة بقواعد الدين العملية، أو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب، والحظر، والإبـاحة، والكـراهة. فهـدف الفقه هو معرفة العلوم الإلهية والبشرية، وينطبق على جميع مظاهـر الحياة الـدينية والسياسية والمدنية، ويتضمن على هذا النحو قواعد العبادات، والمعاملات الخاصة بالحياة الإجتماعية، والأسرة والعقوبات وغيرها.

وكانت الشيعة ترى أن الإمام وحده، له حق تفسيـر الأصول، فهـو المجتهد المطلق؛ أما غيـره فإذا سمـح له الإمـام، فهو المجتهـد المقيّد؛ ويبـدو أن الشيعة قصّرت إشراف الإمام على الفقه خوفاً من المبالغة؛ كما أن السنة نفسها كانت تقفل أحياناً باب التفقه، خوفاً من الفوضى في التشريع.

وقد أعطى الفقه التشريع الإسلامي، المرونة؛ فنشأت على أساسـه مدارس فقهية أو مذاهب، كان كلّ منهـا يفسر الأصـول متأثـراً بظروف الحيـاة، وتطورهـا، كالمذهب الحنفي الذي ساد آسية الوسطى والباكستان وغيرها، وقد تبنـاه الأتراك، والمذهب الشافعي، وكان المذهب الرسمي للخلافة العباسية، والمذهب المالكي الـذي انتشر في المغـرب، والمذهب الحنبلي الـذي ساد قلب الجـزيرة العـربية؛ ومـذهب الإمـام الأوزاعي الـذي ذاع في الأنـدلس حتى عصـر الأمير هشـام بن عبد الرحمن الداخل الأموي، وقد انـدثر هـذا المذهب، لأنـه لم يعد يتمشى مع

http://kotob.has.it

طبيعة تطور الحياة الإسلامية في المجتمع الإسلامي[1].

وهكذا يبدو لنا من تاريخ نمو التشريع الإسلامي، نبذ أي فكرة من أن التشريع الإسلامي، متأثر بتشريع الفرس أو الرومان أو غيرهم؛ فهو تشريع إسلامي صرف وخالص، يعبّر عن طبيعة المجتمع الإسلامي المتطور. فلم يثبت علمياً أن التشريع الإسلامي أخذ عن أي قانون آخر، فضلاً عن وجود نظم في التشريع الإسلامي، لا أصل لها في أي تشريع آخر.

يتبيّن لنا مما تقدم أن الفقه الإسلامي بجميع أحكامه قد عاش قروناً طويلة، الأمر الذي لم يظفر به، ولا بما يقرب منه، أي تشريع في العالم. فمن المعلوم أن فقه التشريعات الحديثة، الغربية في أوروبا أو أمريكا، وليد قرن وبعض قرن من الزمان؛ وذلك منذ أن فصلوا أمور الدين عن أمور الدنيا. كذلك فإن التشريعات الروسية هي وليدة الربع الأول من القرن الرابع عشر هجري/ العشرين ميلادي؛ وقد تفككت اليوم والحمد لله رب العالمين، وزالت من الوجود.

أما الفقه الإسلامي، فله خمسة عشر قرناً. ولقد طوّف في الآفاق شرقاً، وغرباً، وشمالاً وجنوباً؛ وصعد الجبال والصحارى، ونزل الوديان، والسهول؛ ولاقى مختلف العادات والتقاليد، كما تقلب في جميع البيئات، وعاصر الحضارة والتخلف، والرخاء والشدّة، والسيادة والإحتلال؛ كما واجه الأحداث في جميع هذه الأطوار، فكانت له ثروة فقهية ضخمة، لا مثيل لها، وفيها يجد كل بلد أيسر الحلول لمشاكله.

وقد حكمت الشريعة الإسلامية في أزهى العصور، فما قصرت عن الحاجة، ولا قعدت عن الوفاء بأي مطلب، ولا تخلفت بأهلها في أي حين.

---

(١) للتوسع راجع: محمد أبو زهرة: أبو حنيفة، حياته وعصره. آراؤه الفقهية ص: ١٩٠ وما بعدها.
أمين الخولي: مالك تجارب حياة ص: ٤٥ وما بعدها.
عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ـ العصور الوسطى ص: ٢٠ ـ ٢٤.
يوسف القرضاوي: شريعة الإسلام ص: ١٦ وما بعدها.
نجا: لمع من حضارتنا ص ١٤٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

وبضعف الخلافة العربية، مؤخراً، أخذت بعض الدول العربية والإسلامية، في عصرنا الحديث، تبحث عن قوانين جديدة في غير التشريع الإسلامي، عند الدول التي أصبحت بيدها زمام الحضارة الزائفة، وخاصة قوانين دول أوروبة الغربية.

والواقع أن حضارة القرون الحديثة التي بدأت منذ أواخر القرن الثامن عشر للميلاد، واستمرت في نموّها المادي تمتد وتنتشر من مهدها في أوروبا، إلى كثير من بلاد العالم، فعناصرها قائمة على تمجيد العلوم المادية، والإستفادة من جميع الطاقات الكونية الظاهرة، والكمينة لخدمة الجسد، ومنحه وافر المتعة والرفاهية واللذة، واختصار الزمن له، وتقريب المسافات، وتخفيف الجهد عنه، ودفع الآلام الجسدية؛ وقائمة أيضاً على الرغبة ببسط السلطان على الشعوب، واستغلال خيراتها، وإعداد القوّة الكفيلة بتحقيق ذلك بدءاً واستمراراً.

ولذلك نلاحظ أن مظاهر هذه الحضارة الحديثة ذات صلة وثيقة بهذه الأسس، إذا أثمرت لإنسان هذه القرون الحديثة، ولمن يأتي من بعده مجموعة كبيرة جداً لا تُعد ولا تُحصى من العلوم المادية المتطورة جداً المتقدمة، ومجموعة ضخمة من المبتكرات والمخترعات التي أفادت الإنسان، في مختلف نواحي مطالبه المادية، السلميّة والحربية، ومجموعة ضخمة من النظم والتشريعات الوضعية، التي ساهمت في تنظيم علاقات الناس أفراداً، وجماعات، وأمماً، وشعوباً، ودولاً، كما أثمرت له ذخائر كبيرة جداً من القوى الحربية الدفاعية والهجومية.

ولكن لا بد أن يلاحظ الباحثون المنصفون، الغير موتورون، في هذه الحضارة الحديثة، أن أسس عناصرها الفكرية، غير شاملة لحاجات الحياة كلّها، وذلك لإهمالها جوانب مهمة من حياة الإنسان الروحية والخلقية والسلوكية، ولاستهانتها بالجوانب الفكرية العليا، المتصلة بمنشأ الإنسان ومعاده، والغاية من وجوده.

من أجل ذلك، فإن هذه الحضارة الحديثة لن تستطيع أن تعطي الصورة

http://kotob.has.it

المثلى للحضارة الإنسانية الراقية، وربما يكون تقدّمها الباهر في وسائل الرفاهية واعتدة القوّة سبباً من أسباب دمارها المذهل إن عاجلاً أو آجلاً.

أما الحضارة الإسلامية، فهي الحضارة الوحيدة التي تشمل أسسها الفكرية، والنفسية، والجسدية، والمادية؛ الفردية والإجتماعية، ومن جميع المجالات العلمية والعملية؛ لأنها حضارة تتصف بالإيمان. ففي ظلّ الإيمان نشأت، وترعرت، وازدهرت، وبفضله وهديه اكتسبت أسمى مبادئها، وقيمها، ومثلها. فمن الإيمان كان التسامح والمحبة، ونبعت مكارم الأخلاق. واتخذت الحضارة العربية من الإيمان دعامة لها، ولم تهمل المادة، بل أعطتها حقّها من التقدير، لما لها من أهمية في سعادة البشر، وبناء العمران.

فالحضارة العربية عندما اتخذت من الإيمان ركيزة لها، إنّما استهدفت أن تحمي كيانها بسياج منيع من المثل الكريمة، والمبادىء الخلقية، لأن الأديان السماوية، تتفق كلّها في رسالة واحدة، هي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. والإيمان كما نعلم، لا يتعارض مطلقاً مع العلم، بل على العكس، الإيمان هو الذي يتوّج العلم بهالة من الخير والبركة، تجعل منه علماً نافعاً، فلا خير في علم دون أخلاق؛ ومكارم الأخلاق هي جوهر الأديان السماوية، ومحور رسالتها، لذلك فهي جديرة أن تمنح الأمم التي تلتزم بها، وتسير في منهجها سيراً قويماً الصورة المثلى للحضارة الإنسانية الراقية. ويظل ارتقاء قمم الحضارة المثلى أبد الدّهر، رهناً بالتزام أسس هذه الحضارة ووسائلها ومنهجها.

وقد استطاعت أسس هذه الحضارة، ووسائلها، ومناهجها أن تدفع الخلاقة العربية في حقبة من الدهر للإرتقاء في سلّم الحضارة المجيدة المثلى، على مقدار التزامهم بأسسها ووسائلها ومنهجها السديد؛ وكانت نسبة الإرتقاء الذي أحرزته هذه الأمة نسبة مدهشة إذا قيست بالزمن والطاقات التي تيسرت لهم حينئذٍ، واستمروا في ارتقائهم المدهش، حتى أدركهم الوهن والإنحراف عن عناصر الحضارة الإسلامية الراقية، ووسائلها الفعالة ومنهجها السديد. فالتشريع الإسلامي يعتبر أوسع القوانين

http://kotob.has.it

التي وجدت، منذ ظهور الحضارة[1].

وقد زاد هجومهم على إسلامنا الحنيف في العصر الحاضر، عصر ازدهار مرض عدم المناعة (السيدا) والمخدرات، وجميع الموبقات، وذلك بعد أن رأوا الحضارة الحديثة عندهم (وهي زائفة بالطبع) قد زعزعت أسس العقيدة بالنصرانية عند الغربيين، وأخذ تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم يزداد؛ فلم يجدوا وسيلة أجدى من تشديد الهجوم على الإسلام؛ لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة.

فمن المستحيل على هؤلاء المستشرقين المشتغلين بدراسة الإسلام، وأكثرهم متدينون، أن ينسوا أنهم يدرسون ديناً ينكر عقائد أساسية في النصرانية، ويهاجمها ويفندها مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء، كما أنه من المستحيل عليهم أيضاً أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد قضى على النصرانية في بلاد الشرق وحل محلها.

كما أنهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى، ثم الحروب الصليبية، ثم الفتوحات الإسلامية السلجوقية في الأمبراطورية البيزنطية بعد معركة «ملا زكرد»، والعثمانية حتى اسوار «ڤينا» في اوروبا بعد ذلك، في نفوس الغربيين من خوف شديد من قوّة الإسلام، ومن كره لأهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية.

ولنذكر مثلاً بسيطاً وهو نقطة من بحر هذه الدراسات: فالمستشرق الهولندي «هادريان ريلاند» [ت ١١٧٢ هـ/ ١٧١٨ م] كان أستاذ اللغات الشرقية في جامعة «أوترشت» بهولندا، كتب كتاباً باللغة اللاتينية عن الإسلام عام ١١٥٩ هـ/ ١٧٠٥ م

---

(١) للإستزادة راجع: ماجد: تهريخ الحضارة الإسلامية ص ٢٤ وبعدها. حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ص ٢٢ وبعدها. عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ١٩ وبعدها. ابن تيمية: السياسة الشرعية ص ١٦٩ وبعدها. عبد الوهاب خلاف: كتاب السياسة السرعية. الماوردي: ادب الدين والدنيا ص ٢٧٢ وبعدها. ابن القيم الجدرية: زاد المعاد جـ ٢ ص ٩ وبعدها. القرضاوي: شريعة الإسلام ص ١٨ وبعدها. نجا: لمع من حضارتنا ص ١٤٦ وبعدها.

http://kotob.has.it

بعنوان «الديانة المحمدية»[1] في جزأين. عرض في أولهما العقيدة الإسلامية معتمداً على مصادر بالعربية واللاتينية. وفي الجزء الثاني صحح بعض الآراء الغربيـة التي كانت سائدة حينذاك عن تعاليم الإسلام. وقد أثار الكتاب اهتمامـاً عظيمـاً لدرجـة أدت إلى إثارة الشبهات حول المؤلف باتهامه بأنه يريد القيام بعمل دعائي للإسلام، في حين أنه قصد فهم الدين الإسلامي فهمـاً صحيحاً، ممهـداً بذلـك السبيل إلى محاربته من جانب الغرب المسيحي بطريقة أفضل من ذي قبل.

ولكن الكنيسة الكاثوليكية أدرجت الكتاب في قائمة الكتب المحرَّم تداولها. وعلى الرغم من ذلك ترجم الكتاب إلى اللغات الإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية، والإسبانية. ويشير المستشرق «ريلاند» في مقدمة الكتاب إلى ما تتعرض له كل الأديان باستمرار من جانب خصومها، إما بعدم فهمها، أو برميهـا بكل سـوء بـطريقة تنبىء عن قصـد خبيث. وقد تعـرض الإسـلام إلى مثـل ذلـك من جـانب خصومه، مثلما تعرضت الأديان الأخرى. ويقول «ريلاند» إن المرء يصح له حقاً أن يبحث عن الحقيقة حيثما كانت. ولهذا يريد أن يعرض الإسلام لا كمـا يظهـر من خلال ضباب الجهل وخبث الناس، وإنما كما يدرس حقيقة في مساجد المسلمين ومدارسهم. فلم يحدث أن تعرض دين من الأديان في هذا العالم في أي عصر من العصور إلى مثل ما تعرض لـه الإسلام من جـانب خصومـه من الإحتقار والتشـويه والوصف بكل أوصاف السوء. وقد وصل الأمر إلى حد أن من يريد أن يصف نظرية من النظريات بوصف مشين، يصفها بأنها نظرية محمدية.. كما لو كان الأمر أنه لا يوجد في تعاليم محمد شيء صحيح، وأن كل ما فيها فاسد. وإذا أبدى أحد رغبة صادقة في التعرف على الإسلام، لا تقدم له إلا الكتب المضـادة الخبيثة والمليئـة بالضلالات،. ويضيف «ريلاند» قائلاً: «... ينبغي على المرء بدلاً من ذلـك أن يتعلم اللغة العربية،... كما ينبغي على المرء أن يقتني الكتب العربية، وأن يرى

(١) اسم الكتـاب يدل على تشـويه للدين الإسـلامي الحنيف، فمحمد ﷺ رسـول الله إلى عبـاده، وليس مخترعاً لدين خاص به؛ إن الدين عند الله الإسلام.

http://kotob.has.it

بعينيه هو وليس بعيون الآخرين، وحينئذ سيتضح له أن المسلمين ليسوا مجانين كما نظن. فقد أعطى الله العقل لكل الناس. وقد كان في رأيي دائماً أن ذلك الدين الذي انتشر إنتشاراً بعيداً في آسيا وأفريقيا، وفي أوروبا أيضاً، ليس ديناً ماجناً أو ديناً سخيفاً كما يتخيل كثير من المسيحيين... صحيح إن الدين الإسلامي دين سيء جداً وضار بالمسيحية إلى حد بعيد، ولكن، أليس من حق المرء لهذا السبب أن يبحثه؟ ألا ينبغي للمرء أن يكتشف أعماق الشيطان وحيله؟ إن الأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام في حقيقته، لكي يحاربه بطريقة أكثر أماناً وأشد قوة». ومع هذه الحقيقة الصريحة، فإن الكنيسة في الغرب لم تقتنع بتلك المبررات، فحرّمت تداول الكتاب لأنها لم تكن تريد حتى للحقيقة المشوّهة أن ترى النور حتى يطلع عليها جمهور الناس.

أما سيمون أوكلي (١١٢٤ - ١١٦٧ هـ/ ١٦٧٨ - ١٧٢٠ م) ففي كتابه «تاريخ السراسنة» ويقصد بهم العرب المسلمين، فقد مجّد في هذا الكتاب الشرق الإسلامي، ورفعه فوق الغرب. ولكنه وصف النبي محمد ﷺ بأنه: «... رجل خبيث جداً وماكر، وأن ما كان بيديه من شمائل طيبة كانت مجرّد أمر ظاهري يخفي وراءه حقيقة نفسه التي كان يحكمها الطموح والطمع... وحين قامت جمعيات التبشير، وضعت من أهدافها تحويل المسلمين عن دينهم إلى النصرانية، أو اللادينية والإلحاد الكامل. وقد كان قرارا «فينا» الكنسي في عام ٧١٣ هـ/ ١٣١٢ م، وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون، وتأسيس مجلة العالم الإسلامي (The Muslim world) عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١١ م عن طريق صمويل زويمر رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، والذي توفي في منتصف هذا القرن، كانت هذه بعض الشواهد الظاهرة في اتجاه خدمة الهدف الديني، والعمل من أجله في محيط الإستشراق. كما أننا نرى أنه عندما دخل ميادين الإستشراق عناصر مختلفة الغايات والأهداف، على الرغم من أن ساحة الجميع

---

(١) للتوسع راجع Gustan Piann mueller: Hand buck p: 53 etc.

(٢) للتوسع راجع: تراث الإسلام جـ ١ ص ٧٤ وبعدها

http://kotob.has.it

واحدة، وهي إبعاد المسلمين عامة، وبراعم المسلمين خاصة عن دينهم، نلاحظ أنه غدا للإستشراق عدة مدارس، كل منها له أهداف تنسجم مع المذهب الفكري أو الديني الذي يتبعه المنتسبون إليها منها:

١ ـ **المدرسة النصرانية**: وهي تنقسم إلى فرعين: الكاثوليكية والبروتستانتية. وهذان الفرعان يلتقيان في الأعمال والأهداف، وإن اختلفا في بعض الآراء المذهبية.

٢ ـ **المدرسة اليهودية**: وهي ذات أهداف خاصة تخدم المخططات اليهودية العالمية، مهما لبست من البيئات التي تكون فيها، من ألبسة نفاق، تمالىء فيها هذه البيئات، وسترت وجهها الحقيقي بأقنعة مزوَّرة.

٣ ـ **المدرسة الإلحادية العامة**: وتتلخص أهداف هؤلاء المستشرقين الملحدين بنشر الفكر الإلحادي بإنكار وجود الخالق عز وجل، وهؤلاء موزعون في مختلف المذاهب الإجتماعية والإقتصادية والسياسية.

٤ ـ **المدرسة الإلحادية الشيوعية**: تتلخص أهداف المستشرقين الشيوعيين فيها بنشر الإلحاد والشيوعية معاً، واستدراج شعوب الأمة الإسلامية إليهما.

يقول «**نورمان دانييل**»: «على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب النصارى من الإسلام فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً. . .».

ويقول **برنار لويس**: «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية. . .».

ويقول **مونتغمري وات**: «جدَّ الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في اوروبا عن الإسلام. وعلى رغم الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل، فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسطة في أوروبا لا تزال قائمة. فالبحوث والدراسات الموضوعية

http://kotob.has.it

لم تقدر بعد على اجتنابها. . . . »[1].

ويبدو لنا من خلال ما قرأناه عن آراء المستشرقين عن الإسلام الحنيف، ونبيه الكـريم صلوات الله وسلامـه عليه، ومن واقـع ما لهـم من آراء أخـرى في الاتجاه نفسه، أن الإستشراق لم يطوِّر كثيراً من أساليبه ومناهجه.

أمـا في دراسته لـلإسلام، فـالإستشراق لم يحـرر نفسه إطـلاقاً من الخلفيـة الدينية، التي كانت قد صورتها العصور الوسطى لإسلامنا الحنيف، الدين الحق.

لقد بقيت حتى اليوم تتعدد علائم الإصرار على الأفكار العتيقـة، سواء فيمـا يتعلق بالقرآن الكريم، والسنَّة النبوية الشريفة، أو ما يتعلق منطقياً بالعقيدة والشريعة والتاريخ في الإسلام. وحتى اليوم تقوم وسائل الإعلام المتعددة في الغرب في تأكيد وتقوية هذا الوضع التقليدي الذي لا يزال ينـظر إلى الإسلام إلى حـد كبير بمنـظار القرون الوسطى. فمثلاً انكـر «بروكلمـان» في كتابـه «تاريـخ الشعوب الإسـلامية» الوحي، والإسراء، والبعثة، والقرآن الكريم، بل اعتبر أن القرآن الكريم كلام قـاله محمد ﷺ ونسبه إلى الله. وكذلك أنكر «سير توماس ارنولد» في كتابه: «الدعوة إلى الإسلام» رسالة الحبيب المصطفى ﷺ والقرآن الكريم بأنه كلام الله، ولكنه سلك في كتابته أسلوباً مزج فيه بين الليونة، وحلاوة العبارة، وعدم الإصطدام مع مشاعر وأحـاسيس القارىء المسلم، وبين تحقيق الأهـداف الخبيثـة التي من أجلهـا قـام بتأليف كتابه. وكذلك انكر غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» أن الحضارة هي عربية صرفـة بل هي مأخوذة من اليونان والـرومان واتهم الحبيب محمـد ﷺ بالشهوانية وغيرها مما لا يليق. أما المستشرق «مرجليوث» ففي كتابه «محمد» جهد في البحث عمن اسماهم الأساتذة الذين كانوا يعلمون الرسول ﷺ الكتب المقدسة فذكر الصحابي الجليل ياسر، وجابر بن عبد الله وصهيب. أما المستشـرق «كانـون سل» فقد زعم في كتـابه «حيـاة محمد» بـأن الرسـول ﷺ أخذ أفكـاره عن زيد بن

---

(١) للتوسع راجع اللبان: المستشرقون والإسلام ص ٣٦ وبعدها.

http://kotob.has.it

عمرو بن نفيل وغيره من الصحابة. وكتب المستشرق الفرنسي «كيمون» في كتابه «باثولوجيا الإسلام» يقول: «إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور، ويجمع في القبائح!!. وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي، وتكرار لفظة [الله] إلى ما لا نهاية، على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة: ككراهة لحم الخنزير والنبيذ، والموسيقى، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات. ويتحدث «مارجليوث» في كتابه «محمد» عن إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه فيقول: «إن إسلامه كان بسبب حبه رقية بنت رسول الله ﷺ...». ويسخر «دانتي» في الأنشودة ٢٨ من «الكوميديا «الإلهية» التي أسماها «الجحيم» من عقائد المسلمين، وذلك حين صوَّر الرسول ﷺ في الدائرة الثامنة من دوائر الجحيم التسع، وقد خصص له المؤلف أبشع صورة من صور العذاب.

أما أقوال المستشرقين عن الحبيب المصطفى فحدث عنها ولا حرج. يقول المستشرق «مارجليوث» «إن الباعث على رسالة هذا الرسول هي الشعوذة لا أكثر ولا أقل».

ويقول «سفوك هيرغا رنجة»: «يجب أن نقرر أن قيمة محمد ﷺ منحصرة في سائر ما يميزه عن جميع الهيستيريين». وعن سبب وفاة الرسول ﷺ يقول القس لامنس: «كان محمد ذا شهية قوية جيدة وقد اكتظ جسمه فأصبح مهدداً بداء السكتة القلبية حتى مات». أما «بارتلمي ديربيلو» الذي يعد من أعلام المستشرقين في القرن السابع عشر الميلادي فيقول عن الرسول ﷺ: «هذا هو المنتحل المشهور ماهومت، المؤلف والمؤسس لهرطقة اتخذت لها اسم الدين، ونسميها نحن الماهوميتية، وقد نسب مفسرو القرآن وفقهاء الشريعة الإسلامية أو الماهوميتية، إلى هذا النبي المزيف كل المدائح التي نسبها، البوالسة، والهراطقة الآخرون إلى يسوع المسيح، مجردين

http://kotob.has.it

إياه في الوقت نفسه، من ألوهيته»[1]. ونحن هنا نكتفي بنقل هذه الشتائم الهابطة، والأقوال المتناقضة، ليعلم القارىء أخلاق المستشرقين ومنهجهم فيما اسموه: «التحقيق العلمي، والمبادىء المستمدة من العقل والمنطق، وموضوعية البحث، وحرية النقد، وتجرد وحياد الخ.

ولم يذكر لنا أدعياء البحث العلمي أدلة أو حتى شبهات لنرد عليها، ومما يجدر ذكره إن عامة الناس في بلاد المسلمين، وحتى الذين حرموا من العلم والمعرفة، يعرفون بطلان هذه الإدعاءات وتهافتها.

وأنا اتحدى تلامذة المستشرقين، وسائر المعجبين بهم، والسائرين على نهجهم، أن يأتوني بكتاب واحد من كتب أساتذتهم المستشرقين، ليس فيه دس ولا افتراء ضد الإسلام والمسلمين.

ومن الغريب أن الهيئات العالمية مثل «اليونسكو» وهي هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية، تستكتب المستشرقين، بوصفهم متخصصين في الإسلاميات، للكتابة عن الإسلام والمسلمين في الموسوعة الشاملة التي تصدرها «اليونسكو» عن «تاريخ الجنس البشري وتطوره الثقافي والعلمي». وقد أثارت كتابات المستشرقين حفيظة المسلمين على مؤسسة «اليونسكو»، وآلمهم ما فيها من مجافاة للحقائق التاريخية، وتهجمهم على نبينا صلوات الله وسلامه عليه؛ وكتب الكثيرون احتجاجات على هذه الإساءات التي ليست إلا وحياً لتقاليد موروثة، وامتداداً للروح الصليبية؛ وهو عمل كان ينبغي أن تتنزه عنه هذه المؤسسة[2]. ففي هذه الموسوعة كتب أساطين الفكر الغربي عن الإسلام، والقرآن الكريم، والرسول الحبيب

---

(١) للتوسع: راجع كتب المستشرقين: بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ارنولد: الدعوة إلى الإسلام. غوستاف لوبون: حضارة العرب: مرجليوث: محمد؛ كانون سل: حياة محمد؛ كيمون: باثولوجيا الإسلام: دانتي: الكوميديا الإلهية؛ لامنس: الإسلام. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث ص ٥٥٠ وبعدها. محمد الحسيني: سيرة سيد المرسلين جـ ١ ص ٢٥ وبعدها. محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٧٠ وبعدها، إدوارد سعيد.

(٢) للتوسع راجع شلبي: الإسلام والمستشرقون ص ٣٠ وبعدها.

http://kotob.has.it

صلوات الله وسلامه عليه كلاماً مليئاً بالحقد والدس والإفتراء. ففي موسوعة تاريخ الجنس البشري وتقدمه الثقافي والعلمي التي أصدرتها منظمة العلوم والثقافة (اليونسكو) للأمم المتحدة في الفصل العاشر من المجلد الثالث ما يلي:

١ ـ إن الإسلام ترتيب ملفق من اليهودية والمسيحية والوثنية العربية.

٢ ـ القرآن [الكريم] كتاب ليس فيه بلاغة.

٣ ـ الأحاديث النبوية وضعت من قبل بعض الناس بعد وفاة الرسول ﷺ بفترة طويلة ونسبت إلى الرسول.

٤ ـ وضع الفقهاء المسلمون الفقه الإسلامي مستندين إلى القانون الروماني والقانون الفارسي والتوراة وقوانين الكنيسة.

٥ ـ لا قيمة للمرأة في المجتمع الإسلامي.

٦ ـ ارهق الإسلام أهل الذمة بالجزية والخراج[1].

والحقيقة الثابتة أنه عند عرضنا لآراء المستشرقين حول الإسلام، علينا أن نناقش تلك الآراء الإستشراقية الأساسية التي ترسخت في الأذهان باسم العلم، والمنهج العلمي، واستخدام أساليب النقد والتحليل في البحث. فقد ينخدع بعضهم بتلك الشعارات العلمية المجردة ـ كما يقول المستشرقون ـ ولكن البحث والتنقيب في هذه الآراء يُظهر لهم أنهم كانوا يجرون وراء سراب يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءوه لم يجدوه شيئاً.

يقول المستشرق «رودي بارت»: «... فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية، لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام، ومظاهره المختلفة، والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة...»[2].

---

(١) مجلة التمدن الإسلامي مجلد ٤٤، عدد ٧، ص ٥٠٨.

(٢) بارت ص: ١٠.

http://kotob.has.it

وقد لا يبدو على هذا المنهج غبار من وجهة النظر العلمية «فالقوم يدرسون العلوم الإسلامية العربية، ويضعون نظريات، ويكونون آراء في أثناء ما يقومون به من دراسات، ويهتمون بتقديم أدلة وأسانيد لهذه الآراء والنظريات، يستمدونها من المراجع الإسلامية نفسها، وهذا العمل في ظاهره عمل علمي سليم. ولكن الفحص الدقيق أثبت أن كثيراً منه مصنوع، وكثيراً ما يكون الدافع إليه الرغبة في التجريح، وتوهين العقيدة الدينية، والشريعة الإسلامية»(1).

فقد عرض مثلاً أحد المستشرقين المعاصرين وهو «جاستون فييت» في كتابه «مجد الإسلام» تاريخ الإسلام عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرخين والكتاب المعاصرين، لكل فترة من فترات هذا التاريخ. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الكتاب ينضح بالحقد والطعن في الإسلام وتاريخه لأنه اختار فقط النصوص التي تتفق مع الإتجاه الذي اختاره هو سلفاً، وهو اتجاه يتسم بالعداء والكراهية للإسلام والمسلمين(2).

ويؤكد ذلك المستشرق «محمد أسد» بقوله: «... إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة، ويقوم مقام المحامي الدفاع، وكانت كل الدعاوي تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها. ويختار المستشرقون شهودهم حسب الإستنتاج الذي يقصدون أن يصلوا إليه مبدئياً. وإذا تعذّر عليهم الإختيار العربي للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها من المتن، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمي من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أي من قبل المسلمين أنفسهم. وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوّهة للإسلام وللأمور الإسلامية، تواجهنا في

---

(1) للتوسع راجع اللبان: المستشرقون والإسلام ص: ٣٢ وبعدها.

(2) للتوسع راجع النقد القيم لكتاب فييت «مجد الإسلام» للدكتور حسين مؤنس ملحق بكتاب الدكتور البهي: الفكري الإسلامي الحديث من ص ٥٦٥ حتى ص ٥٧٧.

http://kotob.has.it

جميع ما كتبه مستشرقو أوروبة. وليس ذلك قاصراً على بلد دون آخر. إنك تجده في انكلترة والمانية، في الروسية وفرنسة، في إيطالية وهولندة، وبكلمة واحدة، في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام. ويظهر أنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة ـ حقيقية أو خيالية ـ ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد...»[1].

والمعروف أن البحث العلمي النزيه لا صلة له إطلاقاً بالرغبة في الطعن والتجريح، والبحث عن نقاط الضعف والتجريح والتشويه، وتسقط وتلقط الأخطاء. والأسلوب العلمي يحتم ضرورة التأكد من صحة النصوص والأسانيد التي تستنبط منها ما تستنبط من نظريات. ولكن رغبة المستشرقين في التشويه والتجريح غالباً ما حملتهم على التماس أسانيد واهية مرفوضة يؤيدون بها ما يقررونه من نظريات، «فهم لا يترددون في الإعتماد على الأحاديث الضعيفة، وهم ينقبون في طوايا كتب التاريخ والسير عن أخبار ضعيفة غير ثابتة يدعمون بها آراءهم، ولهم صبر عجيب لا ينفد في استكشاف هذه المخبوءات واستغلال الضعيف من الدلالات. ومهما يكن في شيء فهم لا يستوعبون دراسة ما بأيديهم من المسائل، وكثيراً ما يغفلون النصوص والأخبار التي تناقض ما يقررون[2].

وهذا انحراف أكيد عن النهج العلمي السليم كما نعلم. ولكن هذا الإنحراف العلمي هو للأسف طابع غالبية الدراسات الشرقية حول الإسلام؛ الأمر الذي يجعلنا نقف من هذه الدراسات موقف الحذر، ويحتم علينا الكشف عما فيها من خداع وزيف. فالكثير من الآراء والنظريات التي يقولون بها مبنية على افتراضات لا أساس لها وتخمينات لا سند لها إلا في عقولهم المريضة الحاقدة على الإسلام الحنيف.

والحقيقة أنه ليس بالأمر الغريب أن يختلف المستشرقون معنا ـ نحن المؤمنين المسلمين ـ في الرأي حول الإسلام، بل الغريب أن يتفقوا معنا في الرأي؛ ذلك لأن

---

(١) محمد أسد [ليوبولد ڤايس]: الإسلام على مفترق الطرق ص ٥٢ وبعدها.

(٢) اللبان: المستشرقون ص ٣٣.

http://kotob.has.it

منطلق تفكيرهم بالنسبة للإسلام ونبيه محمد ﷺ يختلف عن المنطلق الذي يصدر عنه تفكير المؤمنين المسلمين. ولهذا تختلف وجهات النظر بيننا وبينهم، وستظل مختلفة. نحن لن ننتظر منهم أن يتبنوا وجهة نظرنا إلى الإسلام على أنه دين سماوي ختم به الله الرسالات السماوية، وأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن القرآن الكريم وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنهم لو فعلوا ذلك لأصبحوا مسلمين. وهذا ما حدث بالفعل لبعضهم من النزيهين الذين تحولوا إلى الإسلام. وهذا التحول إلى الإسلام، يعني في الوقت نفسه التحول عن الخط الإستشراقي الحاقد.

ونحن لن نطلب من كل مستشرق أن يغير معتقده، ويعتقد ما نعتقده عندما يكتب عن الإسلام. ولكن هناك أولويات بديهية يتطلبها المنهج العلمي الصحيح السليم. فعندما أرفض وجهة نظر معينة، لا بد أن أبيِّن للقارىء أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها ثم لي بعد ذلك أن أخالفها أو أوافقها.

ونحن نقول على هذا الأساس إن الكيان الإسلامي كله يقوم على أساس الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ والإيمان بنبوة الرسول محمد ﷺ الرسول الأمين الأمي الذي تلقى القرآن الكريم وحياً من عند الله، منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة، بواسطة رسول الوحي جبريل عليه السلام؛ وكذلك الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله إلى شعوبهم لهدايتها إلى توحيد الله وعبوديته.

ولهذا يجب على المؤرخ العلمي النزيه المحايد أن يقول ذلك لقرائه عندما يتعرض للحديث عن الإسلام، حتى يستطيع القارىء أن يفهم سرّ قوَّة هذا الإيمان العميق في تاريخ المسلمين. ثم له بعد ذلك أن يخالف المسلمين في معتقداتهم وتصوراتهم أو يوافقهم.

لكن هذا النهج الطبيعي والمنطقي قلَّما يتبع مع أعداء الإسلام للأسف؛ بل كثيراً ما يحدث العكس، حيث يتعرض القارىء إلى الإيحاء برأي وفكر معين، وأحياناً يتعرض إختلاط في الأمور عجيب، يجعله عاجزاً عن التمييز بين الأصل

http://kotob.has.it

المتوارث لدى جماعة المسلمين، وبين رأي الكاتب. وهكذا نجد كثيراً من المستشرقين الذين يحملون غيرهم أعباء معارفهم الخاصة، يهملون ملاحظة مبادىء أولية للمنهج العلمي في معالجة المسائل التاريخية. إنهم يؤكدون بثبات أن القرآن الكريم من إنشاء محمد ﷺ[1]. ثم يذهبون بعد ذلك مذهباً بعيداً في تأسيس الأحكام التاريخية والعقيدية والأدبية وغيرها على هذا التأكيد الخاطىء؛ وسرعان ما ترتفع هذه بمحض الشهرة إلى مرتبة الحقائق[2].

وهكذا يمكننا القول بعد كل ما ذكرناه:

١ - إن الإستشراق يعطي لنفسه في دراسته للإسلام، دور ممثل الإتهام والقاضي في الوقت نفسه. فبينما نرى مثلاً أن علم التاريخ يحاول أن يفهم فقط، ولا يضع موضع الشك أسس المجتمع الذي يدرسه، نجد الإستشراق يعطي لنفسه حق الحكم، والإتهام، والرفض للأسس الإسلامية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي[3]. وذلك ناتج عن نوايا مسبقة، لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون نوايا علمية صافية.

٢ - إن الإستشراق يخلط كثيراً بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة؛ وبين الوضع المتردي للعالم الإسلامي في عالم اليوم. فالمستشرقون يحاولون الإهتمام بفرق الدراويش في مختلف الأقطار الإسلامية، كما يوجهون الأنظار والإهتمام على الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية، والبهائية، والقاديانية وغيرها من فرق قديمة وحديثة. كما يعملون جاهدين على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، ويعدُّون على الدوام المنشقين عن الإسلام، أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي[4]؛ ودائماً يهتمون بكل غريب وشاذ؛ ودائماً

(١) قاتلهم الله، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.
(٢) للتوسع راجع البهي: الفكر الإسلامي الحديث ص ٥٩١ وبعدها.
(٣) جعيط ص: ٧٧.
(٤) للتوسع راجع لويس ماسينيون في كتابه الحلاج. راجع أيضاً عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٣٦٣ وبعدها.

http://kotob.has.it

يقيسون ما يرونه في العالم الإسلامي على ما لديهم من قوالب مصبوبة جامدة موروثة عن القرون الوسطى في الغرب لإسلامنا الحنيف.

٣ ـ إن المرء يفتقد الموضوعية في كتابات معظم المستشرقين عن الدين الإسلامي، في حين نراهم عندما يكتبون عن ديانات وضعية مثل البوذية والهندوكية والداهشية وغيرها، يكونون موضوعيين في عرضهم لمثل هذه الديانات الباطلة.

فالإسلام الدين الحنيف الحق، فقط من بين كل الديانات التي ظهرت في الشرق والغرب هو الذي يُهاجم. والمسلمون فقط من بين العالم جميعاً، هم الذين يوصمون بشتى أنواع الأوصاف الدينية، من رجعية، وتخلف، وإرهاب وغيرها. ويفسر البعض ذلك بأنه نتيجة الخوف من امتداد الإسلام الذي كان يمثل لأوروبا صدمة مستمرة.

فلقد كان الخوف من الإسلام هو القاعدة، وحتى نهاية القرن الحادي عشر هـ/ السابع عشر م، كان خطر الخلافة العثمانية رابضاً عند حدود أوروبا، ويمثل في اعتقادهم تهديداً مستمراً بالنسبة للمدنية النصرانية كلها. ومن هنا يمكن فهم ما يزعمه «موير» (Muir) من «إن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة والحرية والحقيقة». أما «فون جرونيباوم» فهو يدَّعي أن الإسلام ظاهرة فريدة لا مثيل لها في أي دين آخر أو حضارة أخرى، فهو دين غير إنساني وغير قادر على التطور والمعرفة والموضوعية. وهو دين غير خلّاق وغير علمي واستبدادي[1].

يقول إدوارد سعيد في كتابه الإستشراق: «... وما تزال حتى اليوم تنشر الكتب والمقالات بانتظام عن الإسلام والعرب، دون أن تمثل تغيراً عن الأفكار التي سادت القرون الوسطى وعصر النهضة. وقد بلغت مقالة قريبة العهد كتبتها «ايميت تيرل» في مجلة «هاربر» درجة أعلى من القذف والتجريح والعنصرية العرقية، إذ طرحت منظومة تقول: «إن العرب أساساً قتلة وأن العنف والخديعة محمولان في

(١) للتوسع راجع ادوارد سعيد: الإستشراق؛ ص ٨٩، ١٦٨ ـ ٢٩٦.

http://kotob.has.it

الموروثات العربية»[1]. وفي كتاب آخر يعرِّفون الإسلام بالتالي: «بدأ الدين الإسلامي، المسمى الإسلام، في القرن السابع. وقد بدأه رجل أعمال ثري من شبه الجزيرة العربية يدعى محمد [صلوات الله وسلامه عليه] وقد ادّعى أنه نبي. ووجد أتباعاً بين العرب الآخرين. وأخبرهم بأنهم اختيروا لكي يحكموا العالم». ويتابع الكتاب القول: «بعد موت محمد ﷺ بقليل، سُجِّلَتْ تعاليمه في كتاب يدعى القرآن [الكريم]. وصار الكتاب المقدَّس للإسلام. هذه الأفكار الخام تتلقى **الدعم**، لا النقض، **من قبل الجامعي الذي يمتهن دراسة الشرق** الأدنى العربي...»[2]. وهكذا نرى الغرب[3] يزرع في نفوس رواده المقت الغريزي والتحقير للإسلام والعرب»[4].

٤ ـ ونحن نرى بكل تواضع بأن مهاجمة المستشرقين لديننا الحنيف الحق، ووصفه بهذه الأوصاف المنافية للحقيقة، هو الخوف الأكيد من أسلمة العالم أجمع، فيما لو اطلع العالم ودرس ديننا كما ينبغي، وعندها لن تكون هناك قوة عالمية مسيطرة على العالم، بل سيصبح العالم أجمع يعيش في ظل شريعة إلهية سمحاء، الناس فيها سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى. وهذا ما لا يريده العالم المتكبر المتسلط اليوم. لذلك فهم لا يريدون من أي إنسان في العالم أن يعرف حقيقة وجوهر الدين الإسلامي الحنيف، ونحن نقول لهم بأنهم لن يستطيعوا مهما حاولوا ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأن هذا الدين الحق سيبقى حتى نهاية العالم، قال تعالى: **﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[5].

٥ ـ أن المستشرقين يعمدون إلى تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامي، وعلى النبي ﷺ. فالمسيح عليه السلام عندهم هو أساس العقيدة

---

(١) ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٢٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٨.

(٣) نقصد به أوروبة وأمريكا معاً.

(٤) للتوسع راجع: ادوارد سعيد: المرجع السابق ص ٢٨٩ وبعدها.

(٥) سورة الحجر، آية ٩.

http://kotob.has.it

النصرانية، ولهذا تنسب النصرانية إليه؛ وأطلقوا على أتباعه المسيحيين. ولقد طبَّق المستشرقون ذلك على الإسلام، فأطلقوا على الإسلام اسم «المذهب المحمدي»، وأطلقوا على المسلمين وصف «المحمديين». والسبب الحقيقي لاستخدام هذا الوصف لديهم، وهو إعطاء الإنطباع بأن الإسلام دين بشري من صنع محمد ﷺ وليس من عند الله عز وجل. أما نسبة النصرانية إلى المسيح، فلا تعطي هذا الإنطباع لديهم لاعتقادهم بأن المسيح هو إبن الله. وكذلك تتم مقارنة أخرى بين نبينا محمد ﷺ والمسيح عليه السلام، يكون المسيح فيها هو المقياس. فمحمد ﷺ مزواج وشهواني، في مقابل المسيح العفيف الذي لم يتزوج، ومحمد ﷺ محارب وسياسي، أما المسيح فهو مسالم مغلوب على أمره، ومعذب، يدعو إلى محبة الأعداء وهكذا[1].

فالإسلام الذي يعرضه هؤلاء المستشرقون المتحاملون على الإسلام في كتبهم، هو إسلام من إختراعهم، وليس الإسلام الذي ندين نحن به. كما أن محمداً الذي يصورونه في مؤلفاتهم، ليس هو محمد ﷺ الذي نؤمن بنبوَّته، وإنما هو شخص آخر من نسج خيالهم[2].

ونحن نؤمن بنبوة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وسمو رسالته وطهارة مريم العذراء، كما نؤمن بموسى عليه السلام ونبوَّته؛ ونؤمن بأن محمداً ﷺ كان آخر حلقة في سلسلة النبوات الربانية. قال ﷺ «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين»[3].

وهكذا يمكننا التأكيد بأن الإستشراق في دراسته للإسلام، ليس علماً بأي مقياس علمي، وإنما هو عبارة عن تصورات معينة خاصة عن إسلامنا الحنيف،

---

(١) جعيط ص ٦٣ وبعدها.
(٢) للتوسع راجع البهي: الفكر الإسلامي الحديث ص ٥٧٠ وبعدها.
(٣) رواه أحمد والشيخان والترمذي وغيرهم بألفاظ مختلفة.

http://kotob.has.it

بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات. ونحن نقول لهم بصدق، لقد آن الأوان لوضع حد لهذه الحملات العدائية ضد الإسلام والمسلمين، سواء من جانب المستشرقين، أو في وسائل الإعلام الغربية والمتغربة.

٦ - إن الإستشراق يعد أسلوباً خاصاً في التفكير ينبني على تفرقة أساسية بين الشرق والغرب. فمثلاً يقول الشاعر الإستعماري كبلنج (Kipling) بأن الشرق شرق، والغرب غرب ولن يلتقيا. ويعلل السبب في ذلك أن الغربيين عقلانيون ومحبون للسلام ومتحررون ومنطقيون وقادرون على اكتساب قيم حقيقية. أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله شيء[1].

ونحن نهمس للمستشرقين بقولنا، إن هناك حقيقة هامة يتجاهلها هؤلاء المستشرقون ببساطة، وهي أن الحضارة الغربية، التي يصفونها باعتزاز بأنها حضارة نصرانية، مبنية في الأصل على تعاليم رجل شرقي هو المسيح عليه السلام، وعلى ما نقلوه عن المسلمين من علوم عربية ومن تراث قديم تطور على أيدي المسلمين. والزعم بأن الغرب متقدم لأنه يدين بالنصرانية، والشرق متخلف لأنه يدين بالإسلام، زعم لا أساس له من العلم والواقع. فالتقدم العلمي والتقني الذي يشهده الغرب اليوم، لا علاقة له بالنصرانية كدين؛ والتخلف الذي يعاني منه الشرق، لا يتحمل الإسلام وزره، فهذا التخلف يُعد، كما يقول مالك بن بني رحمه الله «عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون»[2].

٧ - إن المستشرقين عامة يميلون إلى تجريد العقلية الإسلامية من كل لون من ألوان الإبداع الفكري، وينكرون على فلاسفة الإسلام الجدة والأصالة في

---

(١) للتوسع راجع زقزوق: تراث الإسلام ص ٩٣ وبعدها. ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٧٩ وبعدها.
(٢) مالك بن بني: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ص ٧٦.

http://kotob.has.it

تفكيرهم؛ ويعتبرونهم نقلة للتراث اليوناني الفلسفي. وتقوم هذه الدعوى على أساس عنصري يقسم شعوب العالم إلى قسمين: سامي وآري. فالعرب وهم من الجنس السامي، لا قدرة لهم على التفكير الفلسفي وتناول الأمور المجردة. أما الشعوب الآرية ومنهم اليونانيون القدماء، فهم من أصحاب المقدرة على ذلك[1].

ويصرح المستشرق «رينان» في كتابه «تاريخ اللغات السامية» بأنه أول من قرّر الرأي الذي يذهب إلى جعل الجنس السامي دون الجنس الآري.

واستناداً لهذا الرأي، فإن ما لدى العرب من فلسفة ليس إلا اقتباساً صرفاً، وتقليداً أعمى للفلسفة اليونانية، وبمعنى آخر: إن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بحروف عربية[2]. ويزعم «رينان» أيضاً أن الإسلام دين لا يشجع على العلم والفلسفة والبحث الحر، بل هو عائق لها؛ ويذهب المستشرق «تنمان» أيضاً إلى إن كتاب المسلمين المقدس يعوق النظر العقلي الحر[3].

لا يهمنا هنا مناقشة النظرية العنصرية التي تقسم الشعوب إلى ساميين وآريين، فهي تكاد تتلاشى لعدم استنادها على أساس علمي سليم[4]، وإن كانت قد تركت آثارها في العقلية الأوروبية.

لكن الذي يهمنا حقاً هو ما رأيناه من إقحام الإسلام الحنيف في مزاعم المستشرقين والأوروبيين في وصف الإسلام بأنه دين يعوق النظر العقلي، ولا يتفق والتفكير الحر، وأن يقف عقبة في سبيل العلم والفلسفة والبحث الحر. فالأمر ليس مجرد تجريد العقلية العربية من الأصالة والإبتكار فحسب، بل تفريغ الإسلام من كل قيمة إيجابية، وجعله أداة جامدة تقف في سبيل التقدم الإنساني، وتعويق سيره في هذه الحياة الفانية. ونجيب هؤلاء بقولنا: إن العالم كله لم يعرف ديناً من الأديان يعلي من شأن العقل مثل الإسلام. فالقرآن الكريم قد جعل للعقل السلطان الأعلى

---

(١) للتوسع راجع محمد أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ٩ وبعدها.
(٢) مصطفى عبد الرزاق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٠ وبعدها.
(٣) للتوسع راجع: المرجع السابق ص ٥ وبعدها أحمد أمين: زعماء الإصلاح ص ٩٢ وبعدها.
(٤) للتوسع راجع مصطفى عبد الرزاق: تمهيد ص ٢٢ وبعدها.

http://kotob.has.it

في إدراك حقائق الوجود كلّه؛ من أعظم شيء وهو وجود الله ووحدانيته وجميع صفات كماله، إلى أتفه شيء وهو إماطة الأذى عن الطريق. وأمرنا القرآن الكريم أمراً صارماً بتحكم عقولنا للتفريق بين الحق والباطل، والتمييز بين الظن واليقين في آيات كثيرة جداً[1].

لقد كرّم الله الإنسان، وفضّله على كثير من خلقه بالعقل الذي اختصه الله به، وميزه به على سائر خلقه. كما نوّه الإسلام بالعقل والتعويل عليه، في أمور العقيدة والمسؤولية والتكليف. وتأتي الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه[2]. لذلك فإن محاولة تعطيل العقل عن أداء هذه الوظيفة يُعد تعطيلاً للحكمة التي أرادها الله من خلق العقل، مثلما يعطل الإنسان حاسة من الحواس التي أنعم الله بها على الإنسان عن أداء وظيفتها التي خلقت من أجلها. وهؤلاء يصفهم القرآن الكريم بأنهم أحط درجة من الحيوان حيث يقول: ﴿... **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل**...﴾[3]. فالإسلام يعتبر عدم استخدام العقل خطيئة من الخطايا وذنباً من الذنوب. يقول القرآن الكريم حكاية عن الكفار يوم القيامة: ﴿... **وقالوا لو كنا نسمعُ أو نعقلُ ما كُنّا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنوبهم**...﴾[4]. فدعوة القرآن الكريم للإنسان لاستخدام ملكاته الفكرية دعوة صريحة لا تقبل التأويل، وسيحاسب الإنسان على مدى حسن أو إساءة استخدامه لها، مثلما يُسأل عن استخدامه لباقي وسائل الإدراك الحسية. وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿... **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾[5].

---

(١) للتوسع راجع نديم الجسر: غريب القرآن ص ٨ وبعدها.

(٢) للتوسع راجع العقاد: التفكير فريضة إسلامية ص ٧ وبعدها.

(٣) قرآن كريم، سورة الأعراف، آية ١٧٩.

(٤) قرآن كريم، سورة الملك، آية ١٠، ١١.

(٥) قرآن كريم، سورة الإسراء، آية ٦٦.

http://kotob.has.it

هذا وقد حطَّم الإسلام العوائق التي تقف في سبيل تـأدية العقـل لوظيفتـه، فرفض الإسلام التبعية الفكريـة والتقليد الأعمى، وعـاب على المشركين تقليـدهم الأعمى لأعرافهم وتقاليدهم متجاهلين في ذلك حكم العقل، كما حذَّر الرسول ﷺ من مثل هذا التقليد الأعمى الذي لا يليق بكرامة الإنسان فقال: «لا تكونو إمَّعة»[1]. كما قضى الإسلام على الدجل والشعوذة والإعتقاد في الخرافات والأوهـام، وأبطل الكهانة، وجعل الأمن على العقل من بين المقاصد الضرورية الأساسية التي قصدت إليها الشريعة الإسلامية لقيام مصالح الدين والدنيا مثل حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال الخ. كما حـرَّرَ الإسلام الفـرد المؤمن بعقيدة التـوحيد من الخـوف المهيمن مـن السلطة الدنيوية، ورفعه إلى مقام العزَّة.

وهكذا نرى أن الإسلام كفل للعقل المناخ الحقيقي الذي يستطيع فيه أن يفكر ويتأمل ويعي ويفهم. وبهذا تم للإنسان استقلالِ الإرادة واستقلال الرأي والفكـر. وقد كان لهذا الموقف الأساسي للإسلام من العقل أثره العظيم في صياغة الحضارة والعقلية الإسلامية.

لقد وعى الإنسان المسلم أن الله قد خلق له هذا الكون بما فيه ليمـارس فيه نشاطاته المادية والروحية على السواء. ويشيـر القرآن الكـريم إلى ذلك في آيـات عديدة منها قوله تعالى: **﴿وسخَّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**[2].

إن التفكير الذي تنص عليه هذه الآية أمر جوهري مقصود. فإذا كـان الله قد سخَّر للإنسان هذا الكون بما فيه، فلا يجوز له أن يقف منه موقف الـلامبالاة؛ بـل ينبغي عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفاً إيجابياً. وإيجابيته تتمثل في درسه، والنظر فيه، للإستفادة منه بما يعود على البشرية بالخير. والإستفادة من كل هذه المسخرات في هذا الكون لا تكون إلا بالعلم والدراسة والفهم. فهل هناك دعوة إلى البحث والنظر والتفكير والتأمل أصرح من ذلك؟.

(١) رواه الترمذي.

(٢) سورة الجاثية، آية ١٣.

http://kotob.has.it

والحقيقة إن النظر في ملكوت السموات والأرض على هذا النحو سيؤدي إلى الرقي المادي والروحي، يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿... سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...﴾[1].

وبعد هذا التوضيح نقول لمن يمارون في ذلك كله ويشككون فيه، ما قاله القرآن الكريم: ﴿... أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها...﴾[2].

٨ ـ وللأسف نرى أن ألوان التحامل القديم على الإسلام الدين الحنيف الخالد إلى الأبد، لا تزال تعيش قوية عند غالبية الباحثين الغربيين المهتمين بدراسة الإسلام، وهي تحرص حتى اليوم على نشر ألوان التحامل القديم في العالم الغربي على نطاق واسع وبأساليب مختلفة؛ بل وستبقى كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فلن يرضى عنا هؤلاء حتى نتبع ملتهم الباطلة، وهذا لن يكون بالطبع.

لذلك نرى بأم أعيننا، أنه إذا عبَّر المسلمون عن استيائهم إزاء التحامل الظالم على الإسلام من جانب المستشرقين، فإن هذا يعني في نظر الباحثين الغربيين عدم قدرة المسلمين على فهم الأمور فهماً علمياً[3].

ومعنى ذلك أن علينا أن نتقبل صاغرين صامتين ما يقوله السادة المستشرقون عنا وعن ديننا الحنيف من كذب وبهتان وتشكيك باطل؛ وليس لنا حتى مجرَّد حق الدفاع أو حتى التعبير عن الإستياء، وإلا فنحن متخلفون، رجعيون، سلفيون، متأخرون، جاهلون، معقدون وحتى قاصرون عن فهم الأمور فهماً علمياً موضوعياً.

ولست أدري من الذي ندب مثل هؤلاء الناس المتغطرسين الكاذبين لتنويرنا؟؟ ومن أعطاهم حق الوصاية الفكرية علينا؟؟ أليس هذا يُعد تدخلاً سافراً في أخص أمورنا الذاتية؟؟ وهل يقبل هؤلاء المتغطرسون أن نتدخل نحن في أي أمر من أمورهم حتى ولو كان تافهاً؟؟؟.

---

(١) سورة فصلت، آية ٥٣.

(٢) سورة محمد، آية ٢٤.

(٣) راجع Fisher: Die Islamische revolution, p: 60 etc.

http://kotob.has.it

الفصل الخامس

أنشطة المستشرقين لتحقيق أهدافهم

لم يترك المستشرقون مجالاً من مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا إلا تخصصوا فيها، منها: التعليم الجامعي، وإنشاء المؤسسات العالمية لتوجيه التعليم والتثقيف، وعقد المؤتمرات والندوات ولقاءات التحاور، وإصدار المجلات، ونشر المقالات، وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر وتأليف الكتب، ودس السموم الفكرية فيها بصورة خفية ومتدرجة، وإنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية، والعناية العظمى لإفساد المرأة المسلمة، وتزيين الكتابة باللغة العامية؛ ونظراً لكبر حجم الموضوعين الأخيرين، فإننا سنفرد لكل منهما فصلاً خاصاً. هذا وقد تفرَّغ منهم مجموعات متعددة لأداء المهمات الإستشراقية، في كل مجال من المجالات التالية:

١ ـ التعليم الجامعي:

يكاد يكون هناك في كل جامعة أوروبية أو أمريكية معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية. بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للإستشراق مثل جامعة ميونيخ، حيث يوجد بها معهد للدراسات الإسلامية، ومعهد لتاريخ وحضارة الشرق الأدنى، ومعهد للغات السامية، ويرأس كل معهد أستاذ يساعده بعض المحاضرين والمساعدين. وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعي وتخريج الدارسين في أقسام «الماجستير والدكتوراة» ممن سيواصلون أعمالهم في المجال الإستشراقي

http://kotob.has.it

الأكاديمي أو غيره من مجالات أخرى في السلك الدبلوماسي، أو الإلتحاق بأعمال في الأقسام الشرقية بدور الكتب، أو في مراكز البحوث المهتمة بالشرق، أو غير ذلك من أعمال في جهات لها صلة بالشرق. ويتولى هؤلاء كراسي الدراسات العليا في الجامعات الغربية، وجامعات إرساليات التبشير في الدول الإسلامية، بغية صناعة حملة شهادات من بلدان العالم الإسلامي، طبق ما يريد المبشرون والمستعمرون. فهذه الكراسي للدراسات الإسلامية والعربية، يتخذها المستشرقون بؤرة لاصطياد أبناء الشعوب الإسلامية، والتأثير عليهم فكرياً وسلوكياً ونفسياً. ويتخرج من هذه الجامعات أعداد كبيرة من أبناء العرب والمسلمين، أكثرهم من عائلات ثرية ذوي نفوذ سياسي واجتماعي في دولهم، حيث يعودون إلى بلادهم، إذا كانوا قد تخرجوا من معاهد الغرب، أو يبدأوا العمل في بلدانهم، وقد حملوا أفكاراً مغلوطة؛ حيث يتولون مهمة التدريس في جامعات بلادهم. ويتفانى المستشرقون في أعمالهم لتحقيق أهدافهم في غسر الأدمغة الإسلامية كما يريدون.

هذا إلى جانب تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي خاصة، وبلدان الشرق عامة، لتخريج أجيال منسلخة من إسلامها، ومستعدة لتقبُّل المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة، ولكل ما يلقى إليها من أفكار ومبادىء[1].

٢ ـ المؤسسات العالمية لتوجيه التعليم والتثقيف:

إرسال إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمدارس، والملاجىء، والمياتم، والمستشفيات، ودور الضيافة، وإمداد إرساليات التبشير هذه بالخبراء من المستشرقين، ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم؛ وتخريج أجيال من براعم المسلمين منسلخة تماماً عن دينها، وعروبتها، وتراثها، وأرضها، ووطنها، مع الإفتتان بعظمة وحضارة الغرب في كل شيء[2].

---

(١) للتوسع راجع السباعي: الإستشراق ص ٢٦ وبعدها؛ حبنكة: أجنحة المكر ص: ١٣٢ وبعدها. زقزوق: الإستشراق ص ٥٩ وبعدها. البهي: الفكر الإسلامي ص ٥٩ وبعدها. مصطفى عبد الرزاق: تمهيد ص ٢٧ وبعدها.

(٢) للتوسع راجع خالد وفروخ: التبشير والإستعمار ص ٣٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

٣ - عقد المؤتمرات والندوات وإلقاء المحاضرات:

عقد المستشرقون المؤتمرات الإستشراقية، لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الإستشراق، وهي لإحكام خططهم المسمومة في الحقيقة، ولبحوث عامة في الظاهر. وقد شهد القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر م بداية عقد المؤتمرات الدولية للمستشرقين. وقد أتاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين في كل مكان الفرصة لزيادة التنسيق وتوثيق أواصر التعاون، والتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضهم بعضاً، وتجنب ازدواج العمل، حرصاً على تجميع الجهود وعدم تبديدها في أعمال مكررة.

وقد تم عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام ١٣٢٥ هـ/ ١٨٧٣ م، وتعقد هذه المؤتمرات منذ ذلك الحين بصفة منتظمة. وقد بلغ عددها حتى هذا العصر أكثر من ثلاثين مؤتمراً. وهذا عدا المؤتمرات والندوات واللقاءات الإقليمية التي يرجع بعضها إلى تاريخ أقدم من تاريخ أول المؤتمرات الدولية. فمثلاً عقد أول مؤتمر للمستشرقين الألمان في مدينة درسدن بألمانيا في عام ١٣٠٠ هـ/ ١٨٤٩، ولا تزال مثل هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى اليوم[١].

وتضم هذه المؤتمرات الدولية للمستشرقين مئات العلماء. فمثلاً مؤتمر اكسفورد كان يضم تسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة، وخمس وثمانين جامعة، وتسع وستين جمعية علمية. ومجموعات العمل في كل مؤتمر تبلغ أربع عشرة مجموعة، تختص كل منها ببحث مجال معين من الدراسات الإستشراقية. وتنشر بحوث هذه المؤتمرات في مجلدات «للإهتداء بها كنظم ومناهج ووسائل، ثم أصبحت - مع دراسات مؤتمرهم الموضوعية والإقليمية - أصولاً وأمهات وأسانيد للباحثين»[٢].

---

(١) للتوسع راجع Bosworth, op, cit.

(٢) للتوسع راجع العقيقي جـ٣ ص ٣٦٥ وبعدها.

http://kotob.has.it

هـذا إلى جانب عقـد الندوات هنـاك عقد لقـاءات التحاور الـرامية إلى بث الأفكار الإستشراقية والترويج لها، وإقنـاع مثقفي العالم الإسـلامي بها. وفي هـذه الندوات ولقاءات التحاور، يستدرجون بعض المسلمين من حيث يشعر هؤلاء، أو لا يشعرون، لتحريف الإسـلام؛ دفاعـاً ظاهـرياً عنـه حيناً، وتـطويعاً لـه حتى يسايـر المفاهيم الغربية حيناً آخر، بحيلة مرونة الشريعة الإسلامية. هذا إلى جـانب إلقاء المحاضرات أيضاً في الجامعات، والجمعيات، والأندية ومن المؤسف أن أشدهم خطراً وعداء للإسلام كانوا ولا يزالون يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية، في معظم عواصم الدول العربية والإسلامية للتحدث عن الإسلام. وهؤلاء يتحدثون عن الاسلام، ويدسون في محاضراتهم ما يستطيعون دسَّه من أفكار، رغبة في بثها والإقناع بها.

٤ ـ إنشاء الجمعيات، وإصدار المجلات ونشر المقالات العديدة:

بدأ المستشرقون في النصف الأول من القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر م. في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الإستشـراقية. فقد تأسست أولاً الجمعية الآسيوية في باريس ١٢٧١ هـ/ ١٨٢٢ م، ثم الجمعيـة الملكية الآسيوية في انكلترة وايرلندة عام١٢٧٢ هـ/ ١٨٢٣ م، والجمعية الشـرقية الأمريكية عام ١٢٩١ هـ/ ١٨٤٢ م، والجمعية الشرقية الألمـانية عـام ١٢٩٤ هـ/ ١٨٤٥ م. وقد قررت هذه الجمعية في ربيع عام ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦١ م إنشاء معهد الماني للأبحـاث الشرقيـة في بيروت. ولهـذا المعهد نشـاط ملحوظ، وكـان يقوم بـانتظام بـإصدار سلسلتين عن الـدراسات الإسـلاميـة والعـربيـة معـاً: «النشـرات الإسلامية» و«نصوص ودراسات»، ولديه مكتبة بها أكثر من ستين الف مجلد. وقد تعاقب على إدارة هذا المعهد عدد من المستشـرقين الذين يشغلون اليـوم عدداً من كراسي الإستشراق في الجامعات الألمانية.

وسرعان ما نشطت هذه الجمعيات في إصدار المجلات والمطبوعات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين، وشعوبهم، وبلادهم، وكل ما يتعلق بهم. وقد

http://kotob.has.it

كان «هامر برجشتال» قد أصدر أول مجلة استشراقية متخصصة في أوروبا وهي مجلة «ينابيع الشرق»، التي صدرت في ڤينا من عام ١٢٥٩ هـ/ ١٨٠٩ م إلى عام ١٢٦٨ هـ/ ١٨١٨ م.

وفي عام ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٥ م ظهرت في باريس مجلة تمنح إهتمامها بصفة خاصة للعالم الإسلامي وهي «مجلة الإسلام». وقد خلفتها في عام ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٦ م مجلة «العالم الإسلامي» التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، وقد تحوَّلت بعد ذلك إلى مجلة «الدراسات الإسلامية». وفي عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٠ م ظهرت «مجلة الإسلام» الألمانية (Der Islam)؛ وفي بطرسبرج ب «روسيا» ظهرت مجلة «عالم الإسلام «Mir Islams» عام ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٢ م ولكنها لم تعمر وقتاً طويلاً، وقد أسسها المستشرق بارتولد [ت ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٠ م] بتكليف من الحكومة الروسية للقيام بأبحاث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى. وفي انكلترة ظهرت مجلة «العالم الإسلامي عام ١٣٣١ هـ/ ١٨١١ م على يد «صمويل زويمر» [ت ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢ م] الذي كان رئيس المبشرين في الشرق الأوسط. وللمستشرقين اليوم عدد هائل، يزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات(1).

هذا إلى جانب نشر المقالات في المجلات والصحف المحلية للبلاد الإسلامية، لبث أفكارهم عن طريقها، والترويج لها بين المسلمين.

وقد استطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه المجلات والصحف لنشر مقالاتهم، والترويج لأفكارهم. كما استطاعوا أيضاً أن يستأجروا كتاباً وأدباء وشعراء، وحتى أساتذة جامعيين وغير جامعيين وخاصة من المفتونين بالغرب ممن يحملون أفكارهم، من أبناء الشعوب المسلمة، وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم، ليكونوا أكثر تأثيراً في الأجيال الناشئة، وهؤلاء العملاء هم أتباع المستشرقين، وأذنابهم، وذيولهم، واجرائهم من الشرقيين. هؤلاء شرقيون مستغربون.

---

(١) للتوسع راجع القوائم التي أوردها العقيقي بأسماء هذه المجلات في كتابه «المستشرقون جـ ٣ ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

http://kotob.has.it

٥ ـ جمع المخطوطات العربية والتحقيق والنشر:

اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية في كـل مكان في بـلاد الشرق الإسـلامي؛ وكـان هـذا العمـل مبنيـاً على وعي تـام بقيمـة هـذه المخطوطات التي تحمل تراثـاً غنياً في شتى مجـالات العلوم. ففي زمن الحروب الصليبية الغاشمة على المشرق الإسلامي، والتي استمرت نحـو قرنين من الـزمان (٤٩٤ ـ ٧٠١ هـ/ ١٦٩٩ ـ ١٣٠٠ م). استفاد الصليبيون من الوقوف بشكل مباشر على النهضة العلمية المزدهرة السائدة في بلاد المشرق الإسلامي، فسرقوا كثيراً من خزائن الكتب ودور العلم ما لا يحصى عنوة وقهراً. وبعد فشل الحملات الصليبية على شرقنا الإسلامي الحبيب، وإجلائهم نهائياً عصـر المماليـك، عاد الصليبيـون الغـاشمون إلى بـلادهم، وهم ينقلون معهم الكثير من تـراث المشرق العـربي من خزائن الكتب ودور العلم عـن طريق السلب والسرقة والنهب[١].

لقـد استطاعـوا سرقـة كثير من تـراثنا الـديني واللغوي والأدبي والتـاريخي، وحـوروه لمصلحتهم وتـرجمـوه، وادعـوا أحيـانـاً أن بعض تــراثنـا العلمي من تأليفهم ـ قاتلهم الله. وكان بعض الحكام في أوروبا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات. وقد ساعد الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية في أوروبـا وتنشيطها. وكانت المخطوطات الإسلامية منذ عصـر الحروب الصليبيـة تسرق إلى أوروبـا عن طريق القهـر عنوة، أو حتى شـرائها من أنـاس جهلة لا يعرفـون قيمتها وأهميتها. ومنذ الحملة النابليونية على مصر عام ١٣٠٨ هـ/ ١٧٩٨ م، تزايد نفوذ أوروبـا في الشرق، وسـاعد ذلـك على جلب الكثيـر من المخـطوطـات. وكـانت الجهات المعنية في أوروبا ترسل مبعوثيها لشراء وسرقة المخطوطات أو أخذها عنوة من أصحابها من الشرق. فعلى سبيل المثال أرسل «فريدريك فيلهلم الرابع» ملك

---

(١) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٥٨٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

بروسيا «ريتشارد ليبسيوس» إلى مصر عام ١٢٩٣ هـ/ ١٨٤٢ م و«هينريش بترمان» عام ١٣٠٣ هـ/ ١٨٥٢ م إلى الشرق، لشراء المخطوطات الشرقية. وقد تم جمع المخطوطات من الشرق بطرق مشروعة، وغير مشروعة؛ وقد لقيت هذه المخطوطات في أوروبا اهتماماً عظيماً.

وقد قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوروبية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة. وتقدر المخطوطات العربية الإسلامية في مكتبات أوروبا بعشرات الآلاف، بل قد يصل عددها إلى مئات الآلاف[1].

ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر. ولم يكتفوا بذلك، بل قاموا أيضاً بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة.

٦ ـ تأليف الكتب:

لقد تعددت مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين، وبلغ عدد ما ألّفوه عن الشرق في قرن ونصف «منذ أوائل القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر م حتى منتصف القرن الرابع عشر هـ/ العشرين م» ستين ألف كتاب[2].

لقد ألفوا الكتب في موضوعات مختلفة في تاريخ العرب والمسلمين، ومجتمعاتهم، وحضارتهم، وفي علم الكلام، وفي الفلسفة والتصوف الإسلامي، وفي الشريعة، وفي تاريخ أدب اللغة العربية، وفي الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة المطهّرة، وفي النحو وفقه اللغة العربية. ولم يتركوا مجالاً من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وألّفوا فيه.

---

(١) للتوسع راجع زقزوق: الإستشراق ص ٦١ وبعدها؛ العقيقي: المستشرقون جـ ٣ ص ٣٥٢ وبعدها. Fueck orientalism, p: 189 etc.

(٢) للتوسع راجع ادوارد سعيد ص ٢١٦ وبعدها.

http://kotob.has.it

ولهم مؤلفات تزخر بالطعن في الإسلام، وتحاول دس السموم الفكرية بصورة خفية ومتدرجة، وتمتلىء بالأكاذيب التي ليس لها في سوق العلم العربي والإسلامي نصيب، لأن الدسم فيها مخلوط مع السم الزعاف.

ففي هذه الكتب المدسوسة نجد كثيراً جداً من التحريف المتعمد في نقل النصوص، أو إبتارها، أو حتى في فهمها واستنباط المعاني منها. وفيها أيضاً كثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية، وتقليل أحداثها. ومن أهم مظاهر تزييفهم ومغالطاتهم في الوقائع التاريخية التعميمات الفاسدة. فنراهم يأخذون الحوادث الفردية القليلة من حوادث التاريخ، ويتخذون منها قاعدة عامة شاملة، يدينون بها كل الأفراد، ويعتبرونها قاعدة عامة وصورة لكل تاريخ المسلمين؛ وهذا من التضليلات المفتعلة التي يرفضها أي باحث علمي؛ ولا يقبلها المثقفون فضلاً عن صغار العامة، فكيف بمن يدّعون الأمانة العلمية، ويتظاهرون بالحرص عليها.

ومن المؤسف أن هذه الكتب المدسوسة المضللة مرجع للمبشرين، ولكل الدارسين من المسلمين في الجامعات الغربية بطريقة جبرية عليهم الإستشهاد بهذه الكتب المدسوسة؛ إلى جانب أنها مرجع لكل المفتونين بحضارة الغرب الزائفة من المستغربين من أبناء الشعوب الإسلامية.

لم يكتف المستشرقون بتأليف الكتب، بل كان لهم باع طويل في مجال المعاجم والقواميس اللغوية، فقد انجزوا أول قاموس لاتيني عربي في القرن السادس هـ/ الثاني عشر م؛ وهناك أيضاً المعجم العربي اللاتيني الذي ألّفه «جورج فيلهلم فرايتاج» [ت ١٣١٢ هـ/ ١٨٦١ م] ولا يزال هذا المعجم يستعمل حتى اليوم. بالإضافة الى العديد من القواميس الصغيرة والكبيرة التي تجمع بين العربية وغيرها من لغات أوروبية مختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من لغات أوروبية أخرى[1].

---

(١) بارت ص ١٨ وبعدها.

http://kotob.has.it

٧ ـ الدعايات المغرضة ضد الإسلام عبر الأشرطة المرئية:

في أشرطة الغرب المرئية، سواء في الخيالة (السينما) أو عبر المرناة (التلفزة) نراهم يصورون العربي والمسلم في قصصهم يرتبط دائماً إما بالفسق أو بالغدر والخديعة المتعطشة للدم. كما أنه يظهر منحلاً خلقياً، ذا طاقة جنسية مفرطة، قادراً دون شك، على المكيدة البارعة المراوغة؛ ولكنه جوهرياً خائن، منحط، تاجر رقيق، راكب جمال، صراف، وغد، متعدد الظلال؛ هذه بعض الأدوار التقليدية للعربي في الخيالة. وكثيراً ما يُرى العربي هو القائد للصوص المغيرين، والقراصنة، والعصاة من السكان الأصليين، يزمجر في وجه البطل الغربي المأسور والفتاة الشقراء الجميلة، وكلاهما مفعم بالصحة والعافية، ويقول مزمجراً: «رجالي سيقتلونكما، ولكنهم يحبون أن يتسلوا أولاً....»، وينظر نظرة كلها خبث وشبق، وهو يتكلم. وفي أشرطة الأخبار المصورة، يظهر العرب دائماً بأعداد ضخمة، لا فردية، لا خصائص أو تجارب شخصية. وتمثل معظم الصور الهيجان والبؤس الجماعيين، أو الإشارات والحركات اللاعقلانية، والشاذة حتى اليأس، وبالتالي خلف هذه الصور جميعاً يتربص خطر **الجهاد** المهدد، والعاقبة: الخوف من أن المسلمين أو العرب، سوف يحتلون العالم[1].

٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية (الموسوعة الإسلامية) Encyclopedia:

أنشأ المستشرقون الموسوعة الإسلامية «دائرة المعارف الإسلامية»، والموسوعة الشرقية التي تتناول الشرقيات من جميع جوانب المعرفة. والموسوعة الإسلامية اتخذها المستشرقون وسيلة لدس الأفكار الإستشراقية السامة التي يريدون دسَّها، وإقناع أجيال الشعوب الإسلامية بها. وقد تم إصدارها في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة من عام ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣ م إلى عام

---

(١) ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٢٨٧ وبعدها.

http://kotob.has.it

١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٨ م. وقد تولت نقلها إلى العربية لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجي الجامعة المصرية منذ عام ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٣ م، ولكنها لم تصل في الترجمة إلا إلى حرف العين. وقد تجاوز المستشرقون فيما بعد هذه الدائرة المتداولة، وقاموا بإصدار دائرة معارف إسلامية جديدة أعيدت فيها كتابة المقالات بناء على ما صدر من بحوث حديثة، وما نشر أو اكتشف من مخطوطات. وقد ظهرت الطبعة الجديدة باللغتين الإنجليزية والفرنسية فقط من عام ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤ م. حتى عام ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٧ م[١].

وقد أشار العقيقي «إلى أن اللجنة العربية لترجمة دائرة المعارف ترجع الآن إلى الطبعة الجديدة إبتداء من حرف العين بدلاً من الرجوع إلى الطبعة القديمة التي تقادمت بعض معلوماتها[٢].

والموسوعة الإسلامية التي أصدرها المستشرقون بعدة لغات ثم بالإنجليزية والفرنسية، قد حُشد لها كبار المستشرقين، وأشدهم عداء للإسلام، ودس فيها السم بالدسم، وملئت بالأباطيل عن الإسلام، وما يتعلق به، وعن المسلمين المؤمنين. ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين من المسلمين، بحيث يعتبرونها حجَّة فيما تورده من معارف حول قضايا إسلامية، هي فيها غير نزيهة إطلاقاً، لأن كتابها منحازون ضد قضايا الإسلام والمسلمين. وهذا ولا شك من مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية، وعقدة النقص عند هؤلاء المثقفين المتغربين.

وكذلك أصدر المستشرقون الموسوعات العامة: كالموسوعة الفرنسية، والموسوعة البريطانية[٣].

---

(١) للتوسع راجع زقزوق: الإستشراق ص ٦٨ وبعدها.

(٢) للتوسع: العقيقي: المستشرقون جـ ٣ ص ٣٧٢.

(٣) للتوسع راجع: السباعي: الإستشراق ص ٢٧ وبعدها. حبنكة: أجنحة المكر ص: ١٣٢ وبعدها.

http://kotob.has.it

الفصل السادس

المستشرقون والمرأة المسلمة

مقدمة:

أطلق أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين خاصة، وأبناء الغرب والمفتونين بزيف حضارة الغرب من أبناء العرب والمسلمين عامة، شبهات متعددة حول حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام. ولكن الباحثين المتبصرين المنصفين يجدون عن أحول المرأة في الإسلام صوراً رائعة من صور العدل والتكريم والإنصاف، فلم يحرمها الإسلام حقاً يقتضيه تكوينها الفطري، ولم يكلفها واجباً لا تطيقه، ولم يبعدها عن دائرة المسؤولية الشخصية والمسؤولية الاجتماعية، ولم يجعلها بمعزل عن التمتع بالحقوق المدنية التي تؤهلها لها استعدادتها الفطرية الذاتية، وظروفها الاجتماعية[1].

١ ـ مبادىء الإسلام في المرأة:

تتلخص المبادىء الإصلاحية التي أعلنها الإسلام على لسان نبيه محمد ﷺ فيما يتعلق بالمرأة في المبادىء التالية:

١ ـ إن المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء، يقول الله تعالى في كتابه

(١) للتوسع راجع سعيد الأفغاني: الإسلام والمرأة ص ٣٠ وبعدها. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون ص ٢٥ وبعدها. مصطفى جيري: قولي في المرأة ص ٥ وبعدها.

http://kotob.has.it

الكـريم: ﴿يا أيهـا الناس اتقـوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحـدة﴾[1] ويقـول الرسول ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال».

٢ ـ إنها أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت، ومعاقبتها إن أساءت، كالرجل سواء بسواء، يقول الله تعالى: **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**[2]. ويقول تعالى: **﴿فاستجاب لهم ربهـم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾**[3] ويقـول تعـالى: **﴿إن المسلمين والمسلمـات والمؤمنين والمؤمنـات والقانتين والقانتـات والصادقين والصـادقات والصـابرين والصـابرات والخـاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾**[4].

حارب الإسلام التشاؤم بها، والحزن لولادتها كما كان شأن بعض العرب قبل الإسلام، ولا يزال شأن كثير من الأمم شرقاً وغرباً حتى اليوم، فقال تعالى منكراً هذه العادة السيئة: **﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتـوارى عن القـوم من سوء مـا بشر بـه أيمسكه على هـون أم يـدسـه في التـراب ألا سـاء مـا يحكمون﴾**[5] كما حرَّم وأدها وشنع على ذلك أشـد تشنيع فقـال: **﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾**[6] وقال تعالى: **﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهـاً بغير علم﴾**[7].

---

(١) سورة النساء، آية: ١.
(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩٥.
(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.
(٥) سورة النحل، آية: ٥٩.
(٦) سورة التكوير، آية: ٩.
(٧) سورة الأنعام، آية: ١٤٠.

http://kotob.has.it

٤ ـ دفع عنها التهمة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها، بل منهما معاً. يقول تعالى في قصة آدم: **﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾**[١] ويقول تعالى عن آدم وحواء: **﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما﴾**[٢] ويقول عن توبتهما: **﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**[٣] بل إن القرآن الكريم في بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم فقال: **﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾**[٤].

٥ ـ أمر الله بإكرامها: بنتاً وزوجة وأماً. قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها... إلخ». وقال تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**[٥] وقال النبي ﷺ: «خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، إذا نظرت إليها سرتك، وإن غبت حفظتك»[٦] هذا بالنسبة لإكرامها ابنة وزوجة، أما إكرامها كأم فهناك آيات وأحاديث كثيرة. قال الله تعالى: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾**[٧] وقال تعالى جلت قدرته: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً...﴾**[٨] وجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: أريد الجهاد في سبيل الله، فقال له الرسول: «هل أمك حية؟» قال: نعم، قال: «إلزم

(١) سورة البقرة، آية: ٣٦.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٣.
(٣) سورة البقرة، آية: ٣٦.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩٥.
(٥) سورة الروم، آية: ٢١.
(٦) رواه بألفاظ قريبة منه مسلم وابن ماجة.
(٧) سورة الأحقاف، آية ١٥.
(٨) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

http://kotob.has.it

ولاية تملك واستبداد. أما بعد البلوغ فقد جعلها كاملة الأهلية للإلتزامات المالية كالرجل سواء بسواء. ومن يتتبع أحكام الفقه الإسلامي لا يجد فرقاً بين أهلية الرجل والمرأة في شتى أنواع التصرفات المالية كالبيع والصرف والإجارة والوكالة والحوالة والشركة والوديعة والهبة والوقف وغيرها وغيرها[1].

وهكذا نرى أن الإسلام وضع المرأة في المكان اللائق بها في المجال الإنساني فاعترف بإنسانيتها كاملة كالرجل، وهذا ما كان محل شك وإنكار عند أكثر الأمم سابقاً. وفي المجال الحقوقي أعطاها الأهلية المالية الكاملة في جميع التصرفات حين تبلغ سن الرشد، ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أخ أو أب أو زوج أو ابن إلخ. كما فتح أمامها مجال التعلم، وأسبغ عليها مكانة اجتماعية كريمة في مختلف مراحل حياتها منذ طفولتها حتى نهاية حياتها، بل إن هذه الكرامة تنمو كلما تقدمت في العمر: من طفلة إلى زوجة إلى أم إلى جدة حيث تكون في سن الشيخوخة التي تحتاج معها إلى مزيد من الحب والحنو والإكرام.

ومع هذا فإننا نجد الإسلام قد فرَّق بين الرجل والمرأة في بعض المجالات، ومن المؤكد أن هذا التفريق لا علاقة له بالمساواة بينهما في الكرامة والأهلية والإنسانية، بعد أن قررها الإسلام لها على قدم المساواة مع الرجل، بل لضرورات اجتماعية واقتصادية ونفسية اقتضت ذلك[2].

٢ ـ حقوق المرأة في الإسلام[3]:

ساوى الإسلام بين الذكران والإناث في جميع التكاليف الشرعية [كما ذكرنا إلا في أحوال خاصة قليلة، كما ساوى بين الصنفين في الحقوق المدنية، وجعل

(١) للتوسع راجع: مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون ص ٢٥ وبعدها.

(٢) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٤ وبعدها. الجميلي: وصايا رسول الله إلى المرأة المسلمة ص ٧ وبعدها. ندوات علمية ص ١٣٩ وبعدها.

(٣) عن حقوق المرأة في الإسلام راجع نجا: لمع من حضارتنا ص: ٢٣٤ وبعدها. حبنكة: أجنحة المكر ص ٥٦٢ وبعدها. محمد محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ ٢ ص: ٢٩٣ وبعدها.

http://kotob.has.it

لكل أن يتقاضى حقه من الآخر، وأن يبيع ويشتري ويعقد ما شاء من العقود ما دام عاقلاً رشيداً. والحكمة الراقية لا بد فيها من ملاحظة بعض الفروق التنظيمية المناسبة للفروق التكوينية بين كل من صنفي الرجال والنساء، وهذا ما سلكه الإسلام.

ولكن دعاة التسوية التامة بين الرجل والمرأة، يحاولون أن يدفعوا كلاً من الرجل والمرأة إلى المشاركة في كل مهمة من مهمات الحياة، سواء أكانت مناسبة للتكوين الفطري أو غير مناسبة.

إنهم يحاولون أن يخلطوا المجتمع الإنساني خلطاً تضيع فيه الحكمة، وتصبح الحياة معه مكفهرة كالحة، إذ تصاب النفوس من جراء ذلك بالسأم، والتذمر، والكراهية والظمأ الروحي والنفسي إلى نفحات من السعادة.

هؤلاء الرجعيون حقاً، الذي ينادون بالرجعة الروحية والنفسية والفكرية، الفردية والاجتماعية، إلى المنحدرات من دون القمم.

لقد عمل الإسلام الحنيف الدين القويم، على تهذيب المجتمع الإسلامي، وذلك برفع شأن المرأة في التشريع، عما كانت عليه في الجاهلية(1)، فحفظ حقوقها في الزواج، والأولاد، والطلاق، والأجور، والمهر، واستئذان البكر والأيم في نفسيهما قبل الزواج، وحسن معاملة الزوجة(2)، كما حفظ حقوقها طفلة وبكراً وعانساً، كما منح الإسلام الزوجة حق مفارقة الزوج إذا كانت بيدها العصمة، والخلع منه إذا تبرمت بالحياة معه(3). وتمتعت النساء بما ملكت أيمانهن من أموال وأعيان من غير توقف على إذن زوج أو تقرير مسيطر. لقد أوجب الله تعالى تعلم العلم الشرعي على كل مسلم ومسلمة(4).

---

(1) للتوسع عن المرأة العربية في المجتمع الجاهلي راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٩٣ وبعدها.

(2) راجع القرآن الكريم، سورة النساء.

(3) للإستزادة راجع مالك: الموطأ: كتاب النكاح ص ١٨٩؛ كتاب الطلاق ص ٢٠٥؛ تاج العروس جـ ٥ ص ٣٢١ مادة خلع؛ النويري جـ ٣ ص ١٢٠؛ الألوسي: بلوغ الأرب جـ ٢ ص ٥٣ وبعدها. عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام ص ٧٩ وبعدها.

(4) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

وقد شاركت المرأة المسلمة الرجل في المجتمع الإسلامي، في الانتخابات العامة، أي المبايعة، منذ عصر الرسول ﷺ، أي منذ حوالي خمس عشرة قرناً، بينما نرى في أوروبا، في نفس الحقبة الزمنية، كانت المرأة الغربية محور جدال بين العلماء الغربيين، وبين الفلاسفة وأصحاب الملل والنحل، حول وسائل تتعلق بنوع المرأة:

١ - هل هي من جنس الإنسان أو الحيوان؟.
٢ - هل للمرأة روح أو ليس لها روح؟.
٣ - إذا كانت لها روح فهل هي روح إنسانية أو روح حيوانية شريرة؟.
٤ - وإذا كان لها روح إنسانية، فهل وضعها الاجتماعي والإنساني بالنسبة إلى الرجل كوضع الرقيق، أو شيء آخر أرفع قليلاً من الرقيق.
٥ - وهل هي ذات روح خبيثة شيطانية خلقت للإفساد والإغواء أم ماذا؟»[1].

وهكذا نرى أنه حينما كانت المرأة الغربية محل جدال عن نوعها وروحها، كان الإسلام ينادي بأن النساء شقائق الرجال، وأن الأصل التكويني للرجال والنساء واحد.

فالإنسان بدأ وجوده منذ خلق الله آدم، ومن آدم خلق الله الشطر الثاني للإنسان، فاجتمع منهما زوجان، ثم بث الله منهما عن طريق التناسل المتتابع إلى أن تقوم الساعة ذكراناً وإناثاً، في سلسلة متكاثرة، وفق مشيئة الله وحكمته وسنته التي أراد أن يخلق عن طريقها الأحياء في هذه الأرض الفانية جيلاً بعد جيل. ومن لطيف إشارات الله تعالى في كتابه الكريم أنه بدأ سورة «النساء» بقوله تعالى جلت قدرته: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكُمُ الذي خلقكم مِن نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾**[2].

(١) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٨ وبعدها. حبنكة: أجنحة المكر ص ٥١٤ وبعدها.
(٢) سورة النساء، آية: ١.

http://kotob.has.it

يعلن رب العالمين، رب العرش العظيم أن الأصل التكويني للناس ذكورا كانوا أم إناثاً هو أصل واحد، وأن الإطار العام الذي يجمع الصنفين إطار يحوي نفساً واحدة، وهي التي خلق منها زوجها.

ولعمري هذا الإعلان كاف لإثبات أن الإسلام شريعة ربانية خالدة تحكم بالعدل. وقد كرر القرآن الكريم الإعلان عن هذه الحقيقة في مناسبات متعددة، منها قول الله تعالى في سورة «الأنعام»: **﴿هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون﴾**[1].

فالنفس الواحدة التي كان منها الإنشاء هي نفس آدم، ثم تسلسل الإنشاء ما بين مستقر ومستودع، فظهور الآباء مستقر الذريات، وأرحام الأمهات مستودعها، ولا يتبصر بدقائق هذا التكوين الرباني إلا قوم يفقهون، أي يتعمقون بالبحث عن المعرفة الدالة على عظيم حكمة الله وقدرته. ومنها قول الله في سورة «الأعراف»: **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها. . .﴾**[2]. فأضاف سبحانه وتعالى في هذه الآية معنى السكن الدال على أنه بحكمته قد جعل في المرأة من الخصائص ما يحببها لنفس الرجل حتى يسكن إليها.

ألا فلتطمئن النساء إلى التكريم العظيم الذي كرمهن به الإسلام. والذين يريدون من المرأة أن تنافس الرجل في خصائصه، إنما يدفعونها إلى أقبح حالات النقص التي تعتري بعض النساء؛ وهؤلاء المحرِّضون لتتجاوز المرأة واقعها التكويني، ومهماتها التي اصطفاها لها الإسلام بحسب خصائصها، إنما يريدون منها أن تركع لأهوائهم وأنانياتهم، وتقع في الفخاخ التي نصبوها لها، وما ذلك إلا لعوامل شح في نفوسهم، التي تجعلهم يبخلون عن كفالة المرأة ورعايتها والنفقة عليها؛ وهم يتذمرون من الإسلام، الدين الحنيف، الذي كرَّم المرأة وصانها، واختار أن يخفف عنها أعباء الكسب، لتتفرغ لأعباء تهيئة الحياة السعيدة في منزلها

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٨.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٩.

http://kotob.has.it

لزوجها وأطفالها وذويها، دون أن يمنعها منه إذا اختارته هي لنفسها، أو إذا اضطرت لذلك.

إن المرأة في الإسلام الدين الحنيف مسؤولة كالرجل مسؤولية كاملة عن جميع الأمور الدينية تجاه ربها، وتجاه المجتمع الإسلامي، وحكمها كحكم الرجل في الإيمان، والكفر، والثواب، والعقاب، والطاعة والمعصية، فهي مخلوق مكلف لأنها مزودة بالعقل الذي تدرك فيه الحق والباطل، والخير والشر، والمصالح والمفاسد، وعندها الإرادة الحرة التي يناط بها التكليف. **والمرأة في مجال التكليف الشرعية مثل الرجل سواء بسواء**، لا تكلف إلا وسعها، ويشملها ويشمل الرجل معاً عبارة النفس الواردة في نصوص قرآنية كثيرة، كقول الله تعالى في سورة «البقرة»: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾**[1]؛ وقوله تعالى في سورة «الأعراف»: **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾**[2]؛ وقوله تعالى في سورة «المؤمنون»: **﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾**[3].

من أجل ذلك كانت مسؤولة عن إعلان الإسلام، وهي في ذلك تقف مع الرجل في مرتبة واحدة، وتعامل مثل معاملته، ومتى أعلنت إسلامها فنطقت بالشهادتين، عصمت دمها ومالها إلا بحق الإسلام، وحسابها على الله تعالى، وإذا ارتدَّت أصابتها جميع أحكام المرتدِّين دونما تفريق أو تمييز، لأن وسعها في هذا المجال مثل وسع الرجل. والمنافقات من النساء كالمنافقين من الرجال، والمشركات منهن كالمشركين منهم، يستقبلون جميعاً عند الله نصيبهم من العذاب. انظر إلى قول الله تعالى جلَّت قدرته: **﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾**[4]. وقوله

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٢.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

http://kotob.has.it

تعالى: ﴿وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً. ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنَّم وساء مصيراً﴾[1].

فالنساء والرجال بين يدي أركان العقيدة الإسلامية سواء تكليفاً وجزاء، لذلك فإن النصوص الإسلامية التي يوجَّه فيها الخطاب للرجال هي موجهة للنساء أيضاً، في كل الأحكام والعظات والتكاليف وأنواع التربية الإسلامية، ما لم يكن مضمون الخطاب مما يتعلق بخصائص الرجال التكوينية، وما لم يصرح في الخطاب بأنه خاص بالرجال دون النساء.

هذا هو واقع المرأة في الإسلام. أما دعاة تحرير المرأة، فإنهم يحاولون أن يدفعوها إلى ما وراء الحدود الإسلامية، إنما يخادعونها، ليهبطوا بها عن مرتبة الإنسان الذي كرَّمه الله بالعقل والإرادة، ووضعه موضع الامتحان، فكلفه الإيمان والعمل الصالح، والبعد عن الشر والإثم[2].

وهدف دعاة تحرير المرأة، وهم غالباً من المفتونين بحضارة الغرب الزائفة، أن يقذفوا بها إلى سوق الرذيلة المشاعة لكل فاسق، ويزجوا بها في أتون الخدمة والعمل والكدح الشاق، لتكسب عيشها وكساءها ومأواها، وهذا ما انتهت إليه حرية المرأة الغربية في البلاد التي تتحلى بشعارات تحرير المرأة، فقد أمست المرأة فيها لا تجد أباً ولا أخاً ولا عماً ولا زوجاً ولا ولداً ولا حفيداً يعيلها؛ فالأنثى عندهم متى غدت في سن معينة، وأصبحت قادرة على الكسب هان عليهم أن تعمل أي عمل، ولو بذلت فيه عفافها لأي طالب. والمرأة العاملة في الغرب تتعرض لكثير من الاعتداءات الجنسية، وتذكر «الليدي مارتي» في كتابها «ابتزاز المرأة العاملة جنسياً» إن المرأة العاملة في قطاعات الأمم المتحدة تتعرض لكثير من الاعتداءات الجنسية؛

---

(١) سورة الفتح، آية: ٥ ـ ٦.

(٢) للتوسع راجع محمد محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ٢ ص ٢٩٣ وبعدها وفيها ينتقد قاسم أمين المفتون بحضارة الغرب المزيفة، وينتقد كتابيه «تحرير المرأة»، و«المرأة الجديدة».

http://kotob.has.it

وتضيف أن ١٠٪ من عاملات المنظمة الدولية أقروا لها أنهن يتعرض للأعتداء الجنسي، كذلك تتعرض العاملات في المكاتب القضائية والفيدرالية والبوليس، إضافة إلى عاملات الفنادق والمسارح والموتيلات بنسبة تتراوح ما بين ٩٩ و ١٠٠٪[١].

هذا وغيره ما يريدون أن يحولوا إليه المرأة المسلمة بدعاياتهم المضللة بدعوى التحرر.

وإذا انتقلنا بالمرأة من مرحلة الإيمان والإسلام، إلى **مرحلة التكاليف الدينية الفرعية**، فإننا نجد قاعدة التسوية الإسلامية بين الرجال والنساء، مضطردة في جميع التكاليف الإسلامية، إلا فروقاً تستدعيها خصائص التكوين الجسدية والنفسية، إذ راعى الإسلام في المرأة نسبة استطاعتها بشيء من التخفيف، التزاماً بالعدل الذي تقتضية الحكمة.

ولما كانت المرأة عرضة لوهن جسدي ملازم لفترة حيضها، أسقط الله عنها ضمن هذه الفترة فريضتي الصلاة والصوم، دون أن يلزمها بقضاء الصلوات التي تتركها، أما الصيام فتقضيه.

وفي فريضة الزكاة لا نجد في الإسلام فرقاً في الأحكام بين الذكور والإناث، وكذلك فريضة الحج، فالمرأة والرجل فيه سواء. أما واجب الجهاد في سبيل الله، فعلى المرأة أن تجاهد بلسانها داعية إلى الله، وبمالها في سبيل الله، وقد أعفيت في معظم الأحوال من الخروج إلى قتال الأعداء، رعاية لحالتها الجسدية، ولا تكلف ذلك إلا في حالة النفير العام؛ وعندها تؤدي من الأعمال على قدر استطاعتها، كتضميد الجراح، وجلب الماء، وإعداد الطعام للمقاتلين، ونحو ذلك مما تحسنه وتجيده من الأعمال.

---

(١) للتوسع عن مشاكل المرأة في الغرب راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٤٦ وبعدها.

http://kotob.has.it

ولما كانت النساء يقفن مع الرجال على صعيد واحد بين يدي التكاليف الإسلامية الاعتقادية والعملية، إلا ما تقتضية فروق الخصائص التكوينية، فإن الله جل وعلا جعل لها من الجزاء ثواباً أو عقاباً نظير ما للرجل، انظر إلى قوله تعالى: **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كان يعملون﴾**(١). وانظر إلى قوله جلت قدرته: **﴿إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً. وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذ قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾**(٢).

فالإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصديق والصيام وحفظ الفروج وذكر الله كثيراً وجزاء هذه الصالحات عند الله كل أولئك يستوي فيها الرجال والنساء.

ومن تسوية الإسلام بين صنفي الرجال والنساء، تسويته بينهما في المحرمات والجنايات، فحدود مسؤولية المرأة في ذلك هي حدود مسؤولية الرجل نفسها، لأن خطاب الشارع متوجه للإنسان المكلف، باعتبار كونه إنساناً، ذكراً كان أو أنثى. فالإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسرقة والزنى، وعقوق الوالدين، والكذب، والغيبة، والنميمة، والظلم، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، وتناول سائر المشروبات والمأكولات المحرَّمة، والإفساد في الأرض، والصد عن سبيل الله، والقذف والحقد، والحسد،

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥ ـ ٣٦.

http://kotob.has.it

والغش، والإضرار بالناس في العقود، وأكل أموال الناس بالباطل، وسائر المحرمات في الإسلام، يستوي فيها الرجال والنساء تحريماً وعقوبة[1].

يتخذ أعداء الإسلام من كون الرجال هم القوامين على النساء، بمقتضى أحكام الشريعة الإسلامية مجالاً للثرثرة ضده، ولتحريض المرأة المسلمة حتى تتمرد على تعاليمه، وتنفر منه، مع أن قوامة الرجال على النساء مسألة تفرضها ضرورة الحياة الفضلى من الناحيتين الفطرية والفكرية.

فالتشريع الإسلامي العادل جعل للرجل درجة على المرأة بقوله تعالى: **﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾**[2] وقوله جلت قدرته: **﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم. . .﴾**[3] وذلك لتبعات ألقاها الله تعالى على الرجل، وذلك لقوَّته، وإلزامه على الإنفاق على الأنثى، وتحميله مسؤوليات جسام تجاه القانون والمجتمع، والأنثى بشكل عام سواء كانت زوجة، أو أم، أو أخت، أو ابنة، أو جدة أو عمة وغيرها[4]. بينما لم يلزم الشرع الإسلامي العادل الأنثى بأي تبعات، حتى إرضاع طفلها.

فهذه الدرجة ضرورية لنظام البيت، إذ أن كل مجتمع مهما كان صغيراً لا بد له من مشرف حتى يصلح حاله، ويستقيم نظامه، والرجل في هذا أقدر من المرأة، كما هو رأي عامة الحكماء وعلماء الإجتماع[5]. لذلك أعطاه الشرع الحق إذا نشزت في وعظها أو هجرها في المضاجع إذا لم ترتدع، أو حتى ضربها؛ بقول الله تبارك وتعالى: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضَّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون**

---

(١) حبنكة؛ أجنحة المكر ص ٥٧٤ وبعدها.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٥.

(٤) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٤ وبعدها. العقاد: المرأة في القرآن ص ٩ وبعدها. عبد العزيز جاويش: الإسلام دين الفطرة والحرية ص ٧٩ وبعدها.

(٥) للتوسع راجع أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٢٧٥ وبعدها.

http://kotob.has.it

نشوزهُنَّ فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً﴾[1]. كما أباح الإسلام للرجل التزوج بأربع نساء، كما أباح نكاح الإماء، وهن الجواري، يقول تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾[2]؛ وقوله تعالى: ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم﴾[3]. وشريعة الإسلام حين أباحت التعدد، إنما تركت الباب مفتوحاً لمعالجة الضرورات الفردية والاجتماعية، ولم ترغب في ذلك ولم تنفر.

ونحب أن نرد على شبهة سقيمة، طالما أثارها كثير من الأعداء من الغربيين المتعصبين، والمستشرقين الأفاكين، والمتغربين من أبناء الشرق الضالين، رددوها كثيراً ليفسدوا بها العقائد، ويطمسوا بها الحقائق عن التعدد. إنه الحقد الأسود الذي يملأ قلوب أولئك الغربيين والمستشرقين، فيعميهم عن رؤية ضياء الحق الساطع، وصدق الله العظيم: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾[4].

فنحن نعرف أن التشريع الخالد إلى الأبد، هو ما وجد فيه الناس جميعاً حاجاتهم، وما وجدت فيه الأمم طلباتها في مختلف ظروفها وأحوالها. فليس في ترك التعدد مباحاً، كما هو الحال في الشريعة السمحاء، ترغيب للناس في ذلك، ولكن في تضييقه أو منعه حيلولة دون معالجة مشكلات خاصة، تجد علاجها في التعدد، ومنع الأمة في ظرف من الظروف الطارئة من حل مشكلة من مشكلاتها لا علاج لها إلا بالتعدد.

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٣.

(٣) سورة النور، آية: ٣٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ٥.

http://kotob.has.it

والتشريع الحكيم الأبدي هو الذي يترك الباب مفتوحاً لمعالجة المشاكل إلى نهاية العالم، ولا يوصد الباب دونها. فالمباحات الاجتماعية والفردية كثيرة تأذن بها الشريعة الإسلامية الخالدة، ولكنها لا تأخذ بأيدي الناس، ليحسنوا تناولها، والتصرف فيها[1].

فليس معنى ذلك أن يعدد كل متزوج زوجاته، ولكن جعل مبدأ التعدد مسموحاً من غير قيود، ما عدا قيد العدل والقدرة على الإنفاق، ليستطيع من تلجؤه ظروفه الخاصة إلى التعدد، ولتستطيع الأمة في حالة الحروب، والأزمات التي يقل فيها الرجال ويكثر النساء، أن تستفيد من تشريع التعدد، بما يسد به الرجال، وتكفل به حياة النساء، حياة حرة شريفة كريمة، ويحال بينهن وبين التشرد والتسكع، وتكون الأنثى زوجة حرة شريفة، تشبع متطلبات الجسد الطبيعية، كما تشبع عاطفة الأمومة الرائعة، وبالطبع هذا أفضل بكثير من أن تكون عشيقة أو خليلة أو غانية، أو سرّية، أو غيرها من النعوت والأسماء الغير لائقة بالأنثى الشريفة، ويصان بالتعدد عندها المجتمع الإنساني من كثرة الفواحش، وازدياد الأولاد غير الشرعيين، كما يقع الآن تماماً في أوروبا. فقد أصبحت مشكلة تكاثر الأولاد غير الشرعيين مشكلة اجتماعية وإنسانية، حملت كثيراً من المفكرين عندهم، على أن ينادوا بوجوب الاعتراف بهؤلاء، وإلحاقهم بآبائهم، وأن يكون لهم في القانون حقوق الأولاد الشرعيين... ولو أنهم أباحوا التعدد لما وصلوا إلى هذه الحالة[2]. لقد هذّب الإسلام نظام تعدد الزوجات الذي كان سائداً في العصر الجاهلي مثل زواج المقت، ووراثة نكاح الأمهات والأخوات... إلخ فحرّمه، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى جلت قدرته: **﴿حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللواتي أرضعنكم وأخواتكم من الرَّضاعة وأمهات نسائكم وربائبكُمُ اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم**

(١) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧. عبد الرزاق نوفل: الله والعلم الحديث ص ٢١٣ وما بعدها. محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية جـ١ ص ٨١ وما بعدها. جاويش: الإسلام دين الفطرة والحرية ص: ٨٢ وما بعدها. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون ص: ٧١ وما بعدها.

http://kotob.has.it

بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً﴾[1]. إن هدف الإسلام الدائم، هو بناء المجتمع الأسري العائلي المستقر، والقرآن الكريم يشير في مواضع كثيرة إلى الأسرة مثل الأهل، والرحم، والأمهات، وصلة الرحم إلخ. والحديث النبوي الشريف، وصى بالأسرة والأم خاصة، «فالجنة تحت أقدام الأمهات»؛ وكل ما يسعى إلى هدم الأسرة من مذاهب في وقتنا الحديث هو مخالف لروح الإسلام.

ومن تسوية الإسلام بين صنفي الرجال والنساء تسويته بينهما في الأحكام المتعلقة بالتصرفات المالية والشخصية. فالمرأة في نظام الإسلام تنجز لنفسها عقود البيوع والرهن والإجارة والشركة والمزارعة بحرية تامة كالرجل. كما أنها تهب وتوصي وتتصدق وتسبل السبل وتقف الأوقاف وتعتق الأرقاء، حكمها في ذلك كحكم الرجل. وأموال المرأة في نظام الإسلام ملك لها، ومهرها الذي تستحقه بالزواج ملك لها أيضاً، وإذا تزوجت المرأة لم تفقد شيئاً من شخصيتها المدنية، ولا من أهليتها في التعاقد، ولا من حقها في التملك، بل تظل بعد زواجها محتفظة بكامل حقوقها المدنية، وأهليتها في تحمل الإلتزامات، وإجراء العقود، وحقها في التملك تملكاً مستقلاً. ولم يبح الإسلام لزوجها أن يأخذ شيئاً من مالها إلا عن طيب نفس منها، قال الله تعالى في كتابه الكريم: **﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾**[2].

هذا هو نظام الإسلام في رقيه وسموه وضمانه لحقوق المرأة، بينما نجد في أحدث القوانين الأوروبية نصوصاً قانونية، تنزع عن المرأة صفة الأهلية في كثير من الشؤون المدنية، إذ نجد مثلاً نصوصاً فيها تقرر: «أن المرأة المتزوجة لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون إشراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية»؛ وهذا ما تضمنته المادة (٢١٧) من القانون المدني الفرنسي.

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٣.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٤.

http://kotob.has.it

ويعلن رب العــالمين أن المؤمنين والمؤمنـات على صعيـد واحـد، في أن بعضهم أوليـاء بعض وفي أنهم يأمـرون بالمعـروف وينهـون عن المنكـر، ويؤدون واجباتهم الدينيـة، ويطيعـون الله ورسولـه، وفي أنهم جميعاً مشمـولون بـوعد الله بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وبالرضـوان من الله الذي هـو أكبر من كل أنواع النعيم المادي في الجنات: أنظر إلى قول الله تعالى جلت قدرته في القرآن الكريم: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكـاة ويطيعـون الله ورسولـه أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم. وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجـري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبرُ ذلك هو الفوز العظيم**﴾[1].

وليس يمنع المرأة حياؤها ولا جلبابها الشرعي، في المجتمع الإسلامي، من أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتوجه نصائحها للمسلمين والمسلمات، مـا وجدت إلى ذلك سبيلاً كريماً، وضمن حدود الآداب الإسلامية المطلوبة منها.

ألا فلتعلم النسـاء، أن أعداء الإسـلام الذين يـريدون صـرفهن عن الإسلام الحنيف، بشعاراتهم البراقة، إنما يـريدون أن يجعلوا المـرأة سلعة كـاسدة، ومتعـة رخيصة، وخادمة مهانة، وامرأة مبتذلة فاسدة.

ومع ذلك تحاول بعض الفتيات (غير المؤمنات) في الأجيـال الحديثـة، أن يلحقن بـركب المرأة الأوروبيـة، وهن يتسابقن في مضـرات أنفسهن، متهـالكـات تهالك الفراشات على النار. ويُلَوِّح لهن أعداء الإسلام بالمناديل البراقة التي تخدع الأعين بأصباغها وزخارفها، إلى الشقاء والعذاب والعقد النفسيـة القاتلة، والكـدح والمهانة، والكساد في سوق الرذيلة.

(١) سورة التوبة، آية: ٧١ - ٧٢.

http://kotob.has.it

أما في المبايعة فلم يكن حظ النساء من مبايعة الرسول ﷺ بأقل من حظ الرجال، بل كان لهن منها مثل نصيبهم، مع إعفائهن من الالتزام بما أعفاهن الله منه، كالقتال في سبيل الله، وكانت تسمى البيعة على السمع والطاعة وسائر الأمور عدا القتال، بيعة النساء والمبايعة في الإسلام على السمع والطاعة للقيادة الإسلامية فيما لا معصية لله فيه. ودليل مبايعة النساء من القرآن الكريم، قول الله تعالى: ﴿**يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنَّ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم**﴾[1] وقد جئن إلى الرسول ﷺ وبايعهن ولكن دون مصافحة.

فالمساواة بين الرجال والنساء في المبايعة على الإذعان للسلطة الزمنية، وفق أحكام الشريعة اسلامية، يسقط معها كل تضليل يشوه به أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين وجه النظام الإسلامي الجميل المشرق. وقريب من هذا ما يسمى في الأنظمة الحديثة بحق المرأة في الانتخاب.

وجدير بالتأمل أن هذا موجود في نظام الإسلام منذ خمس عشرة قرناً ـ كما ذكرنا ـ حين كانت المرأة في أوروبا يدرسون نوعها وروحها، وعقدت مؤتمرات في ذلك العصر، للبحث حول المرأة وحول روحها، وهل هي تتمتع بروح كروح الرجل، أم أن روحها كروح الحيوانات مثل الثعابين والكلاب، بل إن أحد هذه الاجتماعات في روما قرر أنه لا روح لها على الإطلاق، وأنها لن تبعث في الحياة الأخرى[2].

أما اشتراك المرأة في التصويت العام والانتخاب، فلم تعرفه المرأة الأجنبية إلا مؤخراً في هذا القرن، وحتى في بداية القرن الخامس عشر هـ ونهاية القرن

---

(١) سورة الممتحنة، آية: ١٢.

(٢) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٨ وما بعدها. حبنكة: أجنحة المكر ص: ٥٩٢ وما بعدها. ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

http://kotob.has.it

العشرين م. فقد ذكرت الصحف الأوروبية والعربية إعطاء المرأة حق الانتخاب في أوروبا. فذكرت جريدة «النهار» اللبنانية مثلاً، الصادرة الثلاثاء في ١٩٨٤/٧/٣ م ١٤٠٥ هـ حق اقتراع النساء في إمارة «ليشتنشتاين» وهي إمارة صغيرة واقعة بين سويسرا والنمسا[١].

ونحن نقول بكل فخر يكفينا من تكريم الله تعالى جلّت قدرته للمرأة أن أول من آمن بالإسلام ديناً كان امرأة هي السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجة الرسول ﷺ، وأول شهيد في الإسلام كان أيضاً امرأة هي السيدة سمية والدة عمار بن ياسر رضي الله عنهما، ولعمري هذا منتهى التكريم للمرأة.

ونحن نقول أيضاً إنه من فخرنا وجود «خولة بنت الأزور» الفارس الملثم في معركة اليرموك منا، ووجود الشاعرة الخنساء منا، وكلنا يعرف قصتها. لقد كانت الخنساء من الشاعرات المخضرمات. ففي العصر الجاهلي استنفذت اشعارها باكية في رثاء أخويها معاوية وصخر. وفي العهد النبوي الشريف: قدمت مع قومها إلى النبي محمد ﷺ فأسلمت معهم؛ وكان النبي ﷺ يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول: هيه يا خناس؟ وكانت خطيبة مبينة أيضاً.

لقد وقر الإيمان قلبها بعد الإسلام. لاحظ أيها القارىء التبدل الذي حصل لها بعد إسلامها، وهي التي أمضت حياتها في الجاهلية تندب أخويها. لقد حضرت حرب القادسية، ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل: يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، فإذا أصبحتم فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستنصرين بالله ربكم. فغدوا للقتال، فقتلوا عن آخرهم.

---

(١) للتوسع راجع نجا: لمع من حضارتنا ص: ٢٣٩ وما بعدها.

http://kotob.has.it

وعندما جاء البشير بعد انتصار المسلمين في معركة القادسية، ليبشر المسلمين بالنصر، رأى الخنساء أمامه مع المؤمنين. فقال لها: لقد استشهد ابناؤك الأربعة. قالت له: ويحك ما سألتك عن ابنائي، بل أسألك هل انتصر المسلمون؟ قال: نعم. فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله(١).

ونحن نقول أيضاً وبكل فخر واعتزاز أنه إلى جانب حق الانتخاب العام الذي مارسته المرأة المسلمة منذ خمس عشرة قرناً، فقد شاركت المرأة المسلمة منذ ذلك الحين وحتى اليوم في العناية بالحديث والفقه وحضور مجالسهما؛ واشتهرت طائفة من الصحابيات في ذلك مثل السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأم سلمة، وحبيبة بنت أم حبيبة وغيرهن؛ وكذلك كان لنفر من المحدثات مشاركة في الفقه والأدب، منهم قتيلة بن النضر القرشية، وأروى بنت كريز بن عبد شمس، ورميصاء بنت ملحان الأنصارية، وأسماء بنت سلمة التميمية وغيرهن. ومن شاعرات العرب في صدر الإسلام نذكر الخنساء، وحميدة بنت النعمان بن بشير، وعمرة بنت مراد بن أبي عامر، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، كما كانت عفراء بنت مهاجر بن مالك العذري من الشاعرات الرقيقات، كما كان هناك خطيبات مبرِّزات يثرن حماس الرجال في الحروب أمثال عكرشة بنت الأطرش بن واحدة، والزرقاء بنت عدي الهمدانية، كما ظهرت بين النساء المؤمنات من تروي أحاديث الصحاح أمثال: كريمة بنت أحمد بن محمد المرزوية التي كانت تروي صحيح البخاري، وإليها انتهى علو الإسناد الصحيح؛ كما ظهرت منهن محدِّثات وكاتبات، أمثال: فاطمة بنت علي المؤدب المعروفة ببنت الأقرع الكاتبة، وكانت من أحسن الناس خطاً، وسمعت الحديث وأسمعته؛ ومنهن أيضاً ابنة الغالب بالله بن القادر؛ وكانت ترجع إلى دين ومعروف كثير، ولم يبلغ أحد في عصرها في فعل الخير ما فعلت.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٠٩ وبعدها.

http://kotob.has.it

هذا إلى جانب كثيرات غيرهن لا يحصى عددهن في جميع العلوم والفنون[1].

أما بالنسبة لحق المرأة المسلمة في الميراث فإن أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين والمفتونين بزيف الغرب ادعوا بأن الإسلام لم يسوِّ في الميراث بين الذكر والأنثى، بل جعل نصيب الأنثى في معظم الأحوال على مقدار النصف من نصيب الذكر، وهذا تفريق ينافي العدل كما يدّعون.

إن أعداء الإسلام يقذفون هذه الشبهة في صفوف الأجيال المسلمة بشكل غامض، لإثارة العواطف الأنانية الصرفة عند الإناث.

مع أن البحث التحليلي المتجرد النزيه، يكشف أن الإسلام قد كرَّم الإناث كثيراً بهذا العطاء السخي في الميراث، إذا وضعنا هذا التوزيع للتركات في مقابل الأعباء الاقتصادية الملقاة على كل من الرجل والمرأة.

لقد كرَّم الإسلام المرأة في نظامه، فرحِمَها وحدب عليها، ونظر إلى أعباء حملها ورضاعها، وتربية أبنائها، وتدبير منزل الزوجية وخدماتها فيه، فأعفاها من واجبات السعي لاكتساب الرزق، ولم يحملها مسؤوليات أعباء المعيشة، لا لنفسها ولا لغيرها، لئلا يجمع عليها عبئين في الحياة، وليصونها من التبذل، وليقيها متاعب الكدح خارج منزلها، وألقى كل هذه الأعباء والمسؤوليات على الرجل، دون أن يمنعها من العمل الشريف إذا هي اختارت ذلك.

فنفقة المرأة في نظام الإسلام واجبة على زوجها، وإن كانت غنية، أو على ذوي قرابتها إن كانت فقيرة، ضمن قواعد وأحكام مفصلة في الفقه الإسلامي، فإذا لم يكن لها زوج أو أقرباء ينفقون عليها وكانت فقيرة، فإن نفقتها واجبة على بيت مال المسلمين، تتقاضاها من صندوق الزكاة أو من الصندوق العام.

(١) للإستزادة راجع الطبري جـ ٣ حتى جـ ١٠؛ ابن الأثير: الكامل مجلد ١ حتى مجلد ١٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجلد ١ حتى مجلد ٧؛ ابن عبد ربه الأندلسي جـ ١ حتى ٤. المبرد: الكامل في اللغة والأدب جـ ١ و ٢. حسن ملارجي الدلفي: سطور مع نساء مؤمنات ص ١٥ وما بعدها. الجاحظ: البيان والتبيين جـ ٢ ص: ٢٠٩ وما بعدها. نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٩ وما بعدها.

http://kotob.has.it

لدى زواج الأنثى، يحتمل الرجل أعباء دفع المهر للزوجة، وأعباء سائر النفقات التي يتطلبها الزواج، وبعد الزواج، الرجل هو المسؤول عن السعي لكسب الرزق، والنفقة على زوجته، وعلى أولاده، بينما لا تكلف المرأة شيئاً من هذه الأعباء، إلى جانب ذلك فإن الرجل مسؤول أيضاً عن النفقة على طائفة من ذوي قرابته من النساء، ومن فقراء عائلته، ضمن تفصيلات موضحة في الفقه الإسلامي.

وبموجب هذا النظام الأموال التي تملكها المرأة معدة لصدقاتها التي تكسب بها أجراً عند الله جل وعلا، ولعطاءاتها التي تحبو بها من تشاء من أولادها وبناتها وأحفادها وأقاربها إلخ، ولرفاهيتها الخاصة، ولتدخر منها ما تسعف به نفسها ومن تحب عند مفاجآت نوائب وغدرات الزمان.

ونحن نعرف أن العدالة في التوزيع يجب أن تلاحظ المسؤوليات والأعباء، وليس من العدل أن يعطى المكفي بنفقة غيره عليه، والذي يأخذ المال غالباً لأجل رفاهية نفسه، مثل ما يعطى المسؤول عن نفقة نفسه وزوجه، ونفقة أصوله وفروعه إذا كانوا محتاجين للنفقة. لذلك لا يصح أن ينظر إلى قضية الميراث، دون أن ينظر في الوقت نفسه إلى مسؤوليات النفقة، والأعباء الاقتصادية التي يقررها الإسلام بشكل عام. لأن النظر إلى جانب واحد من النظام دون النظر إلى الجوانب الأخرى المكملة له، كالنظر إلى طرف واحد من أطراف أي كائن في الوجود، دون النظر إلى الأطراف الأخرى على وجه الشمول. وهكذا يظهر لنا عظمة الإسلام في هذا المجال، كشأنه في كل مجال، ومع ذلك يحاول أعداء الإسلام قذف شبهاتهم في صفوف الأجيال المسلمة ليصدوها عن دين الله الحق[1].

ويموه المستشرقون والمبشرون والمفتونون بحضارة الغرب الزائفة **أن الإسلام لا يشجع على تعليم المرأة**، وأنه يفضل أن تبقى جاهلة، وهذا محض افتراء على الإسلام. لقد دفع الإسلام الإنسان بشطريه الذكر والأنثى إلى كل مجالات العلم

---

(١) للتوسع حبنكة: أجنحة المكر ص ٥٨٣ وما بعدها. نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٣٤ وما بعدها.

http://kotob.has.it

والمعرفة والبحث عن الحقائق، بكل قوة، إعلاناً منه أن الطريق الصحيح إلى معرفة الله، والإيمان به، والاستسلام لشرائعه إنما هو طريق العلم. أليس في الآيات التي بدأ الله بها الوحي لرسوله محمد ﷺ إعلان قوي لهذه الحقيقة؟.

إن أول ما بدئ به من الوحي قول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ في سورة العلق: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾** [1].

هذه الكلمة التي استهل بها الوحي نجواه مع رسول الله ﷺ «اقرأ» تقدم لنا أروع، وأجمع وأوجز جواب، فالعلم هو جوهر كل حضارة أقامها الإنسان على ظهر أرضه وكوكبه. والإسلام قدَّم للدنيا حضارة متكاملة تدين لها كل الحضارات التي جاءت من بعده، حتى تلك التي استهدفته بشنآنها وعدوانها. لذلك نستطيع أن ندرك في يسر لماذا كانت أولى كلمات الله إلى رسوله «إقرأ» ولم تكن «تعبَّد» ولا «صل» ولا «صم»، بل كانت «اقرأ». هذه الكلمة «اقرأ» لخصت جوهر الإسلام ومستقبله، فهو لن يكون دين تكريس ديني فحسب، بل ولا دين سلوك فحسب؛ إنما هو قبل ذلك، وفوق ذلك «دين حضارة»، جاء ينشئ عالماً جديداً باقياً خالداً حتى نهاية البشر، حتى يوم القيامة، قال تعالى: **﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [2].

هذه الدعوة التي دعا الله بها الإنسان إلى العلم، منذ اللحظات الأولى التي بدأ بها إنزال تعاليم الإسلام، أكبر برهان يدل على التسوية التامة بين شطري الإنسان الذكر والأنثى، في ميدان دعوتهما إلى العلم والمعرفة، والتأمل فيما خلق الله.

---

(١) سورة الفلق، آية ١ ـ ٥.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩.

http://kotob.has.it

ولما كان العلم هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل والإيمان به، والطريق إلى معرفة الأحكام الدينية التي يكلف بها الإنسان ذكراً كان أو أنثى، كان من المتحتم على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ما يهديه إلى هذه الأمور المسؤول عنها مسؤولية شخصية أمام الله.

ونظرة إلى واقع الحياة يظهر لنا أهمية صلاح المرأة علماً وخلقاً وسلوكاً داخل أسرتها، ثم في المجتمع الكبير. فبمقدار صلاح المرأة في الأسرة يكون غالباً صلاح النشء، والذرية فيها، وبمقدار فسادها يكون غالباً فسادهم. ذلك لأن المرأة تستطيع أن تكون ذات أثر فعال مرشد أو مفسد في تكوين أخلاق الأطفال الصغار وطبائعهم وعاداتهم أكثر من الرجل بكثير، لوجودها قرب أطفالها حين يكون الزوج يسعى لكسب الرزق.

وبما أن للمرأة كل هذا الأثر في تربية الطفولة داخل أسرتها أو خارجها، كان لا بد من العناية بتكوينها تكويناً راقياً، والعمل على جعلها قدوة صالحة وأسوة حسنة، وذلك لا يتم إلا بتعليمها، وتربيتها تربية إسلامية حسنة، والاستفادة مما وهبها الله من عاطفة رقيقة لملء قلبها ونفسها بالإيمان والخير، حتى تغذي بهما الجيل الذي تتولى تنشئته وتربيته[1].

أما بالنسبة للمرأة بين **الحضانة والشهادة** فيحاول المستشرقون والمبشرون والمتغربون من أبناء الشرق وأعداء الإسلام عامة، إثارة المرأة في هذا الجانب والقول بأن الإسلام ظلمها وهضم حقوقها في هذا المجال، ونجيبهم بالقول إن الدراسات النفسية والملاحظات المستمرة لطبائع النساء تؤكد أن المرأة بصفة عامة، تغلب جوانب العاطفة لديها الجوانب العقلية في معظم أحوالها، مهما كانت متمتعة بذكاء علمي راق وإرادة قوية.

---

(١) للتوسع راجع: حبنكة: أجنحة المكر ص ٥٨٣ وما بعدها؛ نجا: دروس من السيرة ص ٧٨ وما بعدها.

http://kotob.has.it

فالرجحان العاطفي لديها جزء من كمال أنوثتها، وحينما تنعكس في المرأة هذه الخصائص، فتكون الجوانب العقلية لديها راجحة على الجوانب العاطفية، فإنها تفقد لا محالة جزءاً كبيراً من كمال أنوثتها المؤهلة لوظائف اجتماعية لا يحسنها على الوجه الأكمل غيرها.

من أجل ذلك راعى الإسلام في نظامه الرفيع خصائص كل من الرجل والمرأة في عدة أمور، حرصاً منه على توسيد وظائف الحياة لمن يكون أكثر كفاية للقيام بها، ومن هذه الأمور ما يلي:

١ ـ الحضانة منذ الولادة حتى سن التمييز وظيفة من وظائف الجماعة الإنسانية، ولدى التبصر بهذه الوظيفة الحيوية الهامة، نلاحظ أنها بحاجة إلى حاضن تترجع لديه الجوانب العاطفية على الجوانب العقلية.

ولما كانت المرأة بفطرتها متمتعة بهذا النوع من الاختصاص، كانت أحق بالحضانة من الرجل، وتقوم هذه المشكلة حينما ينفصل الأب عن الأم، ولذلك قرر الإسلام في نظامه القويم منحها هذا الحق دون الرجل، وقرر تكليف الرجل النفقة وأجر الحضانة.

أما بعد سن التمييز الذي تنتهي به فترة الحضانة، فإن البنين والبنات بحاجة حينئذ إلى مربٍ تترجح لديه الجوانب العقلية على الجوانب العاطفية.

ولما كان الرجل بفطرته متمتعاً بهذا النوع من الاختصاص كان أحق من المرأة، بأن يتولى هذه الوظيفة، لذلك منحه الإسلام في نظامه هذا الحق دون المرأة، حرصاً على سلامة تربية البنين والبنات من الانحراف الذي قد تساعد عليه عواطف المرأة، التي تجعلها تتساهل بواجبات التربية الحازمة الحكيمة.

٢ ـ الشهادة على الحقوق المالية وظيفة من وظائف الجماعة الإنسانية التي تثبت بها الحقوق؛ ولدى التبصر بهذه الوظيفة الاجتماعية، نلاحظ أنها بحاجة إلى إنسان تترجح لديه الجوانب العقلية على الجوانب العاطفية، لئلا تساهم العاطفة الغالبة في الميل إلى أحد الخصمين على حساب حق الخصم الآخر.

http://kotob.has.it

ولما كان الرجل بفطرته العامة متمتعاً بهذا النوع من الاختصاص كانت شهادته أثبت من شهادة المرأة، التي تترجح لديها الجوانب العاطفية على الجوانب العقلية. وفي جعل شهادة الرجل أثبت وأرجح من شهادة المرأة ضمان للحقـوق، ولكن لما كـان من المستبعد إجمـالاً إتفاق امـرأتين في الميل نحـو عاطفـة واحـدة في هـذا المضمار، كان لشهادتهما معاً قوة تسـاوي قوة شهـادة رجل؛ لـذلك رفـع الإسلام نصاب الشهادة الواحدة إلى امرأتين بدل امرأة واحدة، لتتكامل شهادتاهما، فتكون في قوة شهادة واحدة، وقرر الإسلام مع ذلك في مضمار الحقوق أن يستشهد عليها **ذوا عدل** من رجال المسلمين، وبذلك كان النصاب شهادتين لا شهادة واحدة، فإذا أضيف إلى هذا الأمران أن شهادة امرأتين بقوة واحد، نظراً إلى الملاحظة السابقـة التي تهدف إلى ضمان الحقوق، تبين لنا وجه الدقّة التامـة في تأديـة هذه الـوظيفة الاجتماعية الموضحة في قول الله تعالى: ﴿**واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهـداء أن تضل إحـداهما فتـذكر إحداهما الأخرى. . .**﴾[1] أي خشية أن تضل إحداهمـا فتميل بعـاطفتها عن وجـه الحق، أو خشية أن تنسى أو تخطىء إحـداهما فتـذكر الأخـرى بالحق كمـا وقع، وتتكامل بهما شهادة معتبرة.

وليس في هذا تنزيل من قيمة المرأة، ما دام تكـوينها الفـطري معداً للقيـام بوظائف اجتماعية، لا تكون مثالية فيها ما لم تكن الجوانب العاطفية لديها غالبة على الجوانب العقلية.

ومن الواضع أن هذا التفاوت هنـا لا علاقـة له بـالإنسانيـة ولا بالكـرامة ولا بالأهلية، فما دامت المرأة إنساناً كالرجل، كريمة كالرجل، ذات أهلية كاملة لتحمل الالتزامات المالية كالرجل، لم يكن اشتراط اثنتين مع رجل واحد إلا لأمر خارج عن كرامة المرأة واعتبارها واحترامها، وإذا لاحظنا أن الإسلام، مع إباحتـه التصرفـات

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

http://kotob.has.it

المالية للمرأة، يعتبر رسالتها الاجتماعية هي التوفر على شؤون الأسرة، وهذا ما يقتضيها لزوم بيتها في غالب الأوقات، وخاصة أوقات البيع والشراء، أدركنا أن شهادة المرأة في حق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادراً، وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تذكره حين مشاهدته، فإنها تمر به عابرة لا تلقي له بالاً، فإذا جاءت تشهد به كان أمام القاضي احتمال نسيانها أو خطئها ووهمها، ، فإذا أشهدت امرأة أخرى بمثل ما تشهد به زال احتمال النسيان والخطأ، والحقوق لا بد من التثبت فيها، وعلى القاضي أن يبذل غاية جهده لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

هذا هو كل ما في الأمر، وقد جاء النص عليه صراحة في الآية ذاتها، حيث قال الله سبحانه وتعالى في تعليل اشتراط المرأتين بدلاً من الرجل الواحد: ﴿**أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى**﴾.

ولهذا المعنى نفسه ذهب كثير من الفقهاء إلى أن شهادة النساء لا تقبل في الجنايات، وليس ذلك إلا لما ذكرناه من أنها غالباً ما تكون قائمة بشؤون منزلها، ولا يتيسر لها أن تحضر مجالس الخصومات التي تنتهي بجرائم القتل وما أشبهها، وإذا حضرتها فقل أن تستطيع البقاء إلى أن تشهد جريمة القتل بعينها، وتظل رابطة الجأش، بل الغالب أنها إذا لم تستطع الفرار تلك الساعة كان منها أن تغمض عينيها وحتى تولول وتصرخ، وأحياناً تبكي، وقد يغمى عليها، فكيف يمكن بعد ذلك أن تتمكن من أداء الشهادة فتصف الجريمة والمجرمين وأداة الجريمة وكيفية وقوعها؟ ومن المسلَّم به أن الحدود تدرأ الشبهات، وشهادتها في القتل وأشباهه تحيط بها الشبهة: شبهة عدم إمكان تثبتها من وصف الجريمة لحالتها النفسية عند وقوعها.

بينما نرى في الأمور الأخرى، التي يضعف فيها تدخل العواطف الإنسانية، فإن شهادة المرأة فيها مثل شهادة الرجل، وذلك حينما يكون الاعتماد على مجرد الذكاء والحفظ، ومن أجل ذلك قبلت التعاليم الإسلامية رواية المرأة لنصوص الشريعة وأخبارها في التاريخ والعلوم، وساوتها في ذلك بالرجل، وقبلت أيضاً شهادة

http://kotob.has.it

المرأة الواحدة في إثبات الولادة والرضاع، وفي الثيوبة والبكارة؛ إلى غير ذلك من أمور يضعف فيها تدخل العواطف الإنسانية.

فليست المسألة إذاً مسألة إكرام وإهانة، وأهلية وعدمها، وإنما هي مسألة تثبت في الأحكام، واحتياط في القضاء بها، وهذا ما يحرص عليه كل تشريع عادل. والمستشرقون ومن لف لفيفهم، بنظرياتهم الخاطئة الكاذبة، يحاولون إثارة المرأة في هذا الجانب، يظلمون جانب الحقوق ظلماً كبيراً، وهم يغمضون أعينهم بمكر وخبث عن الحقيقة النفسية التي عليها المرأة، وعن الحقيقة القانونية التي يجب مراعاتها لتثبيت الحقوق لأهلها.

وهكذا نرى أنه لا معنى للشغب والتشنيع على الإسلام في هذه القضية، واتخاذها سلاحاً للإدعاء بأنه انتقص المرأة، وعاملها دون الرجل كرامة ومكانة. مع أنه أعلن إكرامها ومساواتها بالرجل في ذلك بنصوص صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

٣ ـ محاولات المستشرقين والمبشرين إفساد المرأة المسلمة:

عرف المستشرقون والمبشرون والغرب عامة، ما للمرأة المسلمة من تأثير على الأسرة، وعلى المجتمع الإسلامي كله بوجه عام، فوجهوا شطراً كبيراً من أعمالهم التبشيرية إليها. كانت المرأة المسلمة الملتزمة بآداب الإسلام بعيدة عن الاختلاط في مجتمعات الرجال، لذلك اضطر المبشرون والمستشرقون أول الأمر أن يضموا إليهم فريقاً من المبشرات اللواتي يحملن مهمة التبشير إلى النساء المسلمات؛ كما بدا لهم أن يؤسسوا جمعيات نسائية، ومدارس إرسالية للبنات، على نسق المدارس التي أسسوها للذكور؛ وأن يوجهوا عناية لفتح المدارس الداخلية، لأن فرص التأثير فيها أكثر، وأن يشجعوا التعليم المختلط، وأن يقيموا الأندية النسائية والمخيمات الكشفية النسائية، ثم ما زالوا يتدرجون في كسر الحواجز بين الذكور والإناث، حتى شاعت المجتمعات المختلطة بين المسلمين والمسلمات بتأثير العدوى.

http://kotob.has.it

وصفق المستشرقون والمبشرون كثيراً، حينما فتحت المرأة المسلمة أبوابها، ونزعت عنها حجابها الشرعي.

إذن لقد بدأ عملهم الحقيقي كي يبثوا ما يريدون بثه من تعاليم. وحين سمع القسيس الدكتور «صموئيل زويمر» قطب التبشير الصليبي الشكوى من استعصاء المسلم على المبشرين، وعجزهم عن التأثير في قلبه، قال إنه ليس غرض التبشير التنصير فقط، ولكن أقصى ما يجب على المبشر عمله هو تفريغ القلب المسلم من الإيمان بالله، ثم قرر لهم أن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم بكل الوسائل الممكنة، لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه عن مقومات دينه.

ويستخدم المستشرقون والمبشرون الأعداء الغزاة، المرأة في الاستيلاء على غرائز مجموعات من شبان الأجيال المتتابعة في البلاد الإسلامية، وقد فعلوا ذلك منذ بدء النهضة العلمية والصناعية الحديثة التي تولى الأوروبيون قيادتها في العالم.

وبعد تملك غرائز الشبان عن طريق النساء، يتمكنون من التلاعب بأفكارهم وعقائدهم، وبسلوكهم الإسلامي، وبإخلاصهم لأمتهم وبلادهم، وبسائر أخلاقهم الشخصية والاجتماعية.

وقد أحكم قادة الغزو، سياسة الغزو الخلقي والسلوكي للشعوب الإسلامية عن طريق الكوافر والعواهر، وتدفق سيلهن من أوروبا إلى معظم البلاد الإسلامية؛ بأسماء وصفات شتى، علمية وفنية، وتجارية وصناعية وحتى خدم؛ والغزو باق حتى اليوم؛ وامتزجن بالأسر الإسلامية، وسهلن سبل الفاحشة للرجال والمراهقين خاصة. وسرى الداء في الأسر الإسلامية، لأن عوامل الانحدار أقوى من عوامل الارتقاء في الأمم، إذ أن عوامل الانحدار تؤازرها غرائز النفوس وشهواتها، وتدفع إليها شياطين الإنس والجن، بينما عوامل الارتقاء الأخلاقي لتقف دونها عقبات تطالب النفوس باقتحامها، وتحتاج إلى قوة إرادة، ومؤازرة جماعية، وسلطان ذي بأس إلخ.

http://kotob.has.it

وانهارت مقاومة كثير من الأسر الإسلامية، المعتزة بأخلاقها والمتمسكة بعفافها، واندفعت بتيار تقليد الوافدات بلبس الأزياء الفاجرة. ورأت الفتاة المسلمة إفتتان الشبان بالمظاهر الخادعة التي تبرز بها الكوافر الفواجر، فتحرك فيها الدافع الفطري، فجرت في سباق مع وافدات الفتنة والفساد لتعيد بزعمها ما فقدته من إعجاب الرجل بها. وبسرعة غير عادية فقدت معظم العواصم في بلاد المسلمين طابعها الإسلامي المحتشم، الذي تفرضه التعاليم الربانية، والأخلاق الإسلامية، وحسرت المرأة فيها حسوراً مستنكراً عند عقلاء جميع الأمم والشعوب، وتحللت تحللاً ينذر بالانهيار السريع السحيق، والدمار الخطير، لأن هذا المنزلق الذي سارت فيه لا بد أن ينتهي بالأمم إلى مثل ما انتهت إليه أمم سابقة، ذات حضارات كبرى، من دمار شامل، حينما انهارت أخلاقها وفضائلها.

وتابعت عمليات الغزو الخطر أعمالها في الإفساد بعنصر النساء، واحتلت مجالات توجيهية كبرى في معظم بلاد المسلمين، وفقد المسلمون معظم مراكزهم التوجيهية فيها، فكان مما احتله هؤلاء الغزاة المجالات التالية:

أولاً: مجالات التربية والتعليم والثقافة على اختلاف أنواعها وأشكالها:

لقد بدأوا بتعليم الفتاة المسلمة وتربيتها، طبق الأسس التي وضعوها لإفسادها. لقد أمسك هؤلاء المفسدون زمام تعليم الفتاة، داخل معظم البلاد الإسلامية، وفرضوا على الفتيات والفتيان خطتهم التعليمية التربوية المشحونة بقسط كبير من المفاهيم الدينية والخلقية والسلوكية المنافية لتعاليم الإسلام، تحت ستار التحضر والعلمنة. وللأسف دفعت كبريات اوسر الإسلامية [ولا تزال] فتياتها وفتيانها إلى ميادين العلم والثقافة التي تديرها سراً أو علناً إرساليات تبشيرية معادية للإسلام.

وتقاعس بعض المسلمين، وتهاونوا بإنشاء مدارس للذكور والإناث مسايرة للأساليب التعليمية والتربوية الحديثة، مع المحافظة على العقائد الدينية، والأخلاق، والآداب، وسائر التعاليم الإسلامية.

واستطاعت هذه المدارس الإرسالية أن تقنع الفتيات المسلمات اللواتي

http://kotob.has.it

تعلمن فيها، بأن التقاليد، والعادات، والأخلاق المنافية لتعاليم الإسلام، والمستوردة من الغرب، أمور جد حسنة، ينبغي الأخذ بها، وأن تنظر إلى جميع التعاليم الإسلامية والآداب، والأخلاق الإسلامية، نظرة مجافاة في التطبيق، أو ازدراء في النفس لأنها متخلفة ورجعية وبالية لا تصلح للعصر الحاضر. وتطور الأمر حتى أصبحت الفتاة تنظر إلى أسس العقيدة الإسلامية مثل هذه النظرة، ولم تعد تتمسك بفروض الإسلام، وفقدت بواعث عفتها، وأخذت تتبرج تبرج الجاهلية.

وتخرجت هؤلاء الفتيات المسلمات على أيديهم، وهن مثقلات بالمفاهيم المنحرفة التي أملوها عليهن، ومنطبعات بالعادات التي ربوهن عليها، منذ مرحلة الروضة والابتدائي، والتكميلي، والثانوي وحتى نهاية المرحلة الجامعية التي حملن بها شهادات العلم والتعليم والتربية الفاسدة للأجيال القادمة.

ونظر شباب المسلمين إلى سيل الفتنة المتدفق في الشوارع والأندية والمدارس والجامعات المختلطة، فأقبل نحوه بدافع الغريزة، وزهد بطلب الحلال، وعزف عن الزواج، وشك بسلوك كل أنثى، وزهد حتى المتزوج بالحلال الذي يسرَّه الله له.

ثم سرى الداء إلى غير المثقفات، فظنن أن تقدم المرأة وعلمها وثقافتها، تعني خروجها متهتكة سافرة، متحللة من جميع القيود الدينية والخلقية، فأخذن يتسابقن في التهتك وإفساد المجتمعات، زاعمات أنهن يسرن في طريق صاعدة، ولم يدركن أنه صعود نحو الهاوية؛ وقد زاغت أبصارهن ببهرج الحياة الجديدة السامة القاتلة، حيث السم القاتل، مدفون في مظهر الغذاء الطيب الدسم.

ثانياً: مجالات الفنون المختلفة:

ومنها الفنون الجميلة وما يتصل بها، وبزينة المرأة وفتنتها وإغرائها للرجل، وجنَّد الغزاة كل الوسائل الممكنة ومنها: الخيالة (السينما)، والمسارح، وكتابة القصة، والتاريخ، وعلم النفس، والاجتماع وغيرها، إلى جانب المجلات والصحف، والإذاعة، والمرناة، وسائر وسائل الإعلام. وقبضوا على نواصي هذه

http://kotob.has.it

الـوسائـل قبضاً محكمـاً، وهان على المـرأة المسلمة أن تعـرض مفاتنهـا للرجـال الأجانب.

ثالثاً: مجالات الصناعة والتجارة:

حيث استخدموا وسائل كثيرة منها توجيه الجهود لتصميم الأزياء الكفيلة بإغراء المرأة وفتنتها، والتفنن في ابتكـارات مواد زينـة النساء، واستـدراجها إلى مـواقف التحلل من ضوابط السلوك الإسلامي، والإخلاق الفاضلة الكريمة.

وقد استطاع الغزاة الغربيون استثمار أرباح ضخمة جـداً من أموال الشعـوب الإسلامية في كل هذه المجالات التي غزوها، فضلاً عن أهدافه الرامية إلى هـدم أبنية وصروح الفضائل الخلقية والسلوكية داخل المجتمعات الإسلامية.

رابعاً: فتنة الاختلاط:

كان الخلط بين الفتيان والفتيات في معاهد العلم، من الأسباب الكبرى التي هدمت حصناً عظيماً من حصون الأخلاق والآداب الإسلامية، في المجتمعات التي انتشر فيها هـذا الخلط، وأخذ المستشـرقون والغـرب عامـة، والمفتونـون بحضارة الغرب الزائفة من أبناء العرب والمسلمين، يزينون الاختلاط ويحسنونه، ويصطنعون لـه المبررات الخـادعة، ضمن أطـر علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التـربيـة الجنسية إلخ. وهذا خطير جداً لا سيما في فترة المراهقة التي تتفتـح فيها الغـريزة الطائشة الرعناء، مع البعد عن دراسة العلوم الإسلامية، وضعف الوازع الديني في القلوب.

وتـطلعت الأجيال الحـديثة إلى تقليـد الحياة الأوروبيـة بمجونهـا ورذائلها، وممارسة اللذة المحرّمة، وعدم اعتبار العفة من فضائل الأخلاق.

وسرى داء الاختلاط العـام بين الرجـال والنساء في مجتمعـات الأسر، وفي الحفلات العامـة والخاصـة، وأعياد الميـلاد المبتدعـة، وفي نوادي التسليـة والفن والثقافة والرياضة، وفي المسابح العامة؛ ورافق الفن والريـاضة والسبـاحة العـري

http://kotob.has.it

الكامل أو شبهه، وسرى داء التهتك إلى مختلف المجامع، وتسابقت النساء في اتخاذ وسائل الإغراء، وأخذت تنهار مقاومات الأفراد والجماعات.

وتعِدُّ هذه المجتمعات المختلطة، الثياب الفاخرة التي تبذل فيها الثروات الكثيرة، ولا يجوز ارتداء الثوب الواحد في اجتماعات متعددة للتفاخر. كما أن تصنيع الشعور والوجوه والأجساد وفق أحدث المبتكرات وعند أمهر ذوي الفن، من الأمور الضرورية كالماء والهواء للحياة.

ويلاحظ في هذه المجتمعات المختلطة المترفة الماجنة، أن بذل الأموال الضخمة على موائد الترف والخمر والقمار من الأمور الهينة المعتادة. كما حاربت هذه المجتمعات حجاب المرأة المؤمنة، ولباسها الشرعي بشتى الوسائل والافتراءات، والسخرية، ووصفتها بالرجعية.

وتبلَّدحسّ النخوة والغيرة والرجولة في هذه المجتمعات المختلطة الماجنة، وأمست مناخات ملائمة لتجديد الهوى والاعجاب، والتنقل في اللذات إلخ. وكل ذلك خطر كبير، يفقد الأمة الإسلامية مقومات وجودها التي تؤهلها للصعود عند كل أزمة من أزماتها الداخلية والخارجية.

ويظن الطائشون الغافلون أن الانطلاق من القيود الدينية، والتحرر من الشرائع الربانية والفضائل الخلقية، سبيل من سبل التقدم الذي أحرز فيه كل من الشرق والغرب السبق في العلوم المدنية وفي الصناعات؛ مع أن الحقيقة بخلاف ذلك. فلقد كان العقلاء المنصفون في كل من الشرق والغرب يتخوفون من المصير المدمِّر الذي تسير في طريقه أجيالهم الحديثة، بتحللها من ضوابط الأخلاق الشخصية والاجتماعية، واستهانتها بالفضائل الإنسانية، ويعتبرون الإباحية التي أخذت تشيع في مجتمعاتهم نذير الانهيار الخطر والدمار الشامل.

والواقع أننا نرى اليوم نتيجة تمدن المجتمع الغربي الزائف. فها هي المخدرات بكل أنواعها تصرع الملايين منهم [والحمد لله]، والسيدا [الإيدز] أي مرض عدم المناعة سيقضي على البقية الباقية منهم بحول الله وقوته. وهذا في

http://kotob.has.it

الـواقع نتيجـة المجـون، والفجـور، والإبـاحيـة، والتهتـك، والتخلي عن مكـارم الأخلاق، الذي تتمتع به مجتمعاتهم؛ كما أنه نتيجة فجور المرأة المتحررة من كل قيد عندهم.

فهؤلاء القـوم قد وصلوا إلى مـرحلة من الإنحطاط في تفكيـرهم وسلوكهم، سيؤدي بإذن الله تعالى قريباً إلى إنهاء وجودهم كله. لأنه ما من أمة انتشرف فيها هذه الفـواحش بهـذا الشكـل العلني، إلا عمهم الله بعـذاب من عنـده، وإلا انتشـرت الأوجاع والطواعين فيهم، كما ذكر ذلك النبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. فها هي الأمراض الجنسية تنتشر في أوروبا وأمريكا انتشار الهشيم. فعدد الإصابـة بالسيلان في الولايات المتحدة، ثلاثة ملايين حـالة سنـوياً، وعـدد حالات الهـربز (الهربس) قد جاوزت عشرين مليوناً؛ في كل عام نصف مليـون حالـة جديـدة من الهربز الجنسي، والزهري ظهر مرة أخرى، وهناك نصف مليـون حالـة جديـدة في الولايات المتحدة كل عام، والكلاميديا والميكوبلازما تصيب ما بين خمسة إلى سنة ملايين كل عام في الولايات المتحدة. وضحايا الإيدز (الرعب الجديد) أو طاعون العصـر في ازدياد؛ وقـد مات من هؤلاء أكثـر من ستة آلاف، بينهم مجمـوعـة من المشهورين، ومن أشهرهم الممثل المشهور «روك هدسون» صديق «ريجان» رئيس أمريكا السابق... وتقدر دائرة مكافحة الأمراض المعدية في جورجيا في الولايات المتحدة، أن عدد من يحملون فيروس (جرثومة) الإيدز ربما جاوز نصف مليون عام ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، وتشيـر دوائر مكـافحة الأمـراض المعديـة في جميع أنحـاء العالم، وبعد إحصاءات دقيقة لكل مناطق العالم، إن حوالي نصف العالم، سيصبح مهدداً بالإبادة بطاعـون العصر (الإيـدز)، حوالى عـام ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م ما بين مصاب بفيروس المرض وضحية له[1].

لقد أصبح هؤلاء القوم كالكلاب الضالـة المسعورة، تلهث وراء الجنس في أي مكان... بل إن الرابطة بينها وبين الكلاب وثيقـة كما ذكـرت دائرة المعـارف

(١) عن هذا المرض الخطير راجع محمد عبد الله العقيمي: ايدز ٨٦، ص ٦ وما بعدها.

http://kotob.has.it

البريطانيـة عام ١٩٨٢ في مجلدهـا رقم ١٦ ص ٦٠٧ بقولهـا: «. . . وفي مسارح أمستردام وغيرها من عواصم أوروبا تقوم العاهرة بخلع ملابسها أمام الجمهور قطعة قطعة، وهو ما يعـرف بعرض الاستـربتيز ثم يجـامعها كلبهـا الضخم أمام الأضـواء الباهرة والموسيقى الصاخبة والجمهور يتفرج»؟؟؟.

وفي حدائق واشنطن ونيويورك ولندن وباريس وڤينـا وجنيف الآن تنتشر كـل مظاهر الفسق، التي تنتهي عادة بممارسة جريمة الزنا؛ ويبدو أن هذه الفعلة الدنيئة لا تمثل للشبان والفتيات هناك أدنى حرج ولو ظاهري أمام المارة من آبـاء وأمهات وأطفـال. وقـد حـذّر رسـول الله ﷺ أفـراد المجتمـع الإسـلامي من تفشي كـل الممارسات التي تبعـد بالفـرد عن نطاق الإنسـانية إلى نـطاق البهيمية، فقـال عليه الصلاة والسلام: «لا تقوم الساعة حتى توجد المرأة نهاراً تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد فيكون أمثلهم، يومئذ الذي يقول لو نحيتها عن الطريق قليلاً». لذلك فإن الحال في أوروبا وأمريكا الآن ينطبق عليه قـول الرسـول الكريم ﷺ: «إذا اقتـرب الزمان لأن يربي الرجل جرواً خير له من أن يربي ولداً لـه. . . لا يوقـر كبيرهم ولا يرحم صغيرهم، ويكثر أولاد الزنا حتى أن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب».

لـذلك وجب على المسلمين المحـافظة على المـرأة المسلمة في مجتمعهم لحمايتها وصونها من الموبقات بالعودة إلى الدين الحنيف.

والمـرأة المسلمة المؤمنـة العاقلة التي تخشى الله تعـالى والدار الآخـرة، لا تنطلي عليها خديعة التحضر والتمدن الزائفين، بل تنـظر إلى أوامر الله تعـالى التي توجب عليها الستر، وتعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى، لم يأمرها بذلك عبثاً وهـو العلي العـظيم، العلي الحكيم، ولم يكلفهـا التمسـك بـالحجـاب والعفـاف والشرف وتعاليم الدين الحنيـف، ليلقيها في العنت أو الحرج، وإنما شـرع لها مـا شرع ليكون أطهر لقلبها، وأحصن لشـرفها، وأبعـد لها عن الأذى وأقـوم للمجتمع كله، وأكثر صيانة له من الفساد.

إن المرأة المسلمة العاقلة المدركة، تقرأ في كتاب الله جل وعلا، آيات العفة

http://kotob.has.it

والستر، فتسرع إلى تطبيق ما جاء فيها راضية بما رضي الله لها، لتنال عنده الأجر العظيم. إنها تقرأ قول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿**يا أيها النبي قلا لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً**﴾(1) وقوله تبارك وتعالى جلت قدرته في سورة النور: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾(2).

وقوله تعالى جلت قدرته: ﴿**وقَرْنَ في بيوتكُنَّ ولا تبرَّجْن تبرُّج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطِعْن الله ورسوله. .**﴾(3).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**﴾(4).

إن المرأة المسلمة المؤمنة بوجود الخالق العظيم جل وعلا تقرأ أوامر الله تعالى لها، فتقف عند شرعه وحكمه لا تجادل ولا تماري، وتنفذ قوله تبارك وتعالى: ﴿**إنما كان قولَ المؤمنين إذا دعو إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون. ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتَّقِه فأولئك هم الفائزون**﴾(4). وتطيع المرأة المسلمة المؤمنة أمر الله تبارك وتعالى، وهي تعلم أن

---

(1) سورة الأحزاب، آية ٥٩.

(2) سورة النور، آية ٣٠ ـ ٣١.

(3) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

(4) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

http://kotob.has.it

ذلـك هو الخيـر لها وللمجتمـع الإسلامي كله، ولن تعبأ بالخـديعـة التي يحـاول المستشرقون وغيرهم من أعداء الإسلام نشر فكرتها بين المسلمات، ليخرجوهن من معـاقل عفتههن، ويقـذفوهن إلى مجـامع الفتنـة والشـر والفسـاد في هـذه الأرض الفانية[1]. يقول تبارك وتعالى جلّت قدرته: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيـدمغُهُ فإذا هو زاهق﴾[2].

وأخيراً أقول بصدق إن كل خروج على حدود ما جاء به الإسلام نحو المرأة، سيقابل من علماء الأمة وعقلائها، من جيلها المؤمن الصالـح، من نسائهـا وبناتهـا الفضيلات الكريمات، بالرفض والإعراض والمحـاربة، لكـل من يحمل لـواء مثل تلك الدعوة الآثمة.

(١) سورة النور، آية ٥١ - ٥٢.

(٢) للتوسع عن محاولات إفساد المرأة المسلمة راجع: حبنكة ص: ٧٠ - ٤١٥. محمد محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ٢ ص ٢٤٨ ص: ٢ وبعدها. غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٤٣١ وما بعدها. نجا: لمع من حضارتنا ص ٢٤٢ وما بعدها.

Tony Tanner: Adultu in the novel, p: 12 etc.

David lith: The Erotic in literature, p: 155 etc.

(٣) سورة الأنبياء، آية ١٨.

http://kotob.has.it

الاستشراق واللغة العربية الفصحى

١ ـ أهمية اللغة العربية:

تمثل اللغة في الأمة الناطقة بها الصورة التعبيرية الثابتة لثرواتها الدينية والفكرية والحضارية، فهي تعبر عن مشاعر الأمة وآدابها ومنتجاتها. والواقع أن معرفة الحقائق الدينية، سواء كانت تشريعاً عملياً، أو أخلاقاً وآداباً، أو حتى أفكاراً ومبادىء عقلية أو وجدانية وغيرها؛ لا بد أن يملي عليها ألواناً أخرى من المفردات والصيغ التعبيرية الدينية، التي تستوعب المعاني المرادة، وتدل عليها دلالات صحيحة.

هذه الصيغ التعبيرية المؤلفة من حروف الهجاء، والمفردات، والجمل، والقواعد، والأساليب البيانية، هي التي تتكون منها لغة الأمة التي تنطق بها، وتعطي صورة حالية عنها، وصورة ثابتة عن تاريخها فاللغة هي الجزء المشترك من كيان الأمة، وهي الوطن المعنوي الواحد لحركة اللسان المعبر عن حركة الفكر والنفس والوجدان.

لذلك لجأ الباحثون إلى اللغة، ليستنبطوا منها خصائص أمة من الأمم، كلما عجزت الدلائل الأخرى أن تعطيهم صورة صحيحة عنها؛ فرقي لغة من اللغات عنوان رقي الأمة الناطقة بها، كما أن انحطاط لغة من اللغات عنوان انحطاط الأمة الناطقة بها؛ والثروة الدينية والعلمية والثقافية التي تقدمها لغة من اللغات، متمثلة

http://kotob.has.it

فيما انتجه الفقهاء والعلماء والمثقفون الناطقون بها، أعظم مجد يتمتع به تاريخها الذي يكسو الأمة، صاحبة هذه اللغة بحلل من المجد الديني والعلمي والحضاري.

ولدى البحث المقارن في تاريخ اللغات العالمية نلاحظ أن للعربية الفصحى أكبر نصيب عرفته لغة واسعة الإنتشار في العالم، منذ فجر التاريخ حتى اليوم؛ تشهد بذلك تلك الكنوز الحضارية الدينية والمدنية والعلمية والثقافية، المنبثة في المكتبة الإسلامية العربية، الجامعة لآلاف الألوف من المؤلفات الضخمة النافعة، في شتى العلوم، ومختلف الفنون والآداب، والتي يقع في منزلة الرأس منها كتاب الله المنزَّل، ثم من دونه كلام الرسول العربي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه، ثم تأتي ذخائر الكتب النفيسة الهائلة، التي تستطيع أن تتوج الأمة الإسلامية والعربية بتاج المجد العظيم بين أمم الأرض.

ويبدو أن جيوش أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين والمفتونين بزيف الحضارة الغربية، المسلحين بالأسلحة الحديثة المفتونة بدهاء ومكر شديدين، قد أدركوا جميعاً وبكل تأكيد أن الشعوب الإسلامية، ما دامت على صلة وثيقة باللغة العربية، فإنها ستظل مرتبطة بالإسلام الحنيف، الدين الحق، وبالقرآن الكريم كلام الله جل وعلا، وستظل متمسكة بفكرة الوحدة الإسلامية الكبرى؛ فهدم اللغة العربية الفصحى، ليس إلا هدماً للإسلام في لغته التي يتعبد بها المسلمون، والتي ألَّف الله عليها قلوبهم أجمعين. فالقرآن الكريم، هذا الكتاب المعجز، الذي أوحاه الله جل وعلا عن طريق رسول الوحي جبريل عليه السلام، على خير ولد آدم محمد ﷺ، نزل بلسان عربي مبين، ولولاه لدرست اللغة العربية الفصحى، وانقرضت كغيرها من معظم لغات العالم. والمشكلة التي تقلق هؤلاء وغيرهم من أبناء الغرب ومن لفَّ لفيفهم، وتقضّ مضاجعهم: كيف يصلي المسلمون ويؤذنون خمس مرات في اليوم بلغة واحدة؟!. كيف يقرأ الهنود، والأتراك، وأهل باكستان، واندونيسيا، وماليزيا... وغيرهم من المسلمين الغربيين من الإنكليز والفرنسيين والأمريكيين... وغيرهم من المسلمين في مختلف بقاع العالم... كيف يقرأ

http://kotob.has.it

هؤلاء جميعاً القرآن الكريم، بلسان عربي مبين؟!.. بل كيف يحفظ هؤلاء الأعاجم القرآن الكريم عن ظهر قلب، ويدرسون علومه وتلاوته للعرب؟!.

كما يستولي على هؤلاء وهم مفزع من خطورة الوحدة الإسلامية، انظر إلى قول المستشرق جب: «إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة. فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً، قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الإسترابة في أمرها. فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد»[1].

ولا يحتاج القارىء إلى ذكاء أو دهاء، لكي يدرك إن الإسلام هو العدو الأكبر للغربيين، وأنه هو شغلهم الشاغل، الذي تحاك الخطط وتدبَّر المكائد، لحصره والتضييق عليه، وطرده من الحياة كلها. ومعنى ذلك إنه لن يقر للمستعمرين قرار في بلادنا الإسلامية والعربية، ولن يحققوا أهدافهم إلا إذا وجهوا ضربة قاصمة **للفصحى** لغة القرآن الكريم[2].

لذلك أخذ هؤلاء الأعداء يوجهون كل قواهم وبشتى الوسائل الممكنة، لصد الشعوب الإسلامية عن اللغة العربية الفصحى، وتشجيع أبناء الشعوب الإسلامية، على أن تكون لغاتها المحلية، ولهجاتها الإقليمية العامية، البعيدة كل البعد عن اللغة العربية الفصحى هي اللغات المستعملة في كتاباتها المتنوعة في العلوم والفنون والآداب والمعاملات وغيرها؛ وتشجيعها أيضاً على هجر رسم الكتابة العربية، ووضع الحروف اللاتينية موضعها، أو إحداث رسم جديد بعيد عن الرسم العربي، الذي يضم نفائس الثروات العربية الإسلامية في شكله المختصر الجميل.

إن هؤلاء الأعداء يريدون تفريق المجتمعين عليها بمختلف الوسائل والحيل والأساليب تحت ستار من الرغبة في الإصلاح، وفي مسايرة الزمان. فالخطط المدبرة

---

(١) Gibb: whither Islam p: 365.

(٢) للتوسع: راجع: حبنكة: أجنحة المكر ص ٣٤٦ وما بعدها؛ محمد محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ ٢ ص: ٢٢٠ وما بعدها. محمد سرور: دراسات في السيرة ص: ١٨٣ وما بعدها. نفوسة زكريا: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ص ١٠ وبعدها.

http://kotob.has.it

تهدف إلى محاربة الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية الفصحى بدعوات معسولة مسمومة تتناول أولاها اللغة، فيطالب بعضها بالتحول عنها إلى العامية، ويطالب بعضها بإصلاح قواعدها؛ وبعضها بإصلاح الكتابة عن طريق إصلاح قواعدها، أو يدعو بعضها الآخر للتحول عنها إلى الحروف اللاتينية، كما تتناول الدعوات الأدب العربي، فيدعو بعضها إلى العناية بالآداب الحديثة، وما يتصل منها بالقومية خاصة، ويدعو بعضها الآخر إلى العناية بما يسمونه «الأدب الشعبي»، ويقصدون به كل ما هو متداول بغير العربية الفصحى، مما يختلف في البلد الواحد، باختلاف القرى ويتعدد البيئات. فهل المسلمون والعرب على بصيرة مما يدبّر ضدهم، فيحذرون من خطط أعدائهم وأعداء دينهم.

٢ ـ الإستعمار الغاشم ومحاربته للعربية الفصحى في ديارنا الإسلامية والعربية[١]:

منذ دخل الإستعمار البلاد الإسلامية والعربية، ودوائره على اختلاف اتجاهاتها السياسية تعمل على محاربة اللغة العربية الفصحى بمختلف الوسائل، بغية إبعاد شعوب هذه البلاد عن مصادر الشريعة الإسلامية، وفي مقدمتها القرآن الكريم، والسنّة المطهّرة، ثم كتب التفسير والفقه، ومن ورائها سائر كتب العلوم الإسلامية والعربية، وذلك في خطتها لمحاربة الإسلام، وهدم وحدة المسلمين. ويقوم اليهود في فلسطين الحبيبة المحتلة، وأجراؤهم في غيرها، بالدور نفسه الذي قامت به الدول الإستعمارية.

لقد جعل المستعمرون ومعهم المستشرقون والمبشرون، لغتهم الأجنبية في إرسالياتهم في البلاد الإسلامية والعربية لغة إجبارية منذ المرحلة الإبتدائية حتى المرحلة الجامعية فما فوق ذلك، واعتبارها هي اللغة الأولى في البلاد، مع إهمال

---

(١) للتوسع راجع حبنكة: أجنحة المكر ص ٣٤٨ وما بعدها؛ حسين: الإتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٦٨ وما بعدها.

http://kotob.has.it

اللغة العربية، بدعوى أنها لغة وطنية لا تحتاج إلى تعليم واسع، وهم يخلطون في هذا الكلام بين اللغة العامية المنتشرة في البلاد، وبين اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهَّرة، ولغة العلوم العربية على اختلافها؛ لتنطلي الحيلة على الأهالي من أفراد الشعب السذج، وغايتهم إنه بعد عقود من السنين، ينشأ جيل ينطق بلغة المستعمرين، كما ينطق بها أهلها، أما اللغة العربية الفصحى فتصبح لغة منسية أو شبه منسية؛ حتى إذا أراد أحدهم أن يتكلم بها، أخذ يرطن فيها كما ترطن الأعاجم والأجانب، متعثراً بالحرف وبالكلمة وبالصياغة والتركيب.

والخطر الخفي الذي يكمن من وراء هذه الدعوة أيضاً، هو غايتهم في تنشئة جيل جديد من أبناء المسلمين والعرب لا يستطيع أن يتذوق أساليب البيان العربي الأصيلة، ولا يحلو في اذنه وفي ذوقه إلا أساليب البيان الغربي وموضوعاته. فإذا نفر الشباب من أسلوب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف؛ ومن شعر النابغة الذبياني وعنترة وأبي فراس وأبي تمام، وانصرف عنه، ثم عجز عن تذوقه وفهمه؛ فقد حكمنا على تعاليمنا الدينية السمحة، وعلى تراثنا العربي الأصيل بالكساد ثم بالموت. وإذا انقطعت صلتنا بكل ذلك، أمكن أن نقاد إلى حيث يراد بنا، وإلى حيث لا تجمعنا بعد ذلك جامعة تجعل مناقوة تخيف الكائدين، وتأبى على الطامعين.

وقد حصل هذا في بعض الدول العربية والإسلامية، التي كانت تحت ظل الإستعمار الغاشم، في مطلع هذا القرن، حيث أصبحت أكثر أجيالها لا تحسن النطق إلا باللغة الأجنبية التي فرضتها عليها الدوائر الإستعمارية، بوسائلها التي تتسم بطابع الإكراه المباشر أو غير المباشر، مثل أبناء بلاد المغرب الغربي كتونس والجزائر والمغرب، وبعد ذلك فلسطين الحبيبة المحتلة.

وقد نجم عن ذلك ابتعاد هذه الأجيال إبتعاداً كبيراً عن مصادر الشريعة الإسلامية، حتى صار أحدهم، وهو العربي الأصيل، لا يحسن تلاوة سورة من القرآن الكريم، ولا يحسن قراءة حديث من أحاديث الرسول العظيم ﷺ، أو كتاب

http://kotob.has.it

باللغة العربية، أو حتى قصيدة من الشعر العربي، مهما كانت مفرداتها سهلة لينة مستساغة.

والحمد لله رب العالمين، إن الله العلي القدير قد أنقذ هذه البلاد المغربية، وأخذت استقلالها، وها هي تعود إلى الوطن العربي والإسلامي؛ وعادت اللغة العربية الفصحى ترفرف بالمغرب العربي بجناحيها الديني والعلمي؛ وفلسطين الحبيبة الغالية ستعود أيضاً بحول الله تعالى بهمة أبنائها الأشاوس وأبطال الحجارة والمجاهدين، وسيعود المسجد الأقصى أولى القبلتين وثاني الحرمين الشريفين.

ويمكننا تلخيص خطة المستعمرين والمستشرقين والمبشرين لصهر الشعوب المغلوبة بالشعوب الغالبة بما يلي:

١ - جعل التعليم بلغة الشعب الغالب المستعمِر إجبارياً، في مختلف مراحل التعليم، ولجميع المواد التعليمية.

٢ - جعل لغة المستعمرين هي اللغة الرسمية لدوائر الدولة المغلوبة ولدواوينها، وكذلك يفعل اليهود في فلسطين الحبيبة المحتلة حتى اليوم.

٣ - حصر الوظائف والأعمال بالذين يتقنون لغة المستعميرين. وتتبع دولة إسرائيل هذه الخطة مع الشعب العربي في فلسطين الحبيبة المحتلة حتى اليوم.

٤ - إهمال اللغة العربية التي هي اللغة الأساسية للبلاد إهمالاً كلياً أو شبيهاً به، أو جعلها في المراحل الأولى للخطة، لغة ثانية لا لغة أولى؛ ثم التخفيف من شأنها شيئاً فشيئاً، حتى تصل إلى مرحلة الإهمال الكلي؛ وهذا ما يجري في الإرساليات التعليمية في البلاد الإسلامية والعربية حتى اليوم.

٥ - التنفير من اللغة العربية، بإثارة عبارات الإستهزاء منها، ومن قواعدها، والإستهانة بها، مع الترغيب بلغة المستعمرين؛ عن طريق تزيينها في النفوس، وتوجيه الدعايات المختلفة لعلومها وفنونها وآدابها؛ وربط المنافع الإقتصادية والعلمية والسياسية والصلات العالمية بها.

إلى غير ذلك من وسائل أخرى، يستخدمها هؤلاء الأعداء، لصهر ما يريدون

http://kotob.has.it

صهره من الشعوب صهراً كلياً، ليفقد المسلمون بذلك كل كيانهم الأصلي الشامل، وخاصة الديني واللغوي والتاريخي. ومهمة المسلمين في ذلك تتجلى بالحرص على وحدتهم الدينية واللغوية التي تمثلها اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ولغة الأمجاد الإسلامية والعربية العظيمة.

٣ ـ نظرة تاريخية إلى حركة التحويل عن الفصحى وفشلها:

من المستشرقين الأول الذين شجعوا على الكتابة بالعامية داخل البلاد العربية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ المستشرق الألماني العفن «د. ولهلم سبيتا» الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية عهد الإحتلال الإنكليزي في مصر الإسلامية. لقد وضع عام (١٢٩٨ هـ/ ١٨٨٠ م) كتاباً سماه «قواعد اللغة العربية العامية في مصر». والكتاب كله سموم؛ فقد أورد في مقدمته نبذة عن فتح العرب لمصر عام (١٩ هـ/ ٦٣٩ م) ونشر العربية فيها، وقضائها على القبطية؛ محاولاً بذلك إثارة النعرة العنصرية العرقية لمصر ضد اللغة العربية؛ واختتم المقدمة بشرح فكرته المدسوسة وهي اتخاذ العامية المصرية لغة أدبية، مؤيداً فكرته بأدلة باطلة، تارة بالنيل من العربية الفصحى وصعوبة قواعدها، وطريقة كتابتها، وأخرى بإعلاء شأن العامية، وبذله الجهد الكبير لاستنباط قواعد لتنظيمها، لتصلح للإستعمال الكتابي. وحاول أن يقدم المبررات التحذيرية التي ظن أنه قد يرضي بها الشعور الإسلامي بقوله «إن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى ستظل كما هي في كل مكان»؛ وهو بذلك يحاول ذر الرماد في العيون.

والحقيقة التي يعلمها هذا المستشرق العفن «سبيتا» هي بخلاف ذلك، فهو واثق أن العامية إذا انتشرت انتشاراً واسعاً وأبعدت لغة القرآن الكريم عن الإستعمال، لأمست لغة القرآن الكريم، بعد قرون، لغة مجهولة تماماً داخل الشعوب العربية والإسلامية قاطبة؛ ولأصبحت العربية الفصحى شبيهة باللغات اليونانية أو اللاتينية أو السريانية غير المفهومة. لأن اللغة العربية الفصحى هي اللغة المشتركة الجامعة التي تتفاهم بها جميع الشعوب العربية، مهما تباينت لهجاتها

http://kotob.has.it

المحلية، ولو أن الشعوب العربية قد أخذت بنصيحته المخادعة الكاذبة، لكانوا اليوم أشتاتاً ليس لهم لغة جامعة.

ب ـ أواخر عام ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨١ م إقترحت صحيفة «المقتطف» كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة، ودعت رجال الفكر إلى بحث الإقتراح ومناقشته. وصحيفة «المقتطف» كشقيقتها «المقطم» تعملان لحساب الإنجليز في مصر بكل صراحة، وتؤيدان المحتل الإنجليزي وتصورانه في صورة إنسانية رفيعة(١).

ج ـ وأيد المستشرق الألماني «سبيتا» اللورد «دوفرين» في تقرير وضعه عام (١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٢ م) دعا فيه إلى هجر العربية الفصحى، وإحلال العامية المصرية مكانها في بناء منهج التربية والتعليم والثقافة وغيرها.

د ـ ومن الذين قرعوا ناقوس الخطر لبني قومه المستشرق «أرنولد توينبي» [١٣١٧ ـ ١٣٥٠ هـ/ ١٨٦٦ ـ ١٩٣٠ م] في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» حيث حاول فيه تجاهُلْ ذكر المعجزات التي أكرم الله بها نبيه محمد ﷺ وأنكر بعثة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك أنكر أن يكون القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى نزل به الروح الأمين. ثم عبّر عن تخوفه من لغة القرآن الكريم في كتابه «الإسلام والغرب» فقال: «إن هناك بلاداً إسلامية، عربية اللغة، وإذا كانت لغة التخاطب تختلف حسب المناطق [يعني اللهجات واللغات العامية]، فإن اللغة الفصحى واحدة من شواطىء الخليج، ومن حلب والموصل شمالاً، حتى الخرطوم وعدن ومسقط وزنجبار جنوباً. جميع الكتب والصحف الصادرة في القاهرة ودمشق وبيروت، تقرأ في هذه المنطقة الشاسعة كلها وحتى خارجها، لأن اللغة العربية، هي اللغة الدينية، لجميع البلدان الإسلامية».

هـ ـ وإذا كان أسلوب «أرنولد» في طرح مشكلة اللغة العربية جاء هادئاً متزناً، فغيره من المبشرين والمستشرقين كانوا أكثر منه صراحة ووضوحاً.

---

(١) للتوسع راجع محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ ١ ص ٩٠ وما بعدها.

http://kotob.has.it

فالمستشرق والمبشر الإنجليزي الخطير «وليم ولكوكس» الذي كان مهندساً للري بالقاهرة في ظل الإحتلال البريطاني لمصر عام ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٣ م وتولى الإشراف على تحرير مجلة الأزهر عام ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٣ لمدة أشهر فقط، هذا المستشرق العفن، كان له نشاط ظاهر وتحمس غريب في بث الدعوة بين العرب والمسلمين إلى إقصاء اللغة العربية الفصحى عن ميدان الكتابة والأدب، وإحلال العامية الشائعة محلها. ففي خطبة ألقاها عام ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٣ م بعنوان «لِمَ لمْ توجد قوَّة الإختراع لدى المصريين الآن». وقد زعم فيها أن الذي سبّب انحطاط المصريين وعاقهم عن الإختراع والإبتكار، هو تقيد الناس في الكتابة والتأليف بالعربية الفصحى، ولم يربطها بالإستعمار الغاشم الجاثم على البلاد آنذاك. ونشرت المحاضرة [الغير قيِّمة] مجلة الأزهر عام ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٣ م وفيها خاطب المصريين بقوله:) «وما أوقفني هذا الموقف إلا حبي للإنسانية، ورغبتي في انتشار المعارف، وما أجده في نفسي من الميل إليكم، الدال على ميلكم إلي». والله لا أدري ما علاقة الفصحى بالإختراعات والتقدم، ولماذا كان أهل هذه اللغة الفصحى سادة الدنيا في جميع مرافق الحياة؟!.

بالله عليكم اقنعوني كيف يكون هذا المستعمر المستبد محباً للإنسانية والمعارف والأمة الإسلامية؟ ونعيد للأذهان ما قاله [جيفور دبلجراف] في كلمته المشهور: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»[1] ونحن نعرف إن هدف «ولكوكس» من الدعوة إلى العامية، هو القضاء على العربية الفصحى، ليحرم المسلمين من دينهم القويم، وتراثهم العظيم الديني والعلمي والأدبي، تنفيذاً للخطة الماكرة المكشوفة التي تهدف إلى طعن الإسلام في الصميم.

لم يكتف ولكوكس بنشر سمومه بالمحاضرات، بل نشر رسالة بعنوان: «سورية ومصر وشمال افريقية ومالطة تتكلم البونية لا العربية». والرسالة تزعم بأن

(١) للتوسع راجع كتاب الأستاذ محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار.

http://kotob.has.it

اللغات العامية التي ينطق بها هؤلاء هي اللغة الكنعانية أو الفينيقية أو البونية السابقة للفتح الإسلامي، ولا صلة لها بالعربية الفصحى. وهدفه من ذلك هو إثارة العصبيات القومية لهذه اللغات العامية ضد العربية الفصحى، ليتشجع سكان المناطق على اتخاذ لغاتهم العامية في كتاباتهم العلمية والحقوقية والأدبية؛ وبمرور الزمن تزداد الفروق اللغوية بينهم وبين الفصحى، فتنقطع صلتهم بها، وبذلك تنقطع صلتهم بمصادر الدين الإسلامي؛ ومع دسائس فكرية، ونفسية، وتاريخية، تتأصل عصبيات إقليمية ضيقة الحدود، تتحول بمرور الزمن، إلى عصبيات قومية، وعندها يستطيع المستشرقون أن يشحنوها بمقدار كبير من العداء والكراهية والتحدي وغيرها من عوامل الشقاق. وقد بلغ العداء بهذا المستشرق الحاقد مبلغه، فجعل يتشدق بالقول أن اللغة العربية الفصحى هي لغة جوفاء، لا تحمل أي معنى، بل هي ألفاظ رنانة فقط. وسار في رسالته على هذا النسق من المغالطات الفاحشة التي يعزو فيها حالة التأخر في مصر إلى العربية الفصحى. ولم يكتف بذلك؛ بل هاجم العرب بشتائم تكشف عن مبلغ حقده الصليبي عليهم، فهم في نظره كسالى، قتلة، لصوص، قطاع طرق، جبناء، ويستند في ذلك إلى مزاعم يسوقها على أنها تجارب شخصية [1].

و - وفي نفس الترة الزمنية التي عاش فيها وليم ولكوكس في مصر، تابع الدعوة الهدامة العامية المستشرق الألماني «د. كارل فولرس» الذي تولى إدارة دار الكتب المصرية خلفاً «لولهم سبيتا»، فوضع كتاباً سماه «اللهجة العامية الحديثة في مصر» وجه المصريين فيه لاستعمال الحروف اللاتينية، لدى كتابة العامية، وحاول أن يدرس فيه قواعدها، ممثلاً بكثير من نصوصها. وأخذ يدّعي كاذباً في مقدمة كتابه المسموم بجمود العربية الفصحى، ويشبهها باللاتينية، ويشبه العلاقة بينها وبين

---

(١) للتوسع راجع حبنكة: أجنحة المكر ص ٣٥٩ - ٣٦٢.

http://kotob.has.it

اللهجة العامية في مصر بالعلاقة التي بين اللاتينة والإيطالية، وغرضه، حث العرب على أن تكون للغاتهم العامية آداب مكتوبة، في جميع العلوم والآداب والفنون، وعندئذ تموت لديهم الفصحى بطريقة تدريجية، ويبتعدون عن مصادر دينهم وتراثهم الإسلامي الخالد، وينقسمون إلى أوصال وأجزاء متباعدة بعدد لغاتهم الإقليمية.

ز ـ وحمل لواء الدعوة إلى العامية أيضاً المستشرق الإنكليزي «سِلدُن ولمور» الذي كان قاضياً في المحاكم الأهلية بالقاهرة، إبان الإحتلال البريطاني [وهذا من سخرية التاريخ]. أصدر «ولمور» عام ١٣٢١ هـ/ ١٩٠١ م كتاباً سماه «لغة القاهرة» أو العربية المحكية في مصر، إتجه فيه إتجاه «سبيتا»، فحاول دراسة العامية، ووضع قواعد لها، واقترح كتابتها بحروف لاتينية، واتخاذها لغة للعلم والأدب؛ وغايته تحقيق أهداف المستشرقين، وهو فصل المسلمين عن لغة القرآن الكريم، والسنّة النبوية الشريفة، وكنوز العلوم الإسلامية، وإقامة الحواجز بينهم، وبين ماضيهم المجيد، وتفتيت الوحدة اللغوية القائمة بين الشعوب الناطقة بالعربية الفصحى. وقد ادعى كاذباً من خطر انقراض العامية والفصحى معاً، وإحلال لغة أجنبية محلهما[1].

وتنبّه المصريون العقلاء للكتاب حين أشاد به «المقتطف» في «باب التقريظ والإنتقاد»، فحملت عليه الصحف، مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة التي لا تقصد إلا إلى محاربة الإسلام في دينه ولغته وتراثه. وفي ذلك الوقت كتب «حافظ ابراهيم» قصيدته المشهورة، والتي يقول فيها، متحدثاً بلسان اللغة العربية[1]:

رجعتُ لنفسي فاتهمت حَصَاتي ... ونادَيْتُ قومي فاحتسبْتُ حياتي
رمَوْني بعُقْم في الشباب، وليتني ... عقِمْتُ فلم اجزَعْ لقول عداتي
ولدتُ ولمّا لم أجدْ لعرائسي ، ... رجالاً وأكفاء وأدتُ بناتي
وسِعْتُ كتابَ الله لفظاً وغاية ... وما ضقتُ عن آيٍ به وعظات

(١) للتوسع راجع: حبنكة: أجنحة المكر ص ٣٥٧ وما بعدها؛ حسين: الإتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٦٠ وما بعدها.

(٢) ديوان حافظ ابراهيم جـ ١ ص ٢٥٣.

http://kotob.has.it

فكيف أضيق اليوم عن وصفِ آلةٍ ... وتنسيق أسماء لمخترعات؟
أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغوّاصَ عن صدفاتي؟
فيا ويحكم! أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم - وإن عزّ الدواءُ - أُساتي؟
فلا تكلوني للزمان، فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عِزاً ومَنْعةً ... وكم عزَّ أقوامٌ بعِزِّ لُغات
أتوا أهلَهُمْ بالمعجزاتِ تَفَنُّناً ... فيا ليتكم تأتون بالكَلِمَات
أيُطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ... ينادي بِوَأدي في ربيع حياتي؟
ولو تزجرون الطير يوماً عرفتُمُ ... بما تحته من عَثْرَةٍ وشتاتِ؟
سقى الله في بطن (الجزيرةِ) أعْظُماً ... يَعِزُ عليها أن تلين قناتي.
حفظن وِدادي في البلىَ وحَفِظْتُه ... لهن بقلبٍ دائم الحسراتِ
وفاخرتُ أَهل الغَرب، والشرقُ مُطْرِقٌ ... حياءً، بتلك الأعْظُمِ النخَرات
أرى كل يوم بالجرائد مزْلقاً ... من القبر يُدنيني بغير أناة
وأسمعُ للكُتّاب في مصر ضجةً ... فأعلم أنَّ الصائحين نُعاتي.

وثارت المسألة من جديد حين عاود الكرة المستشرق «وليم ولكوكس» الآنف الذكر عام ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٦ م، ودعا إلى هجر اللغة العربية، وخطا بهذا الإقتراح خطوة عملية، فترجم أجزاءً من الإنجيل إلى ما سماه «اللغة المصرية». ونوه الكاتب المفتون بالغرب «سلامة موسى» بالسير «وليم ولكوكس» وأيده، فثارت عندها ثائرة الناس من جديد، وعادوا لمهاجمة الفكرة والتنديد بها. ولكن الدعوة استطاعت أن تجتذب نفراً من دعاة التغريب حين كان الناس يتحدثون بما صنع الكماليون في تركيا، من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وترجمة القرآن للغة التركية وإلزام الناس بالتعبد به، وتحريم تدريس العربية في غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت الرقابة الشديدة(١). حتى لقد قال أحد غلاة الكماليين من الترك في أحد كتبه وهو آغا أوغلي أحمد»: «إنا عزمْنَا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين، حتى الإلتهابات التي في رئيهم والنجاسات التي في أمعائهم»(٢).

---

(١) للتوسع راجع حسين: الإتجاهات الوطنية جـ٢ ص ٣٦١.
(٢) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم، جـ١ ص ٣٦٩ هامش.

http://kotob.has.it

كما دعا بعد ذلك «طه حسين» المفتون بالغرب والذي شغل في ظل الحكم الإنكليزي لمصر العروبة والإسلام، مناصب عديدة هامة منها عميد كلية الآداب بالقاهرة، ومدير عام الثقافة بوزارة التربية والتعليم، ومستشار فني بالجامعة، وكذلك كان مديراً لجامعة الإسكندرية، وآخر الأمر وزيراً للتربية والتعليم في القاهرة، دعا في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي صدر عام ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٨ م إلى خطوط أساسية للنهضة التعليمية في مصر في نظره المتغرب ـ من أهمها:

١ ـ الدعوة إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها، وقطع ما يربطها بقديمها وإسلامها.

٢ ـ الدعوة إلى إقامة الوطنية وشؤون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين، ومعنى ذلك دفع مصر إلى طريق ينتهي بها إلى أن تصبح حكومتها لا دينية.

٣ ـ الدعوة إلى إخضاع اللغة العربية لسنَّة التطور، ودفعها إلى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم إلى أن تصبح لغة دينية فحسب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية

ويرى «طه حسين» أن سبيل النهضة «واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي: أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب»[1].

وقول المفتون بالغرب طه حسين، ذكرني بقول آغا أوغلي أحمد»؟؟

ح ـ وأثناء الموجة التي أثارها «سلدن ولمور» نشر عالم أمريكي في فقه اللغة مقالة، دعا فيها إلى اتخاذ العامية لغة أدبية، وكتابتها بحروف لاتينية؛ وسار على الخط الذي سار عليه «سبيتا» من قبل.

ط ـ كما حمل أيضاً لواء هذه الدعوة الحاقدة أيضاً المستشرقان الإنكليزيان

(١) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر ص ٤١.

http://kotob.has.it

«باول» و «فيلوت». «باول» كان قاضياً في المحاكم الأهلية بالقاهرة، و «فيلوت» كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعة «كمبردج» وجامعة «كلكتا»، وقد اشتركا في وضع كتاب أسمياه «المقتضب في عربية مصر» حاولا فيه أن يضعا قواعد لتسهيل تعلم اللغة العامية المصرية، وكانا يرددان كذباً الشكوى نفسها وهي صعوبة اللغة الفصحى، وصعوبة كتابتها.

وعن أهداف المستشرقين من وراء دعوتهم إلى تدريس اللغات الأجنبية، وإشاعة اللهجات المحلية يقول المستشرق شاتليه عام ١٣٣١ هـ/ ١٩١١ م: «إن إرساليات التبشير الدينية التي لديها أموال وفيرة، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة، تأتي بالنفع الكثير في البلاد الإسلامية، من حيث أنها تثبت الأفكار الأوروبية». ويقول أيضاً: ولا شك في إن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية، تعجز أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس معتقديها، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية، يتحكك الإسلام بصحف أوروبا، وتتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية، التي لم تحفظ كيانها إلا بعزلتها وانفرادها». ومن أجل بث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، ومن أجل هدم الفكرة الدينية استولى «القس دنلوب» على زمام التعليم في مصر، ورسم سياسة التعليم في هذا البلد المسلم، وفرض تعليم اللغة الإنكليزية، وعمل على تقليص حصص اللغة العربية يضاف إلى هذا ضعف مناهجها[1].

ونحن ننعي للمستشرق «سلدن ولمور» مشروعه الهدّام، ونطمئن الشاعر حافظ إبراهيم في لحده، ونؤكد للمستشرق الإنكليزي «وليم ولكوكس» ثانية، ولغيره من المستشرقين الحاقدين، وللمفتونين بكل ما يقوله الغرب من العرب كطه حسين وسلامة موسى وعبد العزيز فهمي وغيرهم، نقول لهؤلاء وأمثالهم بأن اللغة العربية

---

(١) للتوسع راجع محمد سرور: دراسات في السيرة النبوية ص ١٨٤ وما بعدها.

http://kotob.has.it

الفصحى تزداد انتشاراً وازدهاراً، وقد أصبح حفظ القرآن الكريم بحمد الله وقدرته ظاهرة منتشرة في الأجيال الناشئة اليوم، ولا يجد حفاظه الكثيرون جداً، صعوبة في حفظه والحمد لله، وهو كما نعرف قمة الأداء الفصيح للعربية، ولا يعوقهم حفظه عن الأخذ بجوانب المعرفة، بل إنه يساعد على ذلك، فنجد كثيراً من المتفوقين في دراسة الطب والعلوم، هم من حفظة القرآن الكريم.

ونريد كذلك أن نهمس في أذن هؤلاء الموتورين بأن اللغة العربية الفصحى باقية خالدة حتى قيام الساعة لأنها لغة القرآن الكريم. والله تعالى يقول عن القرآن العظيم: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

ي - وفي نفس هذه الفترة الزمنية، ظهر المستشرق الفرنسي الحاقد «لويس ماسينيون» الذي كان من زعماء الحركة الرامية إلى الكتابة بالعامية، وبالحرف اللاتيني. وهذا المستشرق العفن كان موظفاً في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية. وقد حاول «ماسينيون» هذا أن يبث دعوته هذه في مصر والمغرب، وفي سورية ولبنان خاصة[1].

ولكن أعجبَ ما ظهر من ذلك في هذه الفترة وأغربه، مما لا يخطر على البال، هو أن الدعوة قد استطاعت أن تتسلل متلصِّصة إلى الحصن الذي قام لحماية اللغة العربية الفصيحة، والمسمى «بمجمع اللغة العربية». فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن «اللهجة العربية العامية»، كتبها عضو من

---

(١) كان لويس ماسينيون معجباً بالحلاج كثيراً، وذلك لتشويه الإسلام والحلاج هو الحسين بن منصور الحلاج، كان جده مجوسياً من أهل فارس، أجمع العلماء على قتله، وأنه قتل كافراً، وكان مشعوذاً متلوناً، وظل فترة يضل الناس ويموه عليهم حتى ادعى الربوبية، فسجن في بغداد، وأجمع الفقهاء على كفره وزندقته وإنه كان ممخرق، قتل ببغداد بعد فتوى الفقهاء [البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٣٨ وما بعدها].

وجعل ماسينيون رسالته للدكتوراة بعنون: «عذاب الحلاج، شهيد التصوف في الإسلام. [للتوسع راجع بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٣٦٣ وما بعدها. ادوارد سعيد: الإستشراق ص ٢٧٠ وبعدها.

(٢) خالدي وفروخ: التبشير والإستعمار ص ٢٢٥.

http://kotob.has.it

أعضاء هذا المجمع اسمه «عيسى اسكندر المعلوف»[1]. وإن مما يدعو إلى العجب حقاً أن يختار المجمعُ لعضويته رجلاً معروفاً بعدائه الصريح للعربية، وهو عداء عريق ورثه عن أبيه الذي أعلنه وجهر به حين سجله في مقال له نشرته «الهلال» سنة ١٩٠٢، دافع فيه عن اللهجات السوقية، وقال إنه يشتغل بضبط أحوالها وتقييد شواردها لاستخدامها في كتابة العلوم[2]. وقد أكد هذا المقال أن اختلاف اللغة العامية عن لغة الكتابة هو من أهم أسباب تخلفنا الثقافي. وزعم أن من الممكن اتخاذ أي لهجة عامية لغةً للكتابة، كالمصرية أو الشامية، وأنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين بالعربية - على اختلاف لهجاتهم - من العربية الفصيحة[3]. وختم المقال بقوله:

«وما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عقالهم طالبين التحررَ من رِقِّ لغةٍ صعبة المِراس قد استنزفت أوقاتهم وقوى عقولهم الثمينة. وهي مع ذلك لا توليهم نفعاً، بل أصبحت ثقلاً يؤخرهم عن الجري في مضمار التمدن، وحاجزاً يصدهم عن النجاح. . . ولي أمل بأن أرى الجرائد العربية وقد غيرت لغتها. . . . . وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح، وهو غاية أملي ومنتهى رجائي».

هل تعرف عداءً للعربية التي لم يُنْشَأ هذا المجمع إلا لحمايتها أعرقَ من هذا

(١) راجع مجلة مجمع اللغة العربية: الجزء الأول «شعبان ١٣٥٣ - أكتوبر ١٩٣٤» ص ٣٥٠ إلى ٣٦٩، الجزء الثالث «شعبان ١٣٥٥ - أكتوبر ١٩٣٦» ص ٣٤٩ - ٣٧١، والجزء الرابع «شعبان ١٣٥٦ - أكتوبر ١٩٣٧» ص ٢٩٤ - ٣١٥. وراجع كذلك مقالاً لعضو آخر من أعضاء المجمع - وهو عبد القادر المغربي - تحت عنوان «دراسة في اللهجة المصرية» في الجزء الثالث ص ٢٩٠ - ٣٠١.

(٢) الهلال عدد ١٥ مارس ١٩٠٢ - ٥ ذي الحجة ١٣١٩ ص ١٠ ص ٣٧٣ - ٣٧٧ تحت «اللغة الفصحى واللغة العامية» لاسكندر المعلوف. وقد أشار ابنه عيسى اسكندر المعلوف في مقاله الذي نشره في الجزء الرابع من مجلة المجمع «ص ٣١٥» إلى أنه قد ألف معجماً مطولاً جمع فيه ألفاظ العامية. ولعله هو المعجم الذي صرح أبوه في مقال الهلال السابق بأنه مشغول بجمعه.

(٣) هذا غير صحيح. يكذبه الواقع الصريح. والدليل على مباينته للحقيقة أن العرب إذا اجتمعوا في مؤتمر لم يكد يفهم بعضهم عن بعض إلا إذا تكلموا العربية الفصيحة.

http://kotob.has.it

العداء الصريح في الولد وأبيه على السواء؟ فلأي شيء اختير هذا العضو وأمثاله من المعروفين بالكيد للعربية وللعرب[1]؟!

وليس هذا هو كل ما يدعو للعجب من أمر هذا المَجْمَع. فقد تقدم عضو من أبرز أعضائه، وهو عبد العزيز فهمي باقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وشُغِل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات، امتدت خلال ثلاث سنوات، ونُشِر في الصحف، وأُرسِل إلى الهيئات العلمية المختلفة، وخصصت الحكومة المصرية آنذاك جائزة مقدارها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية[2].

أليس يدعو ذلك إلى أن نتساءل: هل أنشىء هذا المجمع لينظم جهود حُماة العربية، أو أنشىء ليُكسِب الهدمَ والهدامين صفةً شرعية[3].

أليس يَرضَى الاستعمار عن مثل اقتراح المعلوف واقتراح عبد العزيز فهمي؟ أليس يرضى عنه العضو الإنجليزي الموقر هـ. ا. ر. جب، الذي يقرر في كتابه «إلى أين يتجه الإسلام؟»، عند كلامه عن الوحدة الإسلامية، أن من أهم مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل في سائر العالم الإسلامي، واللغة العربية التي هي لغته الثقافية الوحيدة، والاشتراك في كثير من الكلمات والاصطلاحية العربية

---

(١) وقد كان من هؤلاء الأعضاء من ليس عربياً، بل لقد كان في هؤلاء المستشرقين من غير العرب من هو معروف بصفته الإستعمارية، مثل المستشرق جب (H. A. R, Gibb).

(٢) راجع الجزء السادس من مجلة المجمع جمادى لآخرة ١٣٧٠ - ابريل ١٩٥١ ص ١٨، ٨٥، ١٧٠. والواقع أن الكتابة العربية ميسرة والحمد لله.

(٣) وشبيه بموقف مجمع اللغة العربية موقف جامعة الدول العربية التي أصدرت لجنتها الثقافية في العام «١٩٥٥» كتاباً في «اللهجات وأسلوب دراستها» لأنيس فريحة، جمعت فيه المحاضرات التي ألقاها في معهد الدراسات العربية العالية في ذاك العام. وموضع العجب في ذلك أن الجامعة العربية هي جامعة اللغة العربية، وأن اللغة العربية المقصودة هي اللغة الفصيحة التي تشترك فيها سائر الدول العربية. وهذه اللغة العربية الفصيحة هي وحدها الجامعة التي لا يستطيع أن ينكرها دعاة الشقاق، ولا يستطيع أن يماري فيها أصحاب الأهواء والأغراض. فإذا تفرق الناس فيها وذهب كل بلد بلهجته - على ما يريد المؤلف - لم يستطع بعضهم أن يفهم عن بعض، فينفرط عقدهم. وهل وجد (الكومون ويلث) إلا نتيجة للغة الإنجليزية المشتركة بين دوله؟ أليس عجيباً أن يستغل منبر الجامعة العربية لهدم الجامعة العربية. أو ليس في ذلك من التناقض ما يدعو إلى الرثاء.

http://kotob.has.it

الأصل[1]؟ أليس يرضى عنه الاستعمار الفرنسي الذي حارب العربيـة الفصيحة في شمال إفريقيا أعنف الحرب، وضيق عليها أشد التضييق، ووضع مستشرقوه مختلف الكتب في دراسة اللهجات البربرية وقواعـدها لإحـلالها محـل العربيـة الفصيحة؟ أليس يرضى عنه المستشرق الألماني «كامفماير» الذي يقرر في شماتة أن تركيـا لم تعد بلداً إسلامياً، فالدين لا يدرس في مدارسها، وليس مسموحاً بتـدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس. ثم يقول إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسـلامية قـد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبـدال الحروف الـلاتينية بـالحـروف العربية)؟

وبعدُ فالدعوة إلى العـامية خـطيرة جداً، ذلـك أن الدعـوات التي تستهدف هـدم الدين أو الأخلاق قد تُضِل جيلاً من الشباب، ولكن الأمـل في إنقاذ الجيـل القادم يظل كبيراً ما دام القرآن حياً مقروءاً، وما دام الناس يتذوقون حلاوة أسلوبه وجمال عبارته. أما هذه الدعوة الخطيرة، فهي ترمي إلى قتل القرآن نفسه ـ ولن يستطيعوا ـ والحكم عليـه بأن يصبـح أثراً ميتـاً كأسـاطيـر الأولين التي أصبحت حَشْـوَ لفـائف البَـرْدِيّ، أو بأن يصبـح أسلوبه عتيقـاً باليـاً بتحويـل أذواق الأجيال النـاشئة عنـه، وتنشئتهم على تذوق ألوانٍ أخرى من الأساليب المستَجْلَبَةِ من الغرب. وبينما نجح اليهود في إحياء لغتهم العبرية الميتـة، واتخاذهـا لغةً للآداب والحيـاة، كان بعض المفتونين من العرب ينادون بأن اللغة العربية الفصيحة لغة ميتة، وينشرون في ذلك المقالات الطوال، المكتوبة «بالعربية الفصيحة» التي يزعمون موتها.

ويصف الدكتور حسين الهراوي تقريراً من لجنة العمل المغربي الفرنسية وقع في يده فيقول: «فرأيت هذا التقـرير يتبـع السياسـة الإستعماريـة، ويصف مقاومـة الإسـلام والتقاريـر السريـة التي يرسلهـا المستشـرقـون في البـلاد المستعمـرة إلى حكوماتهم لمقاومة الإسلام، لأن روحه تتنافى مع الإستعمـار، وأن أول واجب في هذا السبيل هو التقليل من أهمية اللغة العربية، وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات

---

(١) Whither Islam ص ٢٠.

http://kotob.has.it

المحلية في شمال إفريقيا واللغات العامية، حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم ويمكن التغلب على عواطفهم»[1].

ل ـ وآزر الدعوة إلى العامية أيضاً، وترك الكتابة بالحروف العربية، أو تيسير الكتابة، منخدعون، ومأجورون، ومستغربون، ومفتونون بزيف الغرب من أبناء اللغة العربية، وأكثرهم ذهبوا إلى فرنسا وانجلترا لنيل شهادات عليا، على أيدي المستشرقين، وأقاموا بها مدة، ثم رجعوا إلى بلادهم ومنبتهم، وقد غسل الغرب أدمغتهم، فصاروا ينكرون الميراث العربي والإسلامي بجملته في دينه ولغته وعلومه وآدابه، ويقولون: ما هذا الدين القديم؟ وما هذه اللغة القديمة؟ وما هذه الأساليب القديمة المتبعة؟ الخ. وجميع انتقاداتهم تصب في هدم الدين الإسلامي الحنيف وهدم أبنية اللغة العربية الفصحى. وهم على ذلك أعجز الناس عن أن يضعوا جديداً أو يستحدثوا طريفاً أو يبتكروا بديعاً. إنهم فئة من أدبائنا قد أخذوا بغير أخلاق هذا الدين القويم، ونشأوا في غير قومه وعلى غير مبادئه، فرأوا فيه بظنونهم، وقالوا برأيهم، ورضوا له ما لا يرضاه أهله. فهؤلاء مهما كثروا لا يستطيعون أن يحدثوا حدثاً، بل يفنون والجماعة باقية، وينقصون والأمة نامية، ويذهبون إلى رحمة الله، ومن رحمة الله لن يعودوا ثانية[2].

وقد انتقلت هذه الدعوة الباطلة من مصر إلى المغرب وإلى لبنان، فانجرف في تيارها عدد من الأدباء، ما بين مساير للمستشرقين مسايرة تامة، ومعتدل متوسط، ومتخذ بعض الخطوات الخجولة التي أطلق عليها إسم الإصلاح. من أشهر هؤلاء الضالين نذكر على سبيل المثال لا الحصر: لطفي السيد، عبد العزيز فهمي، فريد أبو حديد، توفيق الحكيم، أمين الخولي، طه حسين[3]، أحمد أمين[4]، قاسم

(١) للتوسع راجع مجلة الهلال، عدد يناير ١٩٣٤ ص ٤٢ ص ٣٢١ ـ ٣٢٨ تحت عنوان «هل ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم». وراجع مقالي اسكندر المعلوف في العددين اوول والثالث من مجلة مجمع اللغة العربية فيما ألفه الأوروبيون من كتب عن اللهجات السوقية في الأمصار العربية المختلفة.

(٢) للتوسع راجع: مصطفى صادق الرافعي: المعركة بين القديم والجديد ص ١٩ وما بعدها. مصر ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣ م.

(٣) وكتابه: مستقبل الثقافة في مصر. مصر ١٩٤٤.

(٤) وكتابه: فجر الإسلام، ضحى الإسلام.

http://kotob.has.it

أمين[1] وسلامة موسى[2]، والأب رافائيل نخلة[3]، شكري الخوري[4]، الخوري مارون غصن[5]، وأنيس فريحة[6]، إلى جانب بعض المعاصرين لنا اليوم أمثال لويس عوض وسعيد عقل وفؤاد افرام البستاني وغيرهم وغيرهم من الحاقدين الضالين الذين يشجعون الكتابة السوقية العامية بالحروف اللاتينية ليقطع العرب الأقحاح صلتهم بالقرآن الكريم، ليبقى القرآن الكريم الخالد يقرأ من المساجد فقط، كما تقرأ اللاتينية في الكنائس.

وعلى الرغم من أن الدعوة لم يكتب لها النجاح في العالم العربي ـ والحمد لله ـ إلا أن الغزاة المقنعين لم ييأسوا من تكرير محاولاتهم، وتحريك أجهزتهم، لعلهم يحققون بعض طموحاتهم الرامية إلى هدم العربية الفصحى، وطعن الإسلام من وراء ذلك، وتمزيق وحدة الأمة العربية المسلمة.

«ففي حزيران (عام ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٣ م) انعقد مؤتمر في «برمّانا» بلبنان، وفي هذا المؤتمر تقدمت بعض الهيئات الأجنبية بمشروع «العربية الأساسية» ويشتمل هذا المشروع على عناصر هدم لمعالم اللغة العربية، ولما علم شيخ الأزهر الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود بما جاء في هذا المشروع أعلن استنكاره، ووجه التحذير منه. وكشف الدكتور «عمر فروخ» (رحمه الله) في تقريره عما دار في المؤتمر خيوط المكيدة المدبرة للغة العربية وللإسلام، إذ قال في تقريره: «وفي أثناء الجلسات الرسمية للمؤتمر، وفي الفترات المتعددة بين الجلسات، جرت بحوث واقتراحات وملاحظات، جعلتني أوجس خيفة شديدة من المشروع... إن كل ما دار في مؤتمر برمّانا كان يولِّد فيّ شعوراً بأن الغاية الأولى والأخيرة من المؤتمر الإهتمام بالعامية... لقد حضر هذا المؤتمر عدد قليل من اللبنانيين، ونفر من

---

(١) وكتابه: تحرير المرأة، المرأة الجديدة. مصر ١٩٤١.

(٢) وكتابه: اليوم والغد. مصر ١٩٢٧.

(٣) وكتابه «قواعد اللهجة اللبنانية السورية». المطبعة اليسوعية بيروت ١٩٥٠.

(٤) وكتابه: «التحفة العامية في قصة فنيانوس». المطبعة اليسوعية لبنان ١٩٥٠.

(٥) وكتابه «في متلو هلكتاب». مطبعة عنطورا ـ لبنان.

(٦) وكتابه: تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد.

http://kotob.has.it

العرب غير اللبنانيين، وكثرة من الأجانب، لفت نظري أن جلهم من الرهبان اليسوعيين. . . »[1].

إن فكرة الكتابة بالعامية، فكرة خبيثة بمثابة خنجر مسموم، حاول المستشرقون ومن لف لفيفهم من المتغربين من أبناء الشعوب العربية، أن يغمسوه في قلب الإسلام بشتى الطرق. فهم تارة يريدون هدم الأمة في لغتها وآدابها خذمة لمبدأ الإستعمار الأوروبي، وطوراً يشيرون باستعمال اللغة العامية بحجة أنها أقرب إلى الإفهام؛ وفريق ثالث منهم من لا يحاول هدم الأمة في لغتها وآدابها، لا حباً باللغة والآداب، ولكن علماً باستحالة تنصل العرب من لغتهم وآدابها. ولذلك نرى هؤلاء دعاة إلى اللغة والآداب، على شرط أن لا يكون ثمة قرآن كريم، ولا حديث نبوي شريف، وأن تكون الصبغة لا دينية. وحجتهم في ذلك حب التجدد، وكون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلمات السلف الصالح كلها من القديم، الذي لا يتلاءم مع الروح العصرية في شيء.

يضحكني من جبابرة العقول من الأدباء والفلاسفة ورجال الفكر المتغربين هؤلاء أنهم يرون الدين مرة عادة، وتارة اختراعاً، وطوراً خرافة، وحيناً أخرى استعباداً. وكل ذلك لهم رأي يعقدونه بالحجة الواهية، ويشدونه بالدليل الكاذب. هؤلاء يأبى الإستعمار الغربي إلا أن يكونوا سادة للأمة، ظناً منه أنهم يستطيعون أن يصرفوا عقولنا، ويغيروا عقائدنا، ويصلحوا آدابنا، ويدخلونا في غضب الله عز وجل، ويهجموا بنا على محارمه، ويُركبونا معاصيه، ليصبح المسلمون فسّاقاً وفجرة ملحدين وساخرين ومفسدين. هؤلاء الجبابرة المضللون عامة، وجهلة، وحمقى، إذا وُزنوا بعلماء الأمة الإسلامية، وقيسوا إلى حكمائها.

وما أراهم صرفوا عن عقولهم، ولا صرفت عقولهم عنهم، ولكنهم يقعون من علمائنا الأفاضل، موقع السفسطة الفارغة من البرهان القائم، وإذا قيسوا إليه، كانوا

---

(١) للتوسع راجع حبنكة: أجنحة المكر ص٣٦٣ - ٣٦٤.

http://kotob.has.it

كالذباب تزعُمُ أنفسها نسور المزابل، ولكنها لا تكابر في أن من الهُزوء بها قياسها بنسور الجو. فالمصيبة فيهم من ناحية العلم الناقص، في وزن المصيبة بهم من ناحية الخلق الفاسد؛ وهاتان معاً في وزن المصيبة الكبرى التي يجنون بها على الأمة لتهديمها فيما يعملون، وتحريرها فيما يزعمون.

هذه المحاولات العقيمة لهدم اللغة العربية الفصحى لم تنجح ولن تنجح بحول الله وقدرته. فالحملة على العربية الفصحى، هي من حقيقتها حملة على العروبة والإسلام، وأمنية في أن يصبح القرآن الكريم كتاب دين لا صلة له بالحياة. فالقضية بالنسبة لنا هي قضية بقاء أو فناء. والله تبارك وتعالى جلت قدرته، حمى الشعوب الإسلامية من شرها، فقامت النهضات المباركة التي تبنت نشر العربية الفصحى إلى جانب المعارف والعلوم المختلفة داخل الشعوب الإسلامية كافة.

٤ - غزو الفصحى عن طريق العبث بقواعدها وإصلاح رسم الخط العربي:

هناك من دسائس النصيحة الكاذبة للمستشرقين والمبشرين والمستغربين والمفتونين بزيف الغرب، ومن لف لفيفهم ونعق نعيقهم، ومن الدعوات المشبوهة الهدامة لهؤلاء، باسم النصيحة والإصلاح أيضاً، تبسيط اللغة العربية الفصحى، وتطويرها، عن طريق النيل من أسس قواعد العربية الفصحى، وإصلاح رسم الخط العربي. وهذا بالطبع جعجعة مثيرة للضحك والسخرية.

فهم يزعمون أن قواعدها صعبة معقدة، وفي اللغات الأوروبية الحية ما هو أشد منها صعوبة وتعقيداً كالألمانية ويقولون إن الشاذ فيها من غير القياسي كثير، والشذوذ في صيغ الأفعال وفي صيغ الجمع والتأنيث وفي المصادر يملأ اللغات الأوروبية كلها، والشواهد عليه لا تحصى. وقالوا إن الكتابة فيهما غير ميسَّرة، مع أن مطابقة الصوت المسموع للصورة المقروءة هي في العربية أوضحُ منها في الإنجليزية وفي الفرنسية، اللتين يتقنهما معظم المتذمِّرين وصانعي الفِتَن من الهدامين.

http://kotob.has.it

فمثلاً الكلمة الإنجليزية التي يجب أن تكتب كما يلي : «write» يجب أن تقرأ «rit» بمعنى يكتب، وأن يحذف القارىء اعتباطاً دلالة حرف «W» وحرف «E» والكلمة الإنجليزية الأخرى المماثلة لها لفظاً والمخالفة لها معنى، يجب أن تكتب كما يلي «right» بمعنى صحيح أو صواب، وأن يحذف القارىء اعتباطاً دلالة حرفي «GH». والكلمة التي يجب أن تكتب كما يلي «Know» يجب أن تقرأ «now» بمعنى يعرف مع حذف حرف «K» إعتباطاً. والكلمة التي يجب أن تكتب كما يلي «light» يجب أن تقرأ «lit» بمعنى يضيىء أو ضوء، وأن يحذف القارىء اعتباطاً دلالة حرفي «GH». والكلمة التي يجب أن تكتب كما يلي : «Laugh» يجب أن تقرأ «laf» بمعنى يضحك، وأن يبدل القارىء بذهنه الحروف «ugh» بحرف «F». ونظير ذلك كثير.

والحروف الصوتية عندهم ليس لها صفة صوتية ثابتة، وقراءتها وكتابتها يجب أن يكون كل منهما معتمداً على السماع والحفظ.

والفرنسي مثلاً يُسقِط من النطق أربعة حروف من أواخر الكلمات في كثير من الأحيان. والإنجليزي يفعل ذلك في مثل حرفي (H) و (o) في (Honour)، وحرفي (gh) في (Right) وفي (through). وهو بعد ذلك يكتب الصوت الواحد في ست صُوَرٍ أحياناً، مثل الياء التي تصوِّر الكسرةَ الطويلة في مثل (كَبِير). إن هذا الصوت يكتب في الإنجليزية على ست صور متعددة، لا يميز إحداها عن الأخرى منطق أو قواعد، وهي (Y-e, e-e, ie, ei, ea, ee)، بينما هو لا يكتب في العربية إلا ياءً. وحرف (ك) لا يكتب في العربية إلا كافا، وهو يكتب في الإنجليزية على صورٍ عدة هي (ch, q, ck, k, c). وحرف (ف) لا يكتب في العربية إلا فاء، وهو يكتب في الإنجليزية (Ph, f, gh). وقس على ذلك ما لا سبيل إلى إحصائه من الأمثلة العديدة في مختلف الأصوات. ثم إن لكل صوت في العربية حرفاً واحداً يصوِّره، وبعض الأصوات اللغوية لا يصورها إلا حرفان في الإنجليزية، مثل حرف (ش) العربي، الذي يقابله في الإنجليزية (sh)، وحرف (ذ) الذي يقابله حرفا (th). وميزةٌ ثالثة للكتابة العربية، هي أن الحرف لا يُقرأ إلا على صورةٍ صوتيةٍ واحدة، وليس كذلك الحرف الإنجليزي. فحرف (c) ينطق (س) حيناً. وينطق (ك) حيناً آخر. و (th) ينطق (ذ)

http://kotob.has.it

حيناً، وينطق (ث) حيناً آخر. و (g) ينطق جيما قاهرية تميل نحو الكاف، وينطق جيما مُعَطَّشة حيناً آخر.

أيقال بعد ذلك كله إن العربية معقدة نحواً أو كتابة، والذين يشكون من صعوبتها، أو يتشاكون، يتقنون ما هو أكثر منها تعقيداً ولا يخطئون فيه؟ بل إن منهم من يتقن لغتين أو ثلاث لغات أجنبية معقَّدة في بعض الأحيان، يقيمونها ويخجلون أن يخطئوا فيها، حين لا يقيمون لغتهم ولا يخجلون أن يخطئوا فيها، بل ربما فاخروا به وقالوا ساخرين (نحن لا نتكلم لغة سيبوية). ولعل كثيراً منهم لا يعلمون أن (سيبوية) كان فارسيَّ الأصل.

ويقولون إن اللغات الأوروبية قد تطورت، فيجب أن تتطور لغتُنا كما تطورت لغاتهم. وهناك فرق بين «التطور» و «التطوير». تتطور اللغة بأن تَفْرِض عليها قوانينُ قاهرةٌ هذا التطور. أما التطوير فهو سَعْيٌ مفتَعَلٌ إلى التطور. هو إرادة إحداث هذا التطور دون أن تكون له مبرِّرات تستدعيه. والتطور لا يُسعَى إليه ولا يُصطَنَع، ولكنه يَفْرِض نفسَه فلا نجد بدّاً من الخضوع له. وأيُّ نِعمةٍ وأي مزية في تطور اللغات الأوروبية حتى نسعى إلى افتعال نظيره في لغتنا؟ *إن هذا التطور كان نكبة على* أصحابه، قطّعهم أمماً بعد أن كانوا أمة واحدة، فما زالوا في خلاف وحروب منذ ذلك الوقت. ثم إنه لم يحكم على تراثهم القديم المشترك وحدَه بالموت، بل هو لا يزال يَقْضِي بين الحين والحين على التراث القومي لكل شعب من هذه الشعوب بالموت، حتى أنه لا يستطيع الإنجليزي اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة (شكسبير) الذي مات في القرن السابع عشر، بينما لا يستطيع الإنجليزي المثقَّف أن يقرأ ما قبل شكسبير، مثل تشوسر، ولا يقدر عليه إلا قلة من المتخصصين. ومثل ذلك الفرنسية والإيطالية وسائر اللغات الأوروبية الحديثة. أما نحن العرَبَ، على اختلاف أقدارنا من الثقافة، فنقرأ القرآن ونفهمه إلا قليلاً مما ترجع صعوبته إلى دقة المعاني في أغلب الأحيان، ونقرأ رسائل الجاحظ فلا نكاد نحس فارقاً بين أسلوبها وبين أسلوب بعض المعاصرين. فلماذا نسعى إلى أن نُفْقِد أنفسنا هذه المزايا التي

http://kotob.has.it

لم تَفْرِضْ علينا فقدَها ضرورةٌ من الضرورات؟ لماذا نحسد أوروبا التي ابتُلِيَتْ بذلك على مصابها.

وتدفقت باسم الإصلاح الكاذب والنصيحة المخادعة مقترحات عديدة من المستشرقين ومن لف لفيفهم من المتغربين والغربيين، تضمنت النيل من أسس قواعد العربية الفصحى، بغية هدمها باسم تبسيطها وتطويرها. من أهم المقترحات:

١ - إلغاء صورة الإعراب في الكلام العربي، واللجوء إلى تسكين أواخر الكلمات. وهذا الإقتراح يحمل في ظاهره التسهيل على الناطق بالعربية، ولكنه في باطنه وحقيقته هدم الصروح التي قامت عليها هذه اللغة العظيمة، وذلك يؤدي مع الزمن إلى التلاعب بمعاني القرآن الكريم والتراث الإسلامي والعربي، لأنه متى أُلغي الإعراب، فقد أُلغيت المستندات التي يُتحاكم إليها في تحديد المعاني، ثم تحتاج اللغة الجديدة المسكنة الأواخر، إلى قواعد أخرى لضبط معانيها.

فبالله عليكم أجيبوني كيف تفهم الأجيال التي ستنشأ على إلغاء الإعراب مثل قول الله تعالى جلت قدرته ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماءُ إن الله عزيز غفور**﴾[1]، وقوله تعالى جلت قدرته: ﴿**وإذا ابتلى ابراهيمَ ربُّهُ بكلمات فأتمهن...**﴾[2].

فلو ألغي الإعراب وسكنت أواخر الكلمات، لكان المتبادر في الآية الأولى إن الله هو الذي يخشى العلماء، لا إن العلماء هم الذين يخشونه، ولكان المتبادر في الآية الثانية أن ابراهيم عليه السلام، هو الذي ابتلى ربه، لا إن ربه هو الذي ابتلاه، مع أن الأمر في كل منهما بعكس ذلك، وقاعدة الإعراب هي التي حددت هذه المعاني، ومنعت عنها الإلتباس.

وكان من مؤيدي الغاء الإعراب وتسكين أواخر الكلمات من الأدباء العرب: قاسم أمين وسلامة موسى وغيرهما[3].

(١) سورة فاطر، آية ٢٨.

(٢) سورة البقرة، آية ١٢٤.

(٣) للتوسع راجع مجلة الهلال عدد يوليو ١٩٢٦.

http://kotob.has.it

٢ ـ حذف بعض قواعد النحو أو تعديلها. ومن أمثلة ذلك حذف باب الممنوع من الصرف، واعتبار جميع الكلمات مصروفة، وإلغاء قاعدة التخالف بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث، وجعل العدد موافقاً لمعدوده دائماً تذكيراً وتأنيثاً، وإبقاء المفعول به منصوباً في حالة بناء الفعل للمجهول، وإلغاء صيغ جموع التكسير في الأسماء التي يجوز جمعها جمع مذكر سالماً وجمع تكسير، والإكتفاء بصيغة جمع المذكر السالم، وإلزام المنادى والمستثنى حالة واحدة من الحالات، فيكون منصوباً دائماً أو مرفوعاً دائماً الخ.

وكأن هذا المقترح الفاشل يتضمن محاولة وضع لغة جديدة مشتقة من أصول اللغة العربية، وسيلة لإلغاء اللغة العربية والتخلص منها، ومن المصادر الإسلامية العظيمة المكتوبة بها، خدمة لأغراض الأعداء الغزاة، تحت ستار التسهيل على الناطق العربي.

٣ ـ إيثار كل لهجة أو لغة عربية قديمة توافق العامية. وهذا المقترح من شأنه أن يكلف المتعلمين تطويع ألسنتهم أن ينطقوا بالعربية مرتين، مرة يتقنون بها وفق هذا المقترح الخداع، وأخرى يتقنون بها قراءة المصادر الإسلامية والعربية وفق القواعد التي استقرت عليها لغة قريش، ونزل بها القرآن الكريم. والأسهل من ذلك بالطبع، إلتزام الطريقة التي نزل بها القرآن الكريم ومع أن في اللغات العالمية الأخرى صعوبات وشذوذات عن القواعد القياسية لا تقل عما في اللغة العربية الفصحى، ولكننا لا نجد أحداً من الشرقيين والمستشرقين، ولا من الغربيين أو المستغربين ينادي بإصلاح تلك اللغات، أو حتى تغيير شيء من قواعدها وأصولها المتبعة. ومن الثابت أن في هذه اللغات عاميات يجري بها حديث الناس في شؤونهم العامة، وفيها إلى جانب ذلك لغة راقية منضبطة يكتب بها العلماء والأدباء، ويسجلون بها آثارهم التي يريدون لها أن تكون خالدة.

وقواعد كل لغة هي القوانين التي يجب اتباعها، للدلالة على المعاني التي يريدها من أراد النطق أو الكتابة بتلك اللغة، ولتأليف الكلام في كل لغة نظام خاص لا يجوز الإخلال به، ولا يكون الكلام مفهوماً ولا مصوراً للمراد حتى يكون متقيداً

http://kotob.has.it

به تماماً، وأية محاولة لتغيير هذه القوانين اللغوية المتبعة في أية لغة، لا تخلو عن أن تكون عملية اختراع لغة جديدة، إختراعاً كلياً أو جزئياً.

وأما صعوبة اللغة العربية الفصحي، فهذه الحجة الكاذبة المفضوحة مفهومة لدينا، فالعاميات التي يدعون إلى ضبطها ستكون أكثر صعوبة من الفصحى المضبوطة بالقواعد، بسبب الشذوذات الكثيرة الموجودة في هذه العاميات، يضاف إلى ذلك أن الأمة الواحدة ستحتاج إلى تعليم نحو عشر لغات عامية على الأقل، حينما يتطاول العهد عليها وتزداد الفوارق في العاميات المختلفة الشائعة في أقاليمها، أو سيحدث الإنفصام التام الذي هو شر من تحمل بعض الصعوبة في تعلم العربية الفصحى.

بينما نرى ان شيوع الفصحى سيخفف كثيراً من صعوبتها، إذ يجعلها مثل لغة التخاطب العادي، أو داخلة في كثير من عناصره، وقد وقع بعض هذا فعلاً.

ونحن نقول بالفم الملآن للمستعمرين والمستشرقين والمتغربين من ابنائنا المفتونين بحضارة الغرب الزائفة أن هذه الأباطيل والأكاذيب لن تنطلي علينا، مهما زيِّفوا الحقائق والمفاهيم.

وهناك من دسائس النصيحة الكاذبة للمستشرقين ومن لف لفيفهم، ونعق نعيقهم، هي تلك التي تدور حول **إصلاح رسم الخط العربي**، وهذه الجعجعة أيضاً مثيرة للضحك بل وللسخرية، وكأن في رسم الخط العربي الراقي مشكلة تعيق الناطق العربي عن التقدم، وتعرقل المسيرة العلمية والإنتاجية المطلوبة.

١ ـ فمرة ينادون بإصلاحه عن طريق استبدال الحروف اللاتينية به، وتناسوا أن الآداب والعلوم العربية كتبت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة بالحروف العربية، وليس من السهل كتابتها كلها بالحروف اللاتينية في سائر الأمم التي كتبت آدابها وعلومها بالحروف العربية، والتي يبلغ عددها أكثر من ثلاثمائة مليون.

كذلك فلو أننا هجرنا الحروف العربية إلى حروف تخالفها لنُسيَتْ الآداب والعلوم القديمة، ولأصبح بيننا وبين تراث أجدادنا سد منيع تعانيه الأجيال المقبلة،

http://kotob.has.it

كذلك فإن اللغات التي حلت الحروف العربية في كتابتها محل حروفها القديمة كالتركية والفارسية والأردية وغيرها، قد نسيت آدابها القديمة، وأصبح بينها وبين هذه الآداب حلقة مفقودة. هذا مع العلم أن الحروف اللاتينية قاصرة عن استيفاء حروف الهجاء العربية، كما يعترف بذلك المستشرق الإيطالي «نللينو» رغم عدواته للإسلام، وكتابته ضده.

فقد كتب المستشرق الإيطالي نلِّينو في مجلة «الهلال»[1] عن الحروف اللاتينية، وهل تصلح للكتابة العربية. فبدأ حديثه عن الإنقلاب التركي في الحكومة الكمالية واستبدالها الحروف اللاتينية بالحروف العربية. وبين أن سبب هذا التغير السياسي، وهو محاربة العنصر العربي والدين الإسلامي، فهم يريدون أن يزعموا أن المدنية التركية أقدم المدنيات، (فهي تتصل بالمدنيات البابلية والآشورية القديمة، ولا اتصال لها بالتمدن الإسلامي. ولهذا نجد حملة قوية تمثلت في كثير من المظاهر، كإبطال الأحوال الشخصية، وتطبيق القانون المدني السويسري، وإلغاء الطرق الصوفية، وتغيير الزي، ومحاكمة من يلبسون الطربوش، والتزام مواعيد العمل في رمضان كالعادة، وما إلى ذلك). ثم عارض نَلِّينو اقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وبنى معارضته على أسباب منها:

١ ـ أن الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية. ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتينية الحالية لكي تعبر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف ج، ح، خ، ش، ط، ظ، ص، ض، ع، غ، ولاحتجنا كذلك إلى التمييز بين الحروف المتحركة الممدودة وبين الحروف المقصورة.

٢ ـ ومنها أن الخط العربي يمتاز بميزة فذة (فهو قريب مما يسمى بالاختزال. والخط العربي ليس في حاجة إلى اختزال، لأن طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال).

---

(١) راجع مجلة الهلال أول مارس ١٩٣٦، ـ ٧ ذي الحجة ١٢٥٤ ص ٤٤ وما بعدها.

http://kotob.has.it

٣ ـ ومنها أن استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي يستتبع نتائج خطيرة (فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التي خلفتها الآداب الإسلامية في الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وغيرها، وكلها مدونة بالخط العربي؟ وأمرٌ كهذا فوق أنه خطر فهو متعذر، لأن الحركات لها شأنها الكبير في الخط العربي، وهي غير كبيرة الأهمية في اللاتيني، ولأنه لا يمكن أن نتصور النفقات الطائلة التي تصرف في هذا السبيل من غير جدوى. وإذا افترضنا أن المنفعة في إبدال الخط العربي لكان من الضروري أن يسبق هذا اتفاق بين الشعوب الناطقة بالضاد.

كما أبرز «الهلال في رده على أحد قرائه سنة ١٩٠٢ النقاط التالية بالنسبة للغة العربية فقال:

١ ـ أن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى لمطالعة القرآن والحديث وسائر الكتب الدين.

٢ ـ أن اللغة العربية ليست غريبة على أفهام العامة، إلا إذا أريد التقعُّر واستخدام الألفاظ الغريبة. أما لغة الإنشاء العصرية فهي شائعة في الصحف والمجلات، يفهمها الخاص والعام.

٣ ـ أنه لا يجوز قياس العربية على اللاتينية. لأن الفرق بين اللاتينية وفروعها أبعد كثيراً من الفرق بين العربية الفصحى وفروعها العامية. العامي الإنجليزي والفرنسي مثلاً ينظر إلى اللاتينية نظره إلى لغة غريبة. أما العامي العربي فإنه يفهم اللغة العربية الفصحى. وإذا فاته فهم بعض الألفاظ، فإن المعنى الإجمالي يندر أن يفوته[1].

٤ ـ أن الزعم بأن اللغة العربية بِدْعٌ في اللغات بامتيازاللغة المكتوبة فيها عن

---

(١) على أن الأوروبيين قد أدركو خطأهم بعد فوات الوقت. فقد بحث بعض علمائهم في استرجاع اللغة اللاتينية لكتابة العلم بها، بحيث تكون لغة العلماء كما كانت منذ بضعة قرون، ولكنهم لم يجدوا إلى الرجوع سبيلا ـ «الهلال» ـ فبراير ١٩٠٢ ص ٣٢١.

http://kotob.has.it

اللغة المحكية زَعْمٌ باطل. فالإنجليز يكتبون العلم بلغة لا يفهمها عامتهم، يسمونها لغة علمية. فالعامي من الفرنسيين لا يفهم أبحاث رينان في فلسفة التاريخ. والعامي الإنجليزي لا يفهم ما كتبه سبِنْسرَ في فلسفة العمران. والعـامي من الألمان لا يفهم ما كتبه شوبنْهوَرَ في فلسفة الوجود.

٥ ـ أن الـذاهبين إلى أن تتخذ كـل أمة عـربية لهجتهـا العاميـة هم القائلون بانحلال العالمَ العربي وتشتيت شمل الناطقين بالعربية. فإن (أمم أوروبا لم يهملوا اللغة اللاتينيـة ويستبدلـوها إلا بعـد أن أصبحت كل أمـة منهم دولة مستقلة يهمهـا الانفصال عن جيرانها أكثر مما يهمها الإنضمام إليهم، لما يقتضيه طلب الاستقلال من المنافسة لمسابقيه. . . .).

إن البحث في مسألة تغيير الحروف العربية، أو إصلاحها إلى وجه آخر، إنما هو بحث فيه مضيعـةٌ للوقت دون الوصـول إلى ما يخفف العبء على المتعلمين. ونحن نعلم أن الغـرض الدفين من هـذه الـدسيسـة ليس هـو تسهيـل القـراءة على المتعلمين، وإنما الغرض منه، كما عرفنا، هو فصل الشعوب العربيـة عن ثرواتهـا الإسلامية، وقطع الصلة بين الأجيال القادمة وبين القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الأعـظم صلوات الله وسلامـه عليه، وسـائر الكتب الإسـلامية المـرسـومـة بـالخط العربي، وفقد الأجيال الجديدة كنوزها الدينية وتراثها العظيم دفعة واحدة.

ولست أدري لماذا يطالبنـا المستشرقـون الإستعماريـون وعملاؤهم بـإصلاح الرسم العربي الموجز.

ونحن نعلم أنه في اللغات الأجنبية كثيراً من المشاكل اللغوية، ومع ذلك فإننا لم نجد واحداً من الناطقين بتلك اللغات ولا واحداً من المستغربين الـذين يرددون أقـوال المستشرقين، ينادي بإصلاح الرسم فيها، فما هذه المفارقات التي تنم عن العداء للإسـلام ومصادرة.

فلماذا بالله لا ينادي المستشرقون بضرورة إصلاح رسم الكتابة الإنكليزيـة أو الفرنسية أو الألمانية وغيرها من اللغـات، التي هي بحاجـة إلى الإصلاح أكثـر من

http://kotob.has.it

حاجة الكتابة العربية، حينما ينادون فيما بيننا بإصلاح رسم الكتابة العربية؟!. ألا يكشف هذا عن أهدافهم السيئة ضد الإسلام واللغة العربية من أساسها؟.

ونحن هنا ننصح بإخلاص كل العملاء من المستشرقين بإصلاح الكتابة الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات اللاتينية.

٢ ـ ومرة ينادون بإصلاح رسم الكتابة العربية عن طريق إدخال عناصر جديدة في بنية كلماتها.

وهذه أيضاً حيلة غير خافية من حيل المراوغة، لأن هذا الإقتراح يحمل من عوامل الهدم مثل الذي يحمله الإقتراح الأول سواء بسواء لأسباب منها:

أ ـ إنه سيؤدي إلى قطع الصلة بين الأجيال العربية القادمة وبين كنوزهم العظيمة، التي تحوي ثرواتهم الدينية والعلمية والأدبية، وهي مكتوبة ومطبوعة بالرسم العربي المتبع.

ب ـ كما سيكون مرحلة تمهيدية تعطي المبررات لتحويل الكتابة إلى الحروف اللاتينية، ما دامت الصلة قد انقطعت فعلاً كلها أو بعضها بالتحوير الجديد، الذي يريدون له أن يتم عن طريق المجامع العربية.

وقد باءت كل هذه المقترحات ولله الحمد بالفشل الذريع أمام وعي أكثرية الشعوب العربية؛ ولن تنجح محاولاتهم بحول الله وقدرته ما دام هناك قلب مؤمن ينبض، ويعرف أكاذيبهم ومزاعمهم الباطلة، ويعرف نواياهم الخسيسة.

هذه السموم وغيرها حاول بثها طائفة من المستشرقين والإستعماريين، وما يزالون يدفعون إلى تبنيها عدداً من أجرائهم وعملائهم والسائرين في أفلاكهم من المستغربين والمفتونين بما يقوله الغربيون. وهي تثور حتى الآن بين حين وحين، فتهيج بعد سكون ثم تعود إلى الكمون، كما تتحصن الجراثيم داخل أغلفتها وأكياسها التي تحيط نفسها بها حين تأنس من قُوى الجسم الدفاعية صلابة وعناداً،

http://kotob.has.it

منتظرة سنوح الفرصة لهجوم جديد في نَوْبةِ تَعَبٍ أو إجهاد أو إضطراب[1].

والذي يَعْرِض ما كتبه الكتّاب في ذلك يحس أن هناك هدفاً واحداً يسعى إليه أصحابه من كل وجه وبكل وسيلة، وهو محاربة الفصحى والتخلص منها. فهم تارة يدعون إلى العامية دعوة صريحة، وهم تارة أخرى يدعون إلى التوسط بين الفصحى والعامية[2]. وتارة يدعون إلى فتح باب التطور في اللغة، والإعتراف بحق الكتاب في تغييرها كيفما كان هذا التغيير وإلى أي مذهب ذهب[3]. وتارة يدعون إلى إسقاط أبواب معيَّنة من النحو، أو تعديل بعض قواعده[4]. فإذا لم ينجحوا في شيء من ذلك

---

(١) تراجع في ذلك المقالات الآتية: الرابطة الشرقية، العدد الثامن من السنة الأولى بعنون «اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى العامية»، الهلال يناير ١٩٠٢ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٢، مارس ١٩٠٢ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٧، ديسمبر ١٩١٩ ص ٢٠١ ـ ٢٠٨، يناير ١٩٢٠ ص ٧٩٧ ـ ٣٠٢، فبراير ١٩٢٠ ص ٣٩٨ ـ ٤٠٣، مارس ١٩٢٠ ص ٤٨٩ ـ ٤٩٧، إبريل ١٩٢٠ ص ٥٨٥ ـ ٥٩٠ «والأعداد الخمسة الأخيرة تشتمل على أجوبة بعض الأدباء والمستشرقين على أسئلة اقترحتها المجلة وسمتها «استفتاء الهلال»، يوليو ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ ـ ١٠٧٧، يوليو ١٩٣٣ ص ١١٨٥ ـ ١١٨٨، نوفمبر ١٩٣٣ ص ١٠٨ ـ ١١٣، ينـايـر ١٩٣٤ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٨ و ٣٢١ ـ ٣٢٨، أغسـطس ١٩٣٨ ص ١١٠٨ ـ ١١١٩. وراجع كذلك مجلة المقتطف في أعداد: نوفمبر ١٨٨١ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤، ديسمبر ١٨٨١ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥، يناير ١٨٨٢ ص ٤٩٤ ـ ٤٩٦، فبراير ١٨٨٢ ص ٥٥٦ ـ ٥٦٠، مارس ١٨٨٢ ص ٦١٨ ـ ٦٢١، إبريل ١٩٨٢ ص ٦٩٠ ـ ٦٩٦، فبراير ١٩٠٢، ص ١٨٧ ـ ١٩١، مارس ١٩٠٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٣.

(٢) راجع العدد السادس من مجلة مجمع اللغة العربية في صفحات ٧١، ١٧١، ١٧٨، راجع كذلك مقال بشر فارس في الهلال، عدد نوفمبر سنة ١٩٣٣ س ٤٢ ص ١٠٨ ـ ١١٣ بعنوان «التجديد في اللغة العربية». راجع كذلك مقالا لسلامة موسى في عدد يوليو عام ١٩٢٦ ص ٣٤ ص ١٠٧٣ ـ ١٠٧٧.

(٣) راجع رد طه حسين على استفتاء الهلال «هل اللغة العربية في حاجة إلى إصلاح» في عدد يناير سنة ١٩٣٤ س ٤٢ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٨. وراجع كلمة أحمد أمين في مجمع اللغة العربية، وهي منشورة في الجزء السادس من مجلته ص ٨٧ ـ ٩٧ تحت عنوان «اقتراح بعض الإصلاح في متن اللغة».

(٤) راجع مقال سلامة موسى في الهلال، عدد يوليو سنة ١٩٢٦ ـ ذو الحجة ١٣٤٤، س ٣٤ ص ١٠٧٣ ـ ١٠٧٧ تحت عنوان «اللغة الفصحى واللغة العامية». وراجع كذلك مقال أحمد أمين السابق في الجزء السادس من مجلة مجمع اللغة العربية. وراجع رد محمد الخضر حسين ورد إبراهيم حمروش عليه في ص ٩٣ ـ ١٠٨ من الجزء نفسه. وراجع تقرير لجنة وزارة المعارف المصرية في تيسير قواعد النحو الصرف والبلاغة، ورد مؤتمر المجمع عليه، في مجلة مجمع اللغة العربية ج ٦

http://kotob.has.it

اكتفوا بالدعوة إلى دراسة اللهجات العامية وحصر مفرداتها وأساليبها ووضع القواعد والمعاجم لضبطها وإحصائها. يَدْعون إلى ذلك باسم العلم، واتباعاً للمناهج الأوروبية في البحوث اللغوية الحديثة. فإذا سألتَ هؤلاء عن هدفهم من هذه الدراسات، قالوا: الأوروبيون يفعلون ذلك. فإذا قلت: ما النفع الذي نرتجيه من وراء هذه الدراسة؟ قالوا: إنها دراسة العلم للعلم، إنها لذة المعرفة المجردة من كل غرض. هذا ما يقوله الخبثاء الذين يُخفون أهدافهم الحقيقية، والمغفَّلون الذين لا يعرفون ماذا يصنعون. أما من أوتي منهم نصيباً أوفر من الجرأة وصلابة الوجه فإنه يقول: إننا ندرس اللهجات لأن فيها أدباً يستحق الدراسة. على أن حجج أعداء اللغة العربية لا تتجاوز الكلام عن صعوبة تعلم اللغة العربية من ناحية، والقول بعجرها عن تأدية أغراضها الأدبية أو العلمية من ناحية أخرى. وربما أضيف إلى هذين السببين سبب ثالث، أكثر دعاة القومية من الكلام عنه، فاللغة الفصحى ـ على حسب تعبير أحدهم[1] ـ (تُبَعثِر وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية، فالمتعمق في اللغة الفصحى يُشْرَب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد، بدلاً من أن يُشْرَب الروح المصرية ويدرس تاريخ مصر).

وقد ظل كثير من أعداء العربية هؤلاء ـ والإنجليز منهم خاصة ـ يحملون بتأييد أصحاب السلطان أو بتأييد الصحف، ويرون أن ذلك هو أقرب الطرق لتنفيذ مؤامرتهم الهدامة[2]. وكانوا يجيبون على اعتراض المعترضين بضياع التراث القديم

ص ١٨٠، ١٩٧. ومن أجرأ ما اقترح في هذا الصدد وأخطره ما جاء في مقال لحسن الشريف نشره بمجلة الهلال، عدد أغسطس سنة ١٩٣٨ ـ جمادى الآخرة عام ١٣٥٧، س ٤٦، ص ١١٠٨ ـ ١١١٩ تحت عنوان «تبسيط قواعد اللغة العربية».

(١) الهلال س ٣٤ ص ١٠٧٦. والمعروف المشهور أن أول من دعا إلى تمصير اللغة العربية هو أحمد لطفي السيد في أوائل القرن العشرين. ومن أعجب العجب أن هذا الداعي إلى تمصير اللغة العربية قد أصبح من بعد رئيساً لمجمع اللغة العربية.

(٢) المقتطف س ٢٧ ص ١٨٩، ١٩٠ حيث يدعو ولمور الصحف للكتابة بالعامية، ويرجو أن يؤيدهم أهل الحل والعقد، وحيث يشير المقتطف إلى أن اومريكيين والإنجليز كانوا يذاكرونه في ذلك. ويقول إن فرض العامية كان ممكناً لو أن محمد علي قد أيده وحمل عليه الناس في كل من مصر وسوريا. وراجع كذلك The spoken Arabic of Egypt ص ١٥ ـ ١٦ من المقدمة. وقد دعا اسكندر المعلوف

http://kotob.has.it

بالتقليل من قيمة هذا التراث تارة، وبإمكان ترجمة الصالح منه إلى العامية الجديدة تارة أخرى. بينما يردّون على اعتراض المسلمين بأن علماء الدين مكلفون بدرس كتبه وتفسيرها. (وهذا هو الجزء الأكبر من عملهم، إن لم يكن كله. وللمسلمين أسوة بالنصارى من اللاتين والأروام. فإن اللاتين يقرأون إنجيلهم باللغة اللاتينية والأروام باليونانية، أو بالمسلمين من الفرس والأتراك فإنهم يقرأون القرآن بالعربية. وأما كتب الفقه قد صار العدول عنها إلى النظام، ولا مانع من كتابة النظام بلغة العام ليفهمه الخاصة والعامة). وربما زعموا أن دراسة القرآن ونحوه وصرفه وأسلوبه هي دراسة عالية لطبقة خاصة، وأن الأدب العربي القديم من شأن خاصة المتأدبين لا عامتهم. وهذه الخاصة تستطيع أن تدرسه كما يدرس طلاب الأدب في الجامعات الراقية أدبي اليونان واللاتين[1].

وحاول بعض أعداء العربية أن يدعموا مزاعمهم ويؤثروا على قرائهم بالأسماء الرنانة، وباسم الوطنية والشعبية[2].

وقد أبطل المدافعون عن العربية كل مزاعم خصومها، نذكر منهم خليل اليازجي الذي أبرز في رده على اقتراح «المقتطف» [العميلة للإنكليز] حول اتخاذ العامية لغة للكتابة سنة ١٨٨١ م نقطتين: أولاهما هي أن اتخاذ العامية لغة للكتابة «فيه هدم بناية التصانيف العربية بأسرها، وإضاعة كثير من أتعاب المتقدمين، ثم تكلُّفُ مثلها في المستقبل». وأما النقطة الأخرى فهي أن عامة الناس وجهالهم

الصحف والمجلات لذلك في مقاله بالهلال عام ١٩٠٢ ص ١٠ ص ٣٧٣ - ٣٧٧. ولم تنجح مساعي الإنجليز في مصر، ولكنها نجحت بعد ذلك في تركيا، حين حمل الكماليون الناس على استبعاد كل الكلمات العربية من اللغة التركية، وحرموا عليهم تعلم اللغة العربية أو التعبير بها، كما قضوا على الحروف العربية واستبدلوا بها الحروف اللاتينية.

(١) المقتطف: عدد يناير ١٨٨٢ مقال «الممكن»، الهلال. عدد مارس ١٩٠٢ مقال «اسكندر معلوف»، وعدد أغسطس ١٩٣٨ مقال «حسن الشريف». وقد ردَّد طه حسين بعض هذه الكلمات في «مستقبل الثقافة» في الفصل الثالث ص: ٢٤١ وما بعدها.

(٢) راجع ما كتبه سلامة موسى في الهلال، عدد يوليو ١٩٢٦ - ٣٤ ص ١٠٧٣ - ١٠٧٧؛ وما كتبه طه حسين في «مستقبل الثقافة الفقرة ٤٩ ص: ٣٤٦ وما بعدها.

http://kotob.has.it

يفهمون العربية الفصيحة ويتذوقونها، على غير ما يدّعيه خصوم العربية، وأكدّ «أن لغة العامة لا تباين الفصيح في غالب الأمر إلا من جهة الإعراب، وهو لا يقف في طريق المفهوم، وما لا يفهمونه من الغريب أو مما هو غريب بالنسبة إليهم، فلأكثره مرادفات من لسانهم من نفس الفصيح؛ وإذا اضطر الكاتب أحياناً إلى إدراج شيء من ذلك الغريب في كلامه يمكنه أن يبيِّن بالقرينة أو بتفسيره عطفاً أو اعتراضاً، وهو على كل حال قليل»[1].

ومع ذلك كله، فالواقع الملموس يكذب كل دعاوي الهدامين، والتاريخ أصدق من كل ما يكتبون. فقد استطاعت العربية البدوية أن تساير الحضارة في بغداد ولم تنهزم أمام الفارسية أو اليونانية أو التركية، واستطاعت أن تسايرها في الأندلس بعد أن فرضت نفسها على البيئة الجديدة. واستطاعت أن تساير ألواناً من الحضارات في خلال أربعة عشر قرناً أو أكثر في بيئات متباينة أشد التباين، وصمدت أمام الغارات المدمرة وخلال الاحتلال الأجنبي الطويل. ثم إن قواعد النحو التي يزعمون أنها معقدة قد استطاعت أن تعيش أكثر من ألف سنة، أنتج الناس خلالها في مختلف الأمصار العربية وغير العربية ثروة من الكتب الصحيحة العربية لا تحصى. وهذه القرون أصدق شهادة لصلاحية النحو من كل ما يزعمون. ويؤيد هذه الشهادة ويقويها أن الناس كانوا منذ قرن واحد أو أكثر قليلاً لا يكادون يقيمون العربية. ولا يقْدرُ على كتابة مقالٍ سليم اللغة إلا نفرٌ قليل منهم. وقد استطاعوا رغم ما لقيت العربية من حرب الاحتلال الجائر خلال فترة طويلة أن يجيدوها فهماً وكتابة في هذه الفترة القصيرة. وهم لم يجيدوها بتبسيط النحو ولا بتبسيط قواعد الكتابة، ولكنهم أجادوها بحفظ النحو وبحفظ قواعد الكتابة. ثم إن مزاحمة العامية للعربية ليست شيئاً جديداً، فقد كانت العربية الفصحى دائماً لغة أدبية، وكان العرب في جاهليتهم لا يتحدثونها في أسمارهم ولا في معاملاتهم. ولكنها كانت وقفاً على الشعر الرفيع الذي يَفِدُ به أصحابُه على الملوك والأشراف،

---

(١) للتوسع راجع المقتطف ـ ٦ ص: ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

http://kotob.has.it

أو يرحلون به إلى المواسم والأسواق، وكان لهم إلى جانبه أدبٌ محَليٌّ يتمثل في أرجازهم وفيما ينشدونه في أسمارهم، مما أهملته كتب الأدب لتفاهة ما ينطوي عليه من المعاني والأغراض، ولضيق مجاله وقلّة عدد المتذوقين له[1]؛ ولكنه يدل على وجود لهجة سوقية إلى جانب اللغة الفصيحة الأدبية في الجاهلية، وامتياز لغة الأدب من لهجات الأمصار التي كان يستخدمها الناس في حاجاتهم اليومية منذ القرن الأول الهجري؛ وهكذا يكذّب التاريخ مرّة أخرى، مزاعم الذين يدّعون أنه لا حياة للعربية إلى جانب اللهجات السوقية التي يسمونها اليوم «العامية».

ونحن نؤكد أن محاولة هدم اللغة العربية الفصحى، هو محاولة أكيدة لبعد المسلمين عن دين الله القويم ورسالته الخالدة لخلقه، ولن يستطيع الأعداء ذلك بحول الله، وهو أيضاً محاولة تحويل للأمة عن مكان القيادة في مجال الدعوة إلى دين الله الحق، وبيان رسالة الإسلام للناس، والقذف بها إلى مؤخرة الأمم، حتى تجد نفسها مضطرة إلى أن تتلقف صدقات الناس بعد أن تركت كنوزها الدينية والأدبية والعلمية؛ وهذا ما يريده للمسلمين الأعداء الغزاة من المستشرقين، والمبشرين، والمستغربين، والمفتونين بزيف حضارة الغرب الزائفة.

ونحن نقول بصدق للمسلمين العرب في كل مكان، أن على كل من يريد لأدبه أن يكون خالداً، أن يكتبه بلغة القرآن الكريم العظيم، الذي تكفل الله بحفظه، قال تعالى: **﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[2]. ومن حفْظِ القرآن الكريم، حِفْظُ العربية الفصحى التي أنزله بها، وسوف لَنْ يَظْفَرَ الأعداء الغزاة بطائل كبير في حربهم لهذه اللغة العظيمة، ما دام الله العلي القدير، منزّل القرآن الكريم العظيم قد تكفل بحفظه، وخير لهم أن يبذلوا جهودهم الطائلة هذه في أمور تنفعهم في بلادهم، وتنفع أمتهم، وليبتعدوا عن هذا الصراع الفاشل مع كتاب الله العزيز، واللغة التي أنزله الله بها.

---

(١) راجع محمد محمد حسين: ديوان الأعشى بشرح وتعليق: التعليق على القصيدة رقم ٤٣.
(٢) سورة الحجر، آية: ٩.

http://kotob.has.it

لقد حاول المستشرقون العفنون، ومن لف لفيفهم على هدم الإسلام الحنيف من كل جانب عبر قرون، فلم يظفروا بإلغائه ولا محوه، ورأوا أنهم كلما زادوا المسلمين مؤامرات ومكايد واضطهاد؛ دار الزمن دورته، فتفجر حقل إسلامي جديد من جهة من جهات الأرض، فقدم نفسه للعالم نوراً مشرقاً، ودعوة خيّرة، وقوّة ذات بأس ومنعة. والحقل الإسلامي يتفجر اليوم في كل مكان في العالم، فقد قضت حكمة رب العالمين، ألا تجتمع هذه الأمة على ضلالة، فلا تزال طائفة منها قائمة على الحق، لا يضرهم من ضلّ وخالفهم، حتى يأتي أمر الله، كما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى جلّت قدرته أن يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لهذه الأمة أمر دينها؛ وأن يقوم في كل عصر من يحمل علم الشريعة ينفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[1].

٥ ـ غزو الفصحى عن طريق صرف الإهتمام بالأدب العربي القديم والعناية بالأدب الشعبي:

هناك من دسائس النصيحة الكاذبة للمستشرقين والمبشرين والمستغربين والمفتونين بزيف الغرب، ومن لف لفيفهم، ونعق نعيقهم، ومن الدعوات الهدامة المشبوهة لهؤلاء باسم النصيحة والإصلاح أيضاً هي محاولة صرف الناس عن الإهتمام بالأدب العربي القديم.

فهي تارة تدعو إلى أن تُخَصَّ الآدابُ القومية بمزيد من عناية الدارسين، فتُعنَى مصر بالأدب المصري، ويعنى العراق بالأدب العراقي، ويعنى الشام بالأدب الشامي، ولبنان بالأدب اللبناني. وتارة تدعو إلى توجيه عناية خاصة للآداب الحديثة. وتارة أخرى تدعو إلى العناية بما يحلو لبعض الناس أن يسميه الآن «الأدب الشعبي». والهدف الأول والأخير من كل هذه المحاولات هو صرف الناس عن

(١) للتوسع راجع كتابنا: دروس من السيرة النبوية الشريفة ص: ١٠٣ وما بعدها.

http://kotob.has.it

الثقافة العربية القديمة، وتقليل العناية بالماضي العربي الإسلامي، شعرِه ونثرِه وتاريخِه وعلومه، بِزَعْمِ أنها قد أصبحت شيئاً قديماً لا يلائم حياتنا ولا يتصل بها.

والجانب الهدام من هذه الدعوة هو أنها تؤدي - من حيث يعرف أصحابها ومن حيث لا يعرفون - وأكبرُ ظني أن أكثرهم لا يعرفون - إلى تفريق المجتَمَع العربي، والإسلامي، الذي يلتقي عند الاشتراك في مناهج دراسة العربية وتذوق أساليبها. فليس في العرب كلهم واحد لا يعرف الأعلام الشامخة في الأدب العربي القديم مثل زهير بن أبي سلمى وعنترة العبسي وعمرو بن كلثوم، وحاتم الطائي والخنساء، والنابغة والأعشى وحسان وجرير والفرزدق والأخطل وأبي تمام والبحتري والمتنبي والمعري وغيرهم من جهابذة أدباء الجاهلية والإسلام. وليس فيهم واحد لا يقع هؤلاء من نفسه موضع الإكبار والإجلال والتوقير. وكل العرب يُسَمُّون الفاعل فاعلاً، ويسمون المفعول به مفعولاً، ويسمون كل باب من أبواب النحو باسم واحد، ويسمون التشبيه تشبيهاً، والإستعارة استعارة، ويُسمون كل باب من أبواب البلاغة باسمه.

فإذا انصرف الناس عن دراسة الأدب القديم، وذهب كل واحد منهم مذهبه في دراسة آداب بلده أو في دراسة الآداب الحديثة أو ما يسمى بالآداب الشعبية، لم يبق هناك قدر مشترك بين ثقافات الجيل القادم من العرب بل المسلمين. وهذا القدر المشترك من الثقافة هو الذي يكوِّن القدر المشترك من الذوق ومن التفكير، الذي لا تفاهُمَ ولا تواصُلَ بغيره. وإذا انصرف الناس عن دراسة علوم الآداب العربية القديمة كالنحو والبلاغة، وجروا وراء كل ناعق يزعم أن القواعد القديمة معقدة، وذهب كل منهم مذهبه في استنباط قواعد جديدة، وتسميةِ المسميَّات بأسماء مبتكرة، لم يفهم أحدُهم عن الآخر. فإذا اختلف مصري وحجازي مثلاً في ضبط كلمة من الكلمات فتحاكما إلى قواعد اللغة، وقال الحجازي هذا فاعل، لم يفهم عنه الذي لا يسمي الفاعلَ فاعلاً ولكنه يسميه (موضوعاً) أو (أساساً) أو (مسنداً إليه)، بحسب اقتراح إحدى لجان وزارة المعارف عنده. وإذا قال أحدهما هذا منصوب لأنه حال أو تمييز

http://kotob.has.it

أو ظَرْفٌ أو مفعولٌ مُطلَق أو مفعول معه أو مفعول لأجله، لم يفهم الآخر الذي لا يميِّز بين حالة من هذه الحالات، لأنه يسميها جميعاً (تكملة). وقس على ذلك سائر قواعد النحو والبلاغة(1).

ذلك هو ما يعلِّل لنا عناية الأوروبيين بتوجيه العرب في دراساتهم الأدبية هذه الوجهة، وصرفِهم عن العناية بالأدب القديم، ودعوتهم علماءهم ومفكريهم لإلقاء المحاضرات، وتأليف الكتب، وشهود المؤتمرات، التي تُعِين على تقوية هذا الإتجاه، بعد أن يقترحوا عليهم موضوع ما يدعونهم لإلقائه وتأليفه من بحوث أو محاضرات أو كتب.

أهم أهداف هذه الدعوة:

١ ـ تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة، بتفريقهم في الدين، وتفريقهم في اللغة، وتفريقهم في الثقافة، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم، حتى لا تتم وحدتهم الكاملة.
٢ ـ قطع ما بينهم وبين قديمهم، والحكم على كتابهم (القرآن الكريم) ثم على تراثهم بالموت. لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض. ونحن نعرف إن المسلمين لن يصيروا أمة واحدة حتى تكون لغتهم وتراثهم واحد.

ومن دسائس النصيحة الكاذبة للمستشرقين ومن لف لفيفهم ونعق نعيقهم لقتل اللغة العربية الفصحى كتابة الأدب الشعبي المحلي من شعر ونثر باللغة العامية الصرفة، أو تطعيم الفصحى بالعامية.

وكان أول من استجاب للكتابة بالعاميات الإقليمية دور الخيالة (السينما) العربية، والمسارح، وكتّاب الأغاني، وبعض أصحاب المجلات الفكاهية، والهزلية، ومروجو الفنون الشعبية.

---

(1) للتوسع راجع: محمد محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٨٢ وما بعدها. مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٦ ص ١٨٨.

http://kotob.has.it

وعلى الرغم من انطلاق هؤلاء المستغربين أو المخدوعين أو العملاء للغرب في هذا المضمار، مع اختلاف الدوافع التى أملت عليهم ذلك، وخاصة الدوافع التي تتصل بمهماتهم الفنية السخيفة الماجنة المفسدة لأجيالينا الصاعدة، فقد ظلّت النسبة العظمى من هذه الكتابات أقوالاً تُسمع ولا تُقرأ، وما يُقرأ منها فهو ذو طابع زمني معيَّن، ينقرض بانقراض زمانه، شأنه كشأن معظم القصص والفكاهات والأمثال العامية، التي تدور على ألسنة العامة في أوقات معينة، ولأسباب آنية، دون أن يجد فيها الجيل اللاحق الأثر الذي كان يجده فيها الجيل السابق.

فالعاميات الإقليمية لن يكتب لها الخلود والبقاء، إذ أن العربية الفصحى أثبتت وستثبت دائماً أنها هي الجديرة بالبقاء لما تتمتع به من رقي لغوي وضبط تام يستطاع معه الطمأنينة على ضمان وسلامة المعاني، وحفظها من الميوعة والتحريف، والبلى مع الزمن.

ونهيب بهؤلاء الذين اختاروا لأنفسهم مسالك الفنون، أن يحذروا من الفنون الساقطة لأنها مخالفة للدين الحنيف، وأن يرتقوا بفنونهم، باللغة الفصحى في مراتب الأدب الرفيع والتوجيه الكريم، إلى مكارم الأخلاق، وإلى مختلف الفضائل الفكرية والنفسية والإجتماعية، وأن لا يجعلوا الميادين الفنية سوقاً لكل رخيص مبتذل، ولا مرتعاً للمباذل اللفظية والعملية، ولا سوقاً رخيصاً للسفاهة والمفسدة، وخاصة في دور الخيالة والمسارح والمجلات الخليعة الرخيصة ذات الصور الفاسدة والمقالات الماجنة التي تفسد جيلنا الإسلامي الصاعد.

وليس الخطر الكبير في الدعوة إلى العامية. ولا هو في الدعوة إلى الحروف اللاتينية. فمثل هذه الدعوات ظاهر الخطر، وأصحابها من مغفَّلي الهدامين. ولكن الخطر الحقيقي هو في أنصاف الحلول. الخطر الحقيقي في الدعوات التي يتولاها خبثاء الهدامين، ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها في أحب الصور إلى الناس، ولا *يطمعون في كسب عاجل، ولا يطلبون انقلاباً كاملاً سريعاً*. ولكنهم يَقنَعون بالتحول الهادىء الذي أشار إليه Gibb حين وصف تطور المجتمع الإسلامي المصري بأنه يسير سيراً هادئاً تدريجياً لا يكاد يسترعي الانتباه. الخَطِرون من خبثاء

http://kotob.has.it

الهدامين هم الذين يزعمون أنهم مشفقون على العربية وأنهم يحمونها من خطر الداعي إلى العامية وإلى كتابتها بالـلاتينية ولـذلك فهم لا يطالبون إلا بتطعيمها بالعامية، ولا يطالبون بأكثر من تعديل بعض قواعدها، ولا يذهبون إلى استبدال الحروف اللاتينية بحروفها. ولكنهم يقترحون تغيير قواعد الإملاء. هؤلاء هم أصحاب الحل الوسط الذين يمثلون في هذه المؤامرة عُضْوَ العصابة الذي تنحصر مهمتُه في التظاهر أمام الضحية بالشفقة عليه والحرص على مصلحته، لتَسْكُنَ نفسُه إليه فراراً من حَمَلَة السكاكين الذين يتهددونه(1). والواقع أنهم جميعاً على سواء. فالمسألة لا تحتمل حلاً وسطاً. إما أن نتمسك بديننا وبوحدتنا، فنتمسك بالعربية ـ كتابةً ولغةً ونحواً وأدباً وثقافةً. وإما أن نُسقِط هذه الاعتبارات من حسابنا، ونسقط في يد المستعمر الغاشم إلى الأبد، وهذا لن يكون بحول الله وقدرته، ما دام هناك قلب مؤمن ينبض بالحياة.

وهناك من خطر المفتونين بزيف الغرب، أولئك الذين يتخفون في زي المسلمين، ويتظاهرون بالدفاع عنه، من فاسدي العقيدة، الذين ينشرون سمومهم باسم البحث العلمي المعمَّق. من هؤلاء المضلين من يكشف الغطاء عن سريرته، ويركب الصراحة في دعايته، ومنهم من يدس الباطل في عبارات يصبغها بما يشبه لون الحق، فيكون أثره في نفوس بعض الأحداث أشد من أثر الداعي إلى الضلالة علانية.

تلك خطة مبيتة حين يريك أصحابها أنهم يذودون عن حوزة الدين واللغة الفصحى، حتى إذا هاجت شهواتهم ضد الإسلام واللغة الفصحى، جروا معها أينما جرت، ووضعوا على أقلامهم أو ألسنتهم طلاء من الرياء. والرياء كالزجاج لا يخفي سرائر هؤلاء المرائين على الناظرين.

فالإسلام الحنيف، على جلاء حقائقه، وروعة حكمته، يُبتلى دائماً بمبشرين ومستشرقين وأفاكين يصدون عن سبيله في لون من المداجاة والرياء، وآخرين يناصبونه العداوة في جهل وغرور.

---

(1) للتوسع راجع محمد محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٨٣ وما بعدها.

http://kotob.has.it

ولكن المسلمين المؤمنين على يقظة دائماً مما يعمل هؤلاء وأولئك، فيقعدون لهم كل مرصد، ويزيحون شُبُههم ويرفعون الغطاء عن سرائرهم، وما تكن أقوالهم، فيذهب باطلهم زاهقاً، وتبقى كلمة الحق هي العليا. وعلينا نحن قول الحق للدفاع عما يصدع به المبطلون من آرائهم المُرْدية، وهي تنطوي دائماً على روح لا يأتي على نفس غافلة إلا أطفأ نورها، وخالطها من الحيرة أو الجحود ما كان بعيداً منها.

وهكذا نرى أن الخطر في هذه الدعوات يقع في العامية نفسها وفي الحروف اللاتينية بعينها، وفي قبول مبدأ التطوير. فالذين يجتمعون اليوم على تكلم عربية واحدة فصيحة، ويلتزمون فيها قواعد موحّدة، لغةً وكتابةً، إذا سلّموا بمبدأ التطوير وأخذوا فيه، فسوف لا يتفقون على سبيل واحد يسلكونه في ذلك. وسيذهب كل واحد منهم مذهباً يغاير مذهب الآخر. ثم إنهم سوف لا ينتهون في ذلك عند حد معين تنتهي عنده سَعَةُ الخُلْفِ بين اللغات الجديدة، الناشئة عن قبول مبدأ التحرر من القواعد، لأن التمسك بها والتزامَ طريقها هو العامل الوحيد الذي ضبط تطوُّر العربية وصان وحدتها خلال أربعة عشر قرناً. فأصبح القرآن بفضل ذلك وكأنه أُنزل فينا اليوم، وأصبح شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكُتّابها وأطباؤها ورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها وكأنهم كتبوا ما كتبوا وألّفوا ما ألّفوا بالأمس القريب. وتلك ميزة مَنَّ اللهُ بها علينا ولم تحظ بها أمة من الأمم. وليس ذلك كلُّه إلا بفضل اجتماع المسلمين على قداسة اللغة التي نزل بها القرآن، والتزامهم أن لا يخرجوا على أساليبها وقواعدها. على أن ذلك لم يكن في يوم من الأيام داعية إلى تحجُّر اللغة وجمود مذاهب الفن فيها، ووقوفها عند حَدٍّ تعجز معه عن مسايرة الحياة. فليس التطور نفسُه هو المحظور، ولكن المحظور هو أن يخرج هذا التطور عن الحدود المقررة المرسومة. وذلك يشبه تقيد الناس في حياتهم الإجتماعية بقوانين الدين والأخلاق. فليس يعني ذلك أنهم قد استُعْبِدوا لهذه القوانين، وأنها قد أصبحت تَحُول بينهم وبين مسايرة الحياة. ولكنه يعني أنهم يستطيعون أن يَغْدُوا وأن يَروحوا كيف شاءوا، وأن يستمتعوا بخيرات الدنيا وطيباتها ويتصرفوا في مسالكها ويمشوا في مَنَاكبها، كلُّ ذلك في حدود ما أحلَّ الله، وكل ذلك مع الالتزام بالوقوف عند حدود

http://kotob.has.it

الله. كذلك اللغة، وَضَعَ اللغويون والنحاة لها حدوداً طابقوا بها مذهب القرآن وشِعْرَ العرب، وتركوا للناس مِنْ بَعْدُ أن يستحدثوا ما شاءوا من أساليب، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض، وأن يجدِّدوا ما أحبوا مما يشتهون. ولكن كل ذلك ينبغي أن لا يخرج بهم عن الحدود المرسومة. فماذا في ذلك غيرُ ضمان الاستقرار، والحرص على جمع الشمل؟ ولماذا نشتهي أن تتبلبل ألسنتنا حتى لا يفهم بعضُنا عن بعض، كما تَبَلْبَلَت ألسنة الذين كانوا مجتمعين على اللاتينية فتفرقوا فيها؟ وأيُّ ربح قد جنوه مِنْ بعد؟ وأي مزايا حققوها مما لم تكن تحققه لهم وحدتُهم اللغوية؟ وهل وقع بعضُهم في بعض، ووَلَغَ بعضُهم في دماء بعض، إلا من آثار هذه الفُرْقة اللغوية، التي جعلت منهم أمماً بعد أن كانوا أمة واحدة، والتي ترتب عليها أن فقدوا وَحْدَتَهم المسيحية، ثم لم يستطيعوا أن يعودوا إليها بحال؟ وها هم يحاولون في أوروبا اليوم العودة إلى وحدتهم؛ وأنى لهم ذلك بعد أن فقدوا لغتهم اللاتينية التي كانت موحدة لشعوبهم[1].

ونحن نقول بصدق لأبنائنا، ونهمس بإخلاص للعالم أجمع، أنه لن يبق في أمتنا إلى نهاية العالم سوى مجد اللغة العربية الفصحى والثقافة العربية، وهو مجد تلك الثورة الفذّة التي انبعثت في القرن السابع للميلاد، وانتشرت ألويتها في أقل من قرن، من المحيط إلى المحيط. فهذه الثقافة ثقافة حيَّة، نعيش في أجوائها ونمرح في أهوائها، ونهتدي بأنوارها.

وكلما حاول أناس من المستشرقين، أو المبشرين، أو المستعمرين، أو المتعصبين الهدامين، أو المستغربين المفتونين بزيف الغرب، أو العملاء المأجورين وغيرهم، بالدعوة إلى العربية العامة، رأوا من حرص المتمسكين بالفصحى ما يقف سداً منيعاً في وجوههم، ويرد كيدهم في نحورهم.

(١) للتوسع راجع محمد محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ ٢ ص ٣٨٧ وما بعدها.

http://kotob.has.it

٦ ـ دغدغة العواطف القومية القديمة للتحويل عن الإسلام واللغة العربية الفصحى:

إستغل المستشرقون والمبشرون والمستعمرون وغيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين، دغدغة العواطف القومية القديمة، لتحويل الشعوب الإسلامية عن الإسلام واللغة العربية الفصحى، وكان لدغدغة هذه العواطف وجوه كثيرة المكر، يحملها الأجراء، وينخدع بها كثير من صغار العقول. وكان هؤلاء على اختلاف نزعاتهم، وعلى اختلاف البراقع التي وضعوها على وجوههم، ذوي اتجاه واحد، رغم اختراعهم العديد من الوسائل للدفاع عن نظرياتهم التي لم تخف عن أولي الأبصار المؤمنين.

وكان لهؤلاء الأعداء من وراء ذلك هدف مهم، إلى جانب تحويل الأمة عن اللغة العربية الفصحى، هو إضعاف **العصبية الدينية** أيضاً، وتقطيع أوصال المسلمين في الخلافة العثمانية، حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحداً واحداً؛ لأن الخلافة العثمانية كانت قوة روحية عظيمة، قادرة على جمع كلمة الشعوب الإسلامية باسم الدين ضد الدول الإستعمارية الأوروبية.

وكان المندوب الإنكليزي في مصر «كرومر» مثلاً، يدرك ما تنطوي عليه تعاليم الإسلام من الحث على الجهاد، وإعلاء مرتبة المجاهدين في سبيل الله، والحط من شأن القاعدين عن القتال، والدعوة إلى الأخذ بأسباب القوّة، حتى لقد وصف المسلمين بأنهم من انصاف الهمج المحبين للحروب، الذين لا تتسع صدورهم لأي تسامح، ووصف الإسلام بأنه قد جعل فكرة الإنتقام والبغض أساساً لعلاقة الإنسان بالإنسان[1].

لذلك عمل الإنكليز وغيرهم من المستعمرين والمستشرقين على إخماد جذوة العاطفة الدينية الإسلامية، حين أيقنوا أنها مصدر خطر محقق، وأنها المعين الذي لا

---

(١) Modern Egypt (vol II) p: 569 - 570.

http://kotob.has.it

ينصب ببغضهم والدعوة إلى قتالهم، وظلوا يتهمون عامة الشعب المسلم بالتعصب الديني، ويكررون هذه التهمة في كل مناسبة، وفي غير مناسبة، حتى توهَّم السُّذج من الناس أن التعلق بالدين عيب ذميم، يجب أن يبرأوا منه؛ وظلت الصحف العميلة، والكتاب المأجورون للإستعمار، والمتغربون من أمتنا يتحدثون عن التسامح وعن الإنسانية في كتاباتهم، حتى توهم بعض السذج أن من سمو الخلق ورحابة الصدر، أن تحب الناس جميعاً، حتى المعتدين والمغتصبين الذين يحتلون ديارهم بغير حق. ولم يزالوا يحدثون عامة الشعب عن المصلحة، لينزلوا بالوطنية أيضاً عن مرتبتها العالية إلى درجة مادية تزيل عنها كل هالة، وتجعلها سعياً وراء القوت، ومحاولة لتحسين الحال. وكانت سياسة هؤلاء الأعداء تدور دائماً حول خطتهم السياسية المشهورة «فَرِّقْ تَسُدْ» «Devide in order to conquer»[1].

أما بالنسبة لدغدغة العواطف القومية القديمة للتحويل عن العربية الفصحى، فنرى هؤلاء الأعداء من المستشرقين، والمستعمرين، وكذلك من المتغربين المحليين يكتبون بالدعوة إلى القومية في البلاد العربية والإسلامية وهم المتغربون المتأثرون تأثيراً واضحاً بالتفكير الأوروبي كما يبدو من خطبهم وكتاباتهم الكثيرة[2]. إذا ظهر هؤلاء بين ذوي الأعراق الهندية مثلاً أثاروا فيهم القومية الهندية ولغتها السنسكريتية الأولى، وربطوا في أفكار الهنود التأخر عن ركب الحضارة الحديثة بصلتهم بالإسلام، وبنفوذ اللغة الأردية التي وحدت شعوب هذه البلاد إثر الفتح الإسلامي تحت راية واحدة، والتي كتبت بها علومهم وآدابهم التي تصلهم بالإسلام والمسلمين. وإذا ظهروا مثلاً في تركيا أثاروا بين الأتراك عواطف القومية التركية الطورانية، وصوروا لهم أن المدنية والحضارة التركية من أقدم الحضارات، ولا صلة لها بالحضارة الإسلامية، وحاولوا خداعهم بذلك؛ ثم صوروا لهم أن طريق مجدهم رهن بقطع صلتهم بالشعوب الإسلامية عامة والعربية خاصة، ورهن بالسير في

---

(١) للتوسع راجع محمد محمد حسين: الإتجاهات الوطنية جـ١ ص ١١١ وما بعدها.
(٢) المرجع السابق ص ١١٤ وما بعدها.

http://kotob.has.it

الركب الأوروبي الحديث. واستجابت جمعية «تركيا الفتاة» وكان أكثر أعضائها من الماسون، وكذلك جمعية الإتحاد والترقي لهذه الدسائس، وقادهما المأجورون والأعداء المقنعون، والرعاع المستغفلون، وأثاروا عوامل التفرقة بينهم وبين سائر المسلمين، وبذلك تقطعت حبال قوية من روابط الوحدة الإسلامية، وانهارت قوة الخلافة العثمانية بعد ذلك. فجمعية «تركيا الفتاة» الماسونية حرَّكت الثورة التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد، والتي كان الإنقلاب الكمالي بعد الحرب العالمية الأولى إمتداداً لها. وتسلم «كمال أتاتورك» دفة الحكم وأعلن الإنقلاب والخطة العلمانية، وألغى الخلافة الإسلامية، وحرَّم على الشعب التركي النطق باللغة العربية، حتى في عباداته الدينية، والغى الكتابة بالحرف العربي، وجعل مكانه الكتابة بالحروف اللاتينية، حتى لقد قال أحد غلاة الكماليين من الترك في أحد كتبه وهو «آغا أوغلي أحمد» مفتخراً بتقليد الأوروبيين: «إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين، حتى الإلتهابات التي في رئيهم والنجاسات التي في أمعائهم»(١). [دون تعليق].

وجنى الأعداء الغزاة ثمرة دسيستهم، واستطاعوا بذلك أن يفصلوا مسلمي الترك عن مسلمي العرب حقبة من الزمن؟. وهذا ما جعل المستشرق الألماني «كامغماير» يقرر في شماتة فيقول: «إن تركيا منذ حين لم تعد بلداً إسلامياً، فالدين لا يدَّرس في مدارسها، وليس مسموحاً بتدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس. . وإن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية. . .»(٢).

ونحن نقول لصاحب هذا التقرير بأنه تظهر والحمد لله في تركيا اليوم نهضات مباركة مضادة لأعمالهم، ولن يستطيع أحد أن يطفىء نور الله؛ فالبشائر الإسلامية

---

(١) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم جـ ١ ص ٣٦٩ هامش.

(٢) للتوسع راجع حبنكة: أجنحة المكر ص ٣٧١ وما بعدها.

http://kotob.has.it

في تركيا قد ظهرت والحمد لله، وستتفجر عيونها بحول الله وقدرته من ثنايا الصخر نفسه الذي سدَّ به المستشرقون وأعوانهم ينابيع الحق والهداية. كلمة أقولها لهذا المستشرق العفن، وستبقى ذئاب البشر تقتتل على هذه الدنيا الفانية. وإذا ظهروا بين **الشعوب العربية** بشكل عام، أثاروا بينهم القومية العربية، وتصيدوا لهم أخطاء الشعوب الإسلامية الأخرى ضدهم.

ولكن المستشرقين وأعوانهم إذ يتظاهرون بالدعوة إلى القومية العربية، لتقف صفاً واحداً في مواجهة القوميات الإسلامية الأخرى، فإنهم يظلون في حالة تخوف من وحدة الشعوب العربية، لأنهم يخشون أن تظل هذه الشعوب على صلة بمصادر الدين والفقه الإسلامي، وتاريخ المسلمين وعلومهم؛ فكان لا بدَّ لهم من سلوك خط السير الآخر، بعد أن فصلوا المسلمين من العرب عن سائر الشعوب الإسلامية، تحت ستار القوميات، وذلك بأن يتابعوا التجزئة، فيجزئوا الشعوب العربية إلى قوميات أصغر، وأقل تجمعاً عددياً من القومية العربية، بإثارة قوميات تاريخية قديمة عفى عليها الزمن عند العرب.

وإن ظهروا بين **الأكراد**، أثاروا فيهم القومية الكردية [كما يجري حالياً عام ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م]، أو بين **الكلدان** أثاروا القومية الكلدانية، أو في **العراق** أثاروا فيهم القومية البابلية والأشورية. وإذا ظهروا في سورية ولبنان والأردن حاولوا أن يدغدغوا في سكان هذه البلاد عواطف القومية السورية الواسعة، مستغلين أمل شعوب هذه البلدان بالوحدة الكبرى؛ أما إن ظهروا في **لبنان** فنراهم يحاولون إثارة القومية الفينقية؛ وإن ظهروا في **مصر** دغدغوا في المصريين العواطف الفرعونية، وأحيوا بينهم تاريخ رمسيس، وبناة الأهرام، وإذا ظهروا في **شمال افريقيا** أثاروا بين سكانها القومية البربرية، وتظاهروا بالحماسة للهجاتها، وأسرعوا يضعون مختلف الكتب التي تتضمن دراسة اللهجات البربرية وقواعدها، لإحلالها محل العربية الفصحى، بينما يكتب هؤلاء المستشرقون التقارير السرية إلى حكوماتهم الإستعمارية، عن غاياتهم الحقيقية؟ ويصف لنا الدكتور حسين الهراوي تقريراً من لجنة العمل المغربي الفرنسية وقع في يده فيقول: «فرأيت هذا التقرير يتبع السياسة

http://kotob.has.it

الإستعمارية، ويصف مقاومة الإسلام والتقارير السرية التي يرسلها المستشرقون في البلاد المستعمرة إلى حكوماتهم لمقاومة الإسلام، لأن روحه تتنافى مع الإستعمار، وأن أول واجب في هذا السبيل هو التقليل من أهمية اللغة العربية، وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحلية في شمال افريقيا واللغات العامية، حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم ويمكن التغلب على عواطفهم»(١).

وكذلك يفعلون دائماً، ففي كل شعب لهم وجه، وفي كل أمة لهم طريقة، وفي كل حالة لهم لبوس. والهدف الذي يرمون إليه على اختلاف أقنعتهم واحد، والغاية واحدة، إلا وهي هدم الإسلام، وإبعاد الشعوب الإسلامية عنه، وتفتيت وحدة هذا الجبل المنيع الذي يضم الشعوب الإسلامية برابطة الإسلام القوية المتينة، وهدم اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم.

٧ ـ غزو الفصحى بالمفردات الأجنبية الدخيلة:

في العالم العربي اليوم غزو جديد تعرضت له اللغة العربية، إنه غزو متنها بالمفردات الكثيرة الدخيلة من اللغات الأجنبية الشرقية أو الغربية، مع إمكان ترجمة هذه المفردات بما يفهمه الناطق العربي من لغته. وقد نفَّذ هذا الغزو بقصد، مترجمو الكتب والبحوث الأجنبية، وخاصة مستوردو الأفكار التي يريدون لها أن تغزو المعاقل الإسلامية، وتكسر أسوار الحصون الفكرية عند المسلمين. وقد تعمَّد هؤلاء أن يبقوا لهذه الألفاظ ظلها الغامض، حتى يكون لغموضها إشعاع سحري، يجعل لها تأثيراً على نفوس ضعيفة أمثال الببغاوات من السذج البسطاء الذين تعلموا صناعة القراءة والكتابة، فهؤلاء يرددونها دون أن يفقهوا معانيها وما ترمي إليه، وهم يظنون بغباء أن كل ما يأتي به العلم الغربي الحديث ينبغي أن يكون بلغة لا يفهمونها.

---

(١) الهلال، عدد يناير ١٩٣٤ ص ٤٢؛ للتوسع راجع ص ٣٢١ ـ ٣٢٨ تحت عنوان «هل ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم. أيضاً للتوسع راجع مقالي اسكندر المعلوف في العددين: الأول والثالث من مجلة مجمع اللغة العربية فيما ألفه الأوروبيون من كتب عن اللهجات السوقية في الأمصار العربية المختلفة.

http://kotob.has.it

وامتلأت الكتب الحديثة والمجلات والصحف والخطابات والمحاضرات في الأندية والإذاعات وقنوات المرناة وسائر وسائل الإعلام من مسموعة ومرئية بهذا السيل الجارف المخيف المتدفِّق على متن اللغة العربية الفصحى من المفردات الدخيلة الشرقية والغربية.

ولست أدري ما حاجة لغتنا العربية إلى إدخال مثل كلمة «بيولوجي» في متنها، مع إمكان ترجمتها بما يساوي معناها المراد وهو «علم الحياة»؛ أو إدخال كلمة «سيكولوجي» مع إمكان ترجمتها بما يساوي معناها وهو «علم النفس»؛ أو إدخال مثل كلمة «ڤيزيوجي» مع إمكان ترجمتها بما يساوي معناها وهو «علم وظائف الأعضاء». هذا إلى جانب «انسكلوبيدي» وترجمتها «دائرة معارف»، و«راديو» وترجمتها «مذياع»، و«تلفزيون» وترجمتها «مرناة» و«ڤيديو» وترجمتها «تسجيل مرئي» و«سينما» وترجمتها «خيالة» وغيرها. ونظير ذلك كلمات كثيرة مثل: جيولوجي - ايديولوجي - سيسيولوجي - انتروبولوجي - ديماغوجي - ديكتاتوري - ديمقراطي - أوتوقراطي - ارستقراطي - بروليتاريا - راديكالي - فولكلور - كوكتيل إلى آخر هذا الحشد من المفردات الدخيلة، التي بدأت تغزو متى اللغة العربية من غير حاجة إليها، لإمكان ترجمتها بما يدل على معناها من اللغة العربية الفصحى.

اما الأعلام الأجنبية كأسماء الأشخاص، وأسماء الأدوية، وأسماء البلدان، فهذه لا مانع من قبولها بألفاظها، وقد قبلت اللغة العربية منذ القديم مثل هذا النوع.

إن قبولنا بتحدي هذه الكلمات الأجنبية في غزوها لغتنا العربية، يعتبر استسلاماً لا يقبل به مسلم حريص على لغة القرآن الكريم. ولا شك أن المحذور الخطير في الأمر هو أن ترديد هذه المفردات الدخيلة وأمثالها، وتداولها على الأسماع العربية، فإنه بعد فترة يسيرة من الزمن تنسى ترجمتها العربية، ويصير الدخيل أصيلًا، ومن شأن هذا الأمر أن يعبِّد الطريق أمام موجات جديدة من المفردات الأجنبية العديدة، التي يراد لها أن تغزو لغتنا العربية، وحينما يكثر الدخيل الذي يزاحم المفردات العربية، ويحل محلها، تصبح مهمة حملة لواء عزل العربية الفصحى عن ميادين الكتابة والعلم أسهل كثيراً من ذي قبل، وعندها يرى الماكرون

http://kotob.has.it

بنا أن الفرصة قد سنحت لهم، لإقامة الجدار الغليظ بين الشعوب العربية وبين اللغة العربية الفصحى، ويرون بذلك أنهم عزلوا العرب المسلمين عن المصادر الإسلامية، التي ما تزال تجدد فيهم شباب العقيدة والنظم والتعاليم الإسلامية العظيمة.

ولكن لن يستطيعوا مهما حاولوا بقدرة الله عزَّ وجل. فالله تبارك وتعالى سيحفظ كتابه القرآن الكريم رغم مخططات أعداء الإسلام ضده، وسيحفظ اللغة العربية التي أنزل كتابه بها، حتى يظل نوره مشرقاً، ويستمر تعليمه حجة على الناس، ويبقى صلة دائمة بين الله جل وعلا، ومن يريد أن يسلك سبيل الهداية من عباده، والله متم نوره ولو كره الكافرون(١).

٨ ـ ردود على مزاعم خصوم الفصحى:

من جيِّد الردود المنطقية التي ظهرت إبان دعوة المستشرق «ولكوكس» وغيره من المستشرقين العفنين وأنصارهم من المتغربين إلى العامية وهجر اللغة العربية الفصحى، رد الأستاذ «إبراهيم مصطفى»، إذ بيَّن فيه أن العربية الفصحى تحتل أرقى درجة من درجات الكمال التي تحتلها اللغات المنتشرة في العالم، وذلك بحسب صفاتها الذاتية، واستناداً إلى المقارنات الموضوعية بينها وبين سائر لغات العالم.

لقد أشار «إبراهيم مصطفى» إلى ما قام به علماء اللغات من تقسيم اللغات على تباينها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لغات آحادية المقاطع، وهي خالية من حروف المعاني، وعدد كلماتها أقل من غيرها بكثير، ومن أمثلة هذا القسم اللغة الصينية.

(١) للتوسع راجع حبنكة: أجنحة المكر ص ٣٨٠ وما بعدها.

http://kotob.has.it

القسم الثاني : لغات مزجية، وهي لغات تعتمد على ضم الكلمات بعضها إلى بعض للدلالة فيها على النسب الزمانية والمكانية وغيرها. ومن أمثلة هذا القسم اللغة اليابانية.

القسم الثالث : لغات إشتقاقية، وهي لغات تكون الدلالة فيها على مختلف النسب المتعلقة بالزمان أو المكان أو العدد أو الكيفية أو النوع أو غيرها، بتغيير صور كلماتها عن طريق التصريف والإشتقاق، مع المحافظة على المادة الأصلية للكلمة، وللغات هذا القسم حروف معانٍ تربط الألفاظ والتراكيب بعضها ببعض، ومن أمثلة هذا القسم اللغة العربية الفصحى، واللغات الأوروبية، ولكن اللغة العربية تحتل المرتبة الأولى بينها، لأنها تمثل حالة راقية من حالات التقدم الحضاري في الميدان اللغوي.

إن القسم **الأول** من هذه اللغات إنما يمثل طوراً بدائياً من أطوار الحضارة اللغوية، ولا يفي بالتعبير عن كل حاجات الأمم المتقدمة حضارياً؛ ويتبعه القسم **الثاني** فيمثل طوراً أرقى نسبياً من الطور الأول، وهو مع ذلك لا يفي كل الوفاء بالتعبير عن كل حاجات الأمم المتقدمة حضارياً، وأما القسم **الثالث** فهو القسم الذي يمثل أرقى تطور لغوي يفي بالتعبير عن جميع المعاني التي تحتوي عليها الحضارات الراقية.

ثم أجرى مقارنة بين العربية الفصحى وسائر اللغات الإشتقاقية، فأثبت أن العربية امتازت بخصائص تجعلها من أليق وأجمل اللغات وأكثرها تلبية لحاجات العلوم، فمن خصائصها الأمور التالية:

أولاً : سعتها، أي كثرة عدد مفرداتها، فبينما نجد عدد كلمات اللغة الفرنسية نحواً من خمسة وعشرين ألفاً، وعدد كلمات اللغة الإنكليزية نحواً من مئة ألف، ومعظم هذا العدد اصطلاحات علمية وصناعية، نجد عدد مواد العربية الفصحى نحواً من أربعمائة ألف مادة، وبسبب غنى العربية

http://kotob.has.it

وسعتها نجد فيها للمعاني الشديدة التقارب كلمات خاصة بكل معنى الكلمة، مهما كانت درجة التفاوت، وبذلك لا يكون محلٌ للإلتباس أو الإبهام اللذين هما آفة العلم والأدب.

ثانياً : توغلها في ميدان الإشتقاق، متابعة للمعاني المترابطة ببعضها، فللمادة الواحدة مصدر للدلالة على المعنى مجرداً عن الزمن، وأفعال بعضها يدل على المعنى مقترناً حدوثة بالزمن الماضي، وبعضها يدل على المعنى مقترناً حدوثه بالزمن الحاضر أو المستقبل، وبعضها يدل على المعنى مقترناً بالأمر بفعله، وللمادة أيضاً صيغة تدل على الشخص الذي فعل ذلك المعنى أو قام به، وتسمى اسم الفاعل، وصيغة أخرى تدل على المفعول به، وثالثة تدل على زمانه، ورابعة تدل على مكانه، وخامسة تدل على النسبة، وسادسة على التفصيل، وسابعة على التعجب، وثامنة على التصغير، وهكذا.

وليس في أية لغة من لغات العالم هذا الإنطلاق اللغوي المترابط في ميدان الإشتقاق اللفظي، المناظر والمناسب لترابط المعاني فكرياً.

ثالثاً : معظم مشتقاتها تقبل التصريف إلا فيما ندر منها، وهذا يجعلها في طوع أهلها أكثر من غيرها، ويجعلها أيضاً أكثر تلبية لحاجة المتكلمين.

وبهذا نستطيع أن نجعل اللغات العالمية مرتبة من الأدنى إلى الأعلى على الوجه التالي:

١ ـ اللغات آحادية المقاطع، وهي في المرتبة الدنيا.
٢ ـ اللغات المزجية، وهي في المرتبة الثانية.
٣ ـ اللغات الأوروبية، وهي في المرتبة الثالثة.
٤ ـ اللغة العربية الفصحى، وهي أرقى اللغات وأمثلها بالعلم.

وعلى هذا التحليل العلمي المتين، كان رد الإستاذ ابراهيم مصطفى على

http://kotob.has.it

خصوم العربية الفصحى، إذن فالذين يحاولون أن يحلوا العامية محلها، يريدون أن ينحطوا بالأمة العربية في ميدان الحضارة اللغوية، إضافة إلى أغراضهم الأخرى، الرامية إلى فصل المسلمين عن مصادر الإسلام، وتجزئة الأمة العربية.

أما الحجج الواهية التي يلوكها خصوم العربية الفصحى في محاولتهم إحلال العاميات محلها فلا تستطيع أن تقف في وجه حقيقة اللغة العربية إلا موقف اللص الجبان، الذي يحاول أن يسرق الإنسان من نفسه، ويجعله يتنازل طائعاً عن جزء من كيانه، وعنصر من عناصر قوته. إن حججهم لا تعدو أن تكون مخادعة كلامية لا أساس لها من الحقيقة(١).

٩ ـ كيف نتعامل مع أعداء اللغة العربية الفصحى:

تحرص كل الشعوب على لغاتها، وتحاول الإحتفاظ بها، ونشرها في أنحاء العالم؛ كما يفعل الإستعماريون العالميون، وغيرهم من ذوي النزعات القومية، وقد يصل التعصب ببعضهم إلى رفض تعلم لغة أخرى.

وتفاخر الأمم بالروائع العلمية والأدبية المكتوبة بلغاتها والمصوغة بألسنتها، إذ تشعر بالمجد لصورة الرقي الذي بلغه أسلافها. بينما تشعر أمم أخرى بالخجل الشديد إذا لم تجد في تاريخها الغابر روائع علمية وأدبية، تبرهن لشعبها وللعالم على مدى الرقي الذي بلغه أسلافها.

واللغة العربية الفصحى، تحوي والحمد لله دائماً، على ذخائر الروائع العلمية والأدبية، التي لا تطاولها ذخائر أخرى في العالم؛ لذلك حق لأمتنا في جميع عصورها أن تفخر بهذه الذخائر، وأن تحرص عليها، وذلك بالمحافظة على متن لغتها الراقية، وقواعدها التي كتبت بها هذه الذخائر، وضبطت بها علومها وآدابها.

وجدير بالأمة العربية فوق ذلك أن تفخر بالشرف العظيم الذي منحها الله إياه،

(١) للتوسع راجع حبنكة ص ٣٦٤ وبعدها.

http://kotob.has.it

إذ أنزل بلغتها العربية الفصحى القرآن الكريم المجيد، آخر الكتب الربّانية للناس وخاتمها، وجامع زبدة ما أنزل فيها من علم وهداية، وقد امتنَّ الله على رسوله ﷺ وعلى الأمة العربية بهذا التشريف؛ قال تعالى جلَّت قدرته ﴿**فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون**﴾[1].

أي إن القرآن الكريم لشرف عظيم لك ولقومك، إذ أنزل باللغة العربية التي تنطقون بها، فتوِّج ذخائر علومكم وآدابكم بتاج المجد الخالد، الذي لا يطاوله مجد آخر، لما يتمتع به من حكمة وحق وإعجاز في لفظه ومعناه.

وإذا اختار الله رب العالمين، اللغة العربية الفصحى لإنزال آخر كتبه للناس بها، الجامع لزبدة ما في الكتب السابقة من هداية وحكمة، والذي أعدَّه الله للخلود وتعهَّد بصيانته وحفظه من التحريف والتبديل والنسيان والضياع في لفظه ومعناه، فمن المؤكد أن يكون لهذا الإختيار حكمة تتصل بجوهر هذه اللغة وخصائصها، لذلك نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تنوِّه بأنه قرآن عربي: منها قوله جلَّت قدرته وعلت في سورة الشعراء: ﴿**نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين. وإنه لفي زبر الأولين**﴾[2].

فالقرآن الكريم العظيم نزل بلسان عربي مبين؛ واللسان العربي هو اللغة العربية الفصحى التي أنزل الله بها القرآن العظيم. والقرآن الكريم ليس بدعاً بين الكتب المنزلة، فما احتواه من هداية وحق وحكمة قد أنزله الله موزعاً في كتب الرسل الأولين، وهذا ما دلّ عليه قول الله تعالى جلت قدرته: ﴿**وإنه لفي زبر الأولين**﴾. ومنها قول الله تعالى في سورة (يوسف): ﴿**إنا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾[3]، وقوله تعالى جل وعلا في سورة (الزخرف): ﴿**إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون. وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾[4].

---

(١) سورة الزخرف، آية ٤٣ ـ ٤٤.
(٢) سورة الشعراء، آية ١٩٣ حتى ١٩٦.
(٣) سورة يوسف، آية ٢.
(٤) سورة الزخرف، آية ٣ ـ ٤.

http://kotob.has.it

أما الذين يحاولون صرف الأمة العربية، والشعوب الإسلامية عن العربية الفصحى من المستشرقين ومن لف لفيفهم، فهم يعملون ليخلعوا عن هذه الأمة مجدها العظيم.

لقد كانت الخطة الذكية التي سلكها الأعداء الغزاة، المشتملة على استئجار أجراء ضعفاء النفوس، من داخل البلاد الإسلامية، لتحقيق أهدافهم في هدم الإسلام، لأنها كانت أكثر نجاحاً من خططهم السابقة التي واجهوا بها المسلمين صراحة، وهم يعلنون عداءهم الصريح لهم ولدينهم ولماضيهم وكل ما يتصل بهم. فهؤلاء المأجورين يتخفون في زي المسلمين، ويتظاهرون بالدفاع عنه، من فاسدي العقيدة، ويبذلون أقصى جهدهم في نشر سمومهم باسم البحث العلمي، حتى تنطلي حيلتهم على قصار النظر من السذج المساكين.

كذلك هناك أبناء المسلمين الذين تربوا على أيدي أعداء الإسلام، وتأثروا بهم، كانوا أكثر إنفاذاً لأفكار الغزاة وأكثر نشراً لها داخل المجتمعات الإسلامية من الأعداء أنفسهم والأجراء؛ لأنهم من المسلمين، ويستطيعون أن ينفذوا إلى مراكز القيادة في بلادنا، ويجد كل منهم عشيرة تناصره، وجماهير تحسن به الظن، لأنه بالظاهر غير متَّهم من قومه، لأنه منهم، مع أنه بالحقيقة قد خرج بأفكاره وعواطفه الصادقة عن أمته، خروجاً بيِّنا، بسبب عملية الصهر البطيء وغسل الدماغ، اللذين تعرض لهما من قبل أعداء قومه ودينه، منذ نشأته في المدارس التي تطبق خطط الأعداء، فهو في إساءاته لأمته المسلمة وأمجادها وحضارتها، يحسب أنه يصلح ولا يفسد؛ بل يظن أنه يساهم في تقدم أمَّته لا في تأخرها. وهذا المسكين المخدوع شرٌّ على أمته من الخائن العميل، لأن الأجير العميل يعمل بمقدار الأجر الذي يدفع له، ويظل جباناً خائفاً يحاذر الفضيحة. أما هذا المسكين المخدوع فإنه يقوم بأعمال الهدم باذلاً كل قوتَّه، متحمساً للأفكار الفاسدة التي حملها حتى أصبحت جزءاً من كيانه النفسي والفكري. وبحول الله تعالى نستطيع إصلاح ما أفسده الأعداء، بالتوعية والإقناع، والترغيب والترهيب، والتربية الدينية والعلمية الصالحة والتقويم القسري.

http://kotob.has.it

فلو تسنى للمصلحين الظفر بإقناع الذين انحرفوا من أبناء أمتنا، حتى يعلموا أنهم قد كانوا ضحايا غزو فكري أعده أعداء أمتهم بإحكام بالغ، لهدم مباني دينها ومجدها التاريخي، لانقلبوا بقوة أشد عنفاً على أفكارهم التي حسبوها خيراً وهي شر لهم ولأمتهم، ولعادوا إلى تدعيم مجد الأمة بكل ما أوتوا من قوة.

وما على الطلائع المؤمنة بالحق والخير إلا أن تضطلع بمهمة نشر ما تؤمن به، غير متواكلة ولا متخاذلة.

وفي ردّ هجمات التحدي التي يوجهها خصوم اللغة العربية الفصحى بين حين وآخر إلى حصونها وقواعدها، بغية الفصل بين الشعوب الناطقة بها، وبين كنوز الإسلام المحفوظة فيها؛ يجب على العرب والمسلمين أن يقابلوا هذه الهجمات بالصمود والثبات. وخطة الصمود والثبات تفرض على الأمة العربية ثم على سائر الشعوب الإسلامية، أن يعملوا على نشر العربية الفصحى بين الأجيال الناشئة في بلادهم، كذلك أن يعملوا أيضاً على نشر العربية الفصحى بين شعوب الأرض قاطبة، بأحدث وسائل النشر، وأقرب أساليب تعليم اللغات.

وتتحمل مناهج التعليم وبرامجها وخططها الدراسية، وكتبها المدرسية والمدارس التي تطبق ذلك أثقل أعباء هذه المسؤولية الخطيرة.

- فمن الواجب أن تضم المناهج الدراسية لجميع مراحل الدراسة، النسبة الكافية من علوم اللغة العربية، وأن يُشجع المؤلفون والمنتجون لتأليف الكتب الملائمة التي تحبب اللغة العربية لروادها.

- ومن الواجب أيضاً أن تعد الجوائز والمكافآت للكتاب والأدباء والشعراء الذين يقدمون ثمرات إنتاجهم العلمي أو الأدبي، المتقيد بأصول اللغة العربية، متنها وقواعدها، والمتقيد بأصول العقائد والأخلاق الإسلامية.

- ويقع قسم من هذه المسؤولية على المجامع العربية، التي يجب عليها العمل بكل جهدها على توحيد المصطلحات العربية، لمختلف العلوم والفنون الحديثة، وتصدر على شكل دوري مجلة رسمية موحدة، تنشر فيها ما تتلقاه من

http://kotob.has.it

طلبات، ووضع مصطلحات عربية في مختلف العلوم والفنون، تفد إليها من جميع المؤسسات التعليمية وغيرها في العالم العربي والإسلامي، ثم تنشر فيها جميع القرارات التي تتخذها بشأن المصطلحات العربية الحديثة، وقبل طرح قراراتها، تعرضها على الرأي العام العربي، طالبة تقديم المقترحات حول المعاني العلمية أو الفنية الجديدة التي تريد أن توجد لها مصطلحات عربية. وللتشجيع تحدد هذه المجامع مكافأة مادية قيِّمة لكل مصطلح ينال لدى المجامع العربية أولوية الإقرار. ثم يُلزم الكُتَّاب والمؤلفون والمحاضرون التقيد بهذه المصطلحات التي توضع لها المعاجم الخاصة، وتجدد طباعتها بين حين وآخر مضافاً إليها ما استحدث من مصطلحات.

واللغة العربية الفصحى فاتحة بابها لضم أية مصطلحات جديدة لمعان علمية مبتكرة، وأسماء لمخترعات حديثة، مثلما اتسعت في عصور التدوين للكثير من المصطلحات النحوية، والصرفية، والبلاغية، والفقهية، والفلسفية، والطبية، والكيميائية، والفيزيائية وغيرها. وكل هذه المصطلحات لم تكن معروفة قبل العصور الوسطى، والمجامع العربية مسؤولة ـ كما ذكرنا ـ عن توحيد المصطلحات الحديثة، واختيار الألفاظ المناسبة للمستحدثات من المعاني الفكرية، والأشياء المادية، ومسؤولة عن تعميمها على الأقطار العربية والإسلامية.

ـ وهناك قسط آخر من المسؤولية يقع على المؤسسات الرسمية، والدوائر الحكومية في جميع البلاد العربية والإسلامية، وعلى وسائل الإعلام المختلفة الشاملة للإذاعات، والمرناة والخيالة، والصحف، والمجلات، والأندية، والمؤسسات الإقتصادية الخاصة والعامة.

أما نشر اللغة العربية بين الشعوب الإسلامية فيتطلب عملاً إسلامياً عاماً، تتحمل البلاد العربية فيه قسطاً كبيراً من مسؤوليته.

من ذلك افتتاح مراكز لتعليم اللغة العربية في كل بلد من البلاد الإسلامية والعالمية. ومن الوسائل أيضاً تذليل تعلّم وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وذلك عن طريق الكتب الميسرة السهلة، والتعليم عن طريق المذياع، والمرناة،

http://kotob.has.it

وأشرطة التسجيل السمعية، والسمعية البصرية، ومعامل اللغة والمسابقات العامة وغيرها.

وهكذا نرى من كل ما تقدم أن دافع الإستشراق لدى المبشرين وأنصارهم ومؤيديهم، هي دوافع التبشير أنفسها؛ وهي تتلخص جميعاً بالرغبة الملحة في سلخ المسلمين عامة وبراعم المسلمين خاصة عن دينهم الحنيف؛ ومحاولة إدخالهم في النصرانية؛ أو إبقائهم ملاحدة لا دين لهم، حتى يكونوا أطوع للدول الغربية الطامعة باستعمار بلاد المسلمين واستغلال خيراتها. ومن خلال معرفتنا لهذا الدافع الديني نستطيع معرفة الهدف الغائي المرتبط به. فهدف هذا الدافع هـو إخراج المسلمين عن دينهم الحنيف القويم، فإن أمكن تنصيرهم، فذاك هـدفهم، وإلا فإبقـاؤهم لا دين لهم مطلقاً هدف مرجو يحقق لهم منافع ومصالح إقتصادية وسياسية واستعمارية وغير ذلك. ولإخراج المسلمين عن دينهم وسائل كثيرة منها:

١ ـ تشويه الدين الإسلامي الحنيف، والتشكيك في أسسه، والزعم بأنه دين مأخوذ من اليهودية والنصرانية، والإنتفاض من قيمه، وتوجيه المطاعن له.
٢ ـ الحط من قدر النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه.
٣ ـ إدعاء إن الفقه ازسلامي مقتبس من القانون الروماني.
٤ ـ إدعاء أن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع التطور الحضاري.
٥ ـ تنفير المسلمين في دينهم الرجعي [على حد زعمهم الباطل] وحملهم على كراهيته، وتشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية.
٦ ـ تشويه التاريخ الإسلامي، وتشويه حضارة المسلمين، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.
٧ ـ الدعوة إلى تحرير المرأة [وهذه دعوة كاذبة فالإسلام كما بيّنا هو الذي حرر المرأة المسلمة].
٨ ـ الدعوة إلى نبذ اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم العظيم، وتبديل طريقة كتابتها، وتشجيع الكتابة باللغة العامية، والكتابة بالحرف اللاتيني.

http://kotob.has.it

٩ ـ نبش الحضارات القديمة، وإحياء معارفها، وبعث الطوائف الضالة، والحركات الهدامة القديمة.

١٠ ـ استدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة، وما فيها من مغريات للنفوس، ومرضيات للأهواء، وآسرات للشهوات وباهرات للنظر.

وبعد فهؤلاء هم المستشرقون على حقيقتهم، لا فرق في ذلك بين المعتدلين منهم والمتطرفين.

وهذه بعض من مناهجهم الهدامة التي ذكرناها في البحث والتأليف، وهذه هي أهدافهم التي يسعون جاهدين إلى تحقيقها، وهذه بعض تناقضاتهم الكثيرة التي ذكرنا بعضها أثناء هذا البحث؛ ولعل من أهمها إيمانهم بعقيدة المغضوب عليهم والضالين، على ما بها من خرافات وأساطير لا يقبلها دين أنزله الله تبارك وتعالى، ولا عقل سليم من العته والجنون، وكفرهم بالإسلام الدين الحنيف.

أليس من المؤسف والمفجع بعد هذا كله أن يكون مؤسسو المعاهد والجامعات وكبار أساتذتها ومديريها في بلاد المسلمين، من طلاب هؤلاء المستشرقين ومن أشد الناس إعجاباً بهم؟؟؟.

http://kotob.has.it

كيف نعود إلى إحياء تراثنا وحضارتنا بأقلامنا العربية

إذا نظرنا اليوم نظرة جادة إلى حضارتنا نرى إنها رغم نفاستها، وعظم قدرها، لم يستطع الخوض في درسها، ومعاناة البحث فيها، إلا نفر قليل، وذلك لما يلاقيه من يشتغل بها من مشاق، وما يعانيه من متاعب. وما كان لأحد أن يلم ببعض أطرافها، إلا إذا جمع شتات المصادر والمراجع، وفحصها، ونظر في آثار الأولين ومحصها، حتى يمكنه أن يستخلص ما يريد، ويصل إلى ما يبتغي.

والواقع إن نسبة كبيرة من العرب والمسلمين اليوم غير راضين عن وضعهم الحالي، وأحوالهم الحضارية. فرغم المظاهر البراقة التي نلمسها في بعض جوانب الوطن العربي الكبير إلا أن نظرة جادة أمينة بالمقارنة بين مجتمعنا العربي الحالي، ومجتمع العالم المتحضر، تجعلنا ندرك إن هذا المجتمع يعاني فعلاً من حالة تخلف خطيرة فكرياً، واقتصادياً، واجتماعياً.

ومن حق العرب اليوم أن يألموا لهذا الوضع. ويتدارسوا أسباب هذه الكبوة التي ألمت بهم. والأسلوب الصحيح للنهوض منها.

فالعرب لم يكونوا مطلقاً من الأمم التي عاشت على هامش تاريخ العالم، دون أن يسطروا فيه أثراً بناء. فالعرب هم أصحاب رسالة دينية خالدة، وكانوا أصحاب حضارة. هي باعتراف كافة الباحثين المنصفين أعظم حضارة، شهدها العالم أجمع مشرقه، ومغربه، طوال العصور الوسطى، ومن هذا المورد استقى

http://kotob.has.it

الغرب منذ القرنين السادس والسابع الهجري الثاني عشر والثالث عشر الميلادي حضارتهم، وذلك عندما أفاق أهل الغرب من ظلمة العصور الوسطى، ليفتحوا أعينهم على حضارة عربية، شامخة البنيان، لم تترك علماً، ولا أدباً، ولا فناً، ولا ضرباً من ضروب المعرفة الإنسانية، إلا أسهمت فيه بجديد، فنشطت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، واللغات الأوروبية الأخرى.

وعلى هذا الأساس قامت النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر، وهي النهضة التي استمرت في تطور وتقدم، إلى أن بلغت ما بلغته اليوم من تفوق وازدهار.

أما الأصل، والمنبع الذي استقت منه الحضارة الحديثة، فقد تعرض للجمود، حيث وقف شباب العرب اليوم على مفترق الطرق. بين **متشككين في** ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم وبين **مفتونين** بحضارة الغرب الزائفة، بلغ من شغفهم بها أن أقبلوا عليها في نهم لا يلتهمون إلا مساوئها، ولا يقدسون إلا سيئاتها ورذائلها، وبين **آسفين** على مجد ولى، ومترحمين على أيام انقضت، وبين **ساعين لإعادة مجدنا العربي المجيد**، نرجو أن يثبت الله عزيمتهم للوصول إلى مبتغاهم، إنه السميع المجيب.

فعصبة المتشككين في ماضي عروبتهم، وحاضرها، وربما مستقبلها، فهؤلاء يمثلون الجانب الهدام، الذي لا يرى في ماضي الحضارة العربية إلا جموداً، ولا في حاضرها إلا عجزاً، ولا في مستقبلها إلا ظلاماً.

وفي الوقت الذي تستأثر عظمة الحضارة العربية مفكري العالم أجمع في الشرق والغرب. فيعكفون على دراستها، وبيان أصالتها، وإيضاح عناصر القوة فيها وشرح فضلها على الحضارة البشرية جمعاء، ويبذلون قصارى جهدهم لإحياء تراثها وتقوم دور النشر عندهم كل يوم بمطبوعات جديدة عن التراث العربي، تبرز عظمته وقوته، وتصدر عن المهتمين بالإستشراق في روسيا، وفرنسا، وانكلترا، وهولندة وألمانية، والولايات المتحدة وغيرها.

في هذا الوقت نسمع أصواتاً ماكرة وغافلة عن خبث أو جهل وغباء تنعق من جوف الوطن العربي نفسه، تشكك في قدرة العرب على الإنطلاق وفي استطاعة

http://kotob.has.it

حضارتهم على النهوض، وتقلل من قيمة التراث العربي الخالد. وأهميته للأجيال العربية، بالنسبة للحاضر والمستقبل، ولم تكتف بهذا بل نرى أن أبواقها تندد بتراثنا، وترى في إحيائه نوعاً من الردة غير المستحبة. وتتهم الجهود الحريصة على إحياء ذلك التراث. بأنها جهود رجعية.

مساكين، لقد غزا عقولهم الإستعمار الغربي الحديث، الذي حاول منذ القرن التاسع عشر، وحتى اليوم، التنكر لحضارتنا العربية. عن طريق كتبه المدسوسة، سواء منها المترجمة أو غير المترجمة، وعن طريق إرسالياته ومدارسه، وجامعاته، ومستشرقيه، وصغار العقول، محاولاً إيهامنا أن جميع العلوم والآداب العربية الماضية، قد أتتنا من اليونان واللاتين والهند وغيرها، وما ذلك إلا محاولة لأبعادنا عن جذورنا الحقيقية، ليتجاهل أيضاً تأثير العرب البليغ في تاريخ مدنية أوروبا ويرى بعض أرباب الأفكار الأوروبية، ، إن من المذل على الدوام، الذهاب أن أوروبا المستعمِرة مدينة للمستعمَرين بخروجها من ظلمة التوحش، فهذا أمر يحمل في مطاويه ذلاً كثيراً من الظاهر، لا يقبل الغرب تحمله إلا بشيء من العنت، وذلك إنه كان للمدنية الإسلامية تأثير عظيم في العالم، وتم لها هذا التأثير بفضل العرب. بل العناصر المختلفة التي دانت الإسلام، وبنفوذهم الأدبي، هذّبوا الشعوب البربرية التي قضت على الأمبراطورية الرومانية، وبتأثيرهم العقلي فتحوا لأوروبا عالم المعارف العلمية، والأدبية، والفلسفية، وهذا ما كانت تجهله وعلى ذلك كان العرب والمسلمون أساتذة الغرب لقرون طويلة.

إن كتب المؤرخين الأوروبيين والمستشرقين المدسوسة، التي لم يكن لها من مصلحة سوى تصوير العرب في صور باهتة، وإنكار فضل العرب في إنشاء مدنية، كانت على الجملة من أعظم ما قام في الأرض، قد سممت أفكار هؤلاء المساكين المتشككين، حتى أصبحوا ينظرون إلى الحضارة الغربية، بأنها أوج التطور الحضاري للبشرية، وأصبحوا يرون تاريخ البشر كافة من زاوية غربية، وكأن محور تاريخ العالم هو الغرب، وكأن كل تاريخ آخر هو ممهد للتاريخ الغربي أو هامش من هوامشه.

http://kotob.has.it

لقد فات هؤلاء ـ كما يبدو ـ إن الحضارة العربية، تمثل زمن ازدهارها أكبر حركة تقدمية شهدها التاريخ، وإن هذه الحضارة تحوي من إمكانيات الإنطلاق والتقدم، ومسايرة التطور من أجل سعادة البشر، ما لا تحويه حضارة أخرى، وإننا عندما ننادي بإحياء تراث الحضارة العربية، إنما نستهدف استخلاص ما في هذا التراث من قيم بناءة، فكرية وخلقية واجتماعية واقتصادية، وهي قيم لا ترتبط بالماضي وحده، وإنما هي صالحة لكل زمان ومكان ومن الممكن أن تكون أداة طيبة ووسيلة فعالة للنهوض والإنطلاق والوصول إلى ما بعد مرحلة القمر، واستعمار النجوم، وأقطاب الكرة الأرضية.

إن اتسام الحضارة العربية بالإيمان، لا ينبغي أن يكون سبباً لأدانتها، واتهامها بالجمود والرجعية، فالأديان السماوية نزلت من أجل تحرير البشر لا تقييدهم، ويهدف تطوير المجتمع البشري نحو الأفضل والأسمى ، لا تجميده، هذا إلى جانب رحابة صدر الدين الإسلامي الحنيف، وما يحويه من قدرات خلاقة مبدعة للتحرر والإنطلاق. وأكبر دليل على ذلك، هو إننا نجد بناة الحضارة العربية وأعلامها أكثر ما يكونون تحرراً في تفكيرهم، واتساع أفقهم، والحقيقة إن أعلام الحضارة، والفكر العربي قد سبقوا زمانهم فكرياً بعدة قرون.

أما المفتونين بحضارة الغرب الزائفة، فقد بهرهم ضوء الحضارة الغربية الحديثة فأقبلوا عليها في نهم شديد، يتمسحون بها، ويحاولون الإنتساب لجذورها، متنكرين لأصولهم الحضارية العربية الراقية.

والقوي قد تبدو سيئاته، فيخيل لقصار النظر إنها حسنات، أو يفسر معاني غيره تفسيراً يظنه ضعاف النظر آيات بينات، والضعيف مهما أحسن مغمور مدحور، وربما قلبت حسناته سيئات، والعالم عُلى الدهر عبد القوة القاهرة.

لقد سممت أفكار هؤلاء المفتونين توجيه الإستعمار، الذي ديدنه الدائم طمس معالم الحضارة العربية، بتشويه صفحاتها الناصعة، ومحو هذه الصورة الناصعة من أذهان العرب والمسلمين.

http://kotob.has.it

فالجامعات الأوروبية وجهت تيار السياسة إلى خدمة الرغبات الإستعمارية، ثم انتقلت العدوى الفكرية إلى البلاد الإسلامية عن طريق المدارس والجامعات التي أسسها الإستعمار في الشرق، وعن طريق المبعوثين الشرقيين إلى جامعات أوروبا، وصارت البرامج التعليمية، وسيلة لأبعاد الشباب العربي والمسلم عن تاريخه وماضيه، وأصبحت ستاراً سميكاً على كل ما يرفع من شأن الحضارة العربية سواء في رجالها، أو في ابتكاراتها.

ثم دعم المستعمرون أساليبهم الإستعمارية للوصول إلى أهدافهم، فلجأ المؤرخون المستشرقون إلى تحريف الحقائق، وتزييف الحضارة العربية، وانتهزوا فرصة إقبال الشباب العربي على مدارسهم ومؤلفاتهم وجامعاتهم، فسمموا أفكارهم، وهونوا عليهم عزة عروبتهم ودينهم، وطعنوا في رجالات العرب والمسلمين، وصوروهم لهؤلاء الطلاب في الصورة التافهة، ذهاباً مع أهواء نفوسهم الحاقدة.

وما زالوا بكثير من شبابنا المسلم والعربي، حتى انخدع بعضهم بما سمع دون تمحيص الحقيقة، وآمن بما قرأ، فأصبح هؤلاء أبواقاً تنعق بما سمعت من خصوم وطنهم ودينهم وأسندت لهؤلاء بموافقة وتأييد الإستعمار مراكز التوجيه العلمي في دور التعليم العربي والإسلامي فنشروا كتبهم المملوءة بسمومهم التي شربوها هناك في أوروبا واستهانوا بأمجاد أجدادهم العرب وحفظوا لكل شخصية مثالية عربية وإسلامية ما يحط من قدرها ويسقطها في نظر كل دارس لها.

فالمفتونون شباب غسل أدمغتهم الإستعمار الغربي بكل أساليبه وطرقه، فضاعوا لأنهم لم يعودوا إلى الجذور العربية لمعرفة الحقيقة، إلى جانب الأبتذال والتهتك وغيره الذي هو من صفاتهم الرئيسية، محاولة منهم لتقليد المجتمع الغربي.

ولو أن هؤلاء المفتونين الجهلة، تدبروا أمرهم، لميزوا بين الغث والسمين، وحرصوا على اختيار العناصر الطيبة من الحضارة الغربية، لهان أمرهم علينا،

http://kotob.has.it

ولكنهم في حماستهم الشديدة، لكل ما هو أجنبي وغربي، اندفعوا ليأخذوا عن الحضارة الغربية مساوئها ورذائلها، لقد أغمضوا أعينهم عما في في الحضارة الغربية من نهضة علمية وتقنية، وحرص على الإنتاج، والتزام العمل والنظام وقواعده، وغير ذلك من الجوهر، وفتحوا أعينهم واسعة ليغترفوا ما ابتلى به المجتمع الغربي اليوم من رذائل ومفاسد، وأسباب طاعون العصر. «مرض فقدان المناعة الجسمية» والذي يطلق عليه الغرب السيدا والإيدز، هذا المرض الذي أتى عن مفاسد قمة المدنية الزائفة، والذي نبه عليه القرآن الكريم وحرم جميع مسبباته وغير ذلك من رذائل الغرب الكثيرة التي لا مجال لذكرها الآن حتى لا تدنس كتابتي.

والغريب بشأن هؤلاء المفتونين، إنه في الوقت الذي تنبعث فيه أصوات من الغرب، تبدي إعجابها بل حسدها لروحانية الشرق، إذا بهم يتطرفون تطرفاً أعمى في تمجيد مادية الغرب، لقد فات هؤلاء إن المعجبين والحاسدين لروحانية الشرق، ضاقوا ذرعاً بعبادة المادة وأدركوا إنه لا حياة لجسد بلا روح فاتجهوا بعقولهم وقلوبهم وأرواحهم نحو الشرق ينشدون روحانياته، ويتلمسون فيها القيم، والمثل التي يفقدونها في مجتمعاتهم المدنسة.

أما المتقاعسون الآسفون على مجد ولى والمترحمون على أيام انقضت، فهؤلاء يحلوا لهم بين حين وآخران يقيموا للحضارة العربية عزاء، في شكل مؤتمر، أو ندوة أو غير ذلك، حيث ينعون مجد الآباء، وآثار الأجداد، وغالباً ما يقفون مكتوفي الأيدي ويقف دورهم عند التغني بأمجاد الماضي، لعلهم يريحون ضميرهم الخامل، ويجدون في ذلك نوعاً من السلوى، يعوضهم عما يشعرون، به من عذاب ووخز الضمير ومن أسى وحزن المقارنة بين ما كانوا عليه، وما صاروا إليه.

وغالباً ما يعبر هذا الفريق عن وجهة نظره بشتى الطرق العلنية الواضحة، وخاصة بندوات في أقنية المرناة، أو حتى بالخطابة، حيث يتحدثون عن أزمة الحضارة العربية.

هؤلاء في جميع الحالات يرددون كلاماً مكرراً يستعرضون فيه ما حققته تلك الحضارة ـ في الماضي ـ من منجزات وابتكارات في مختلف العلوم والفنون، وما

http://kotob.has.it

أسهمت به من نصيب كبير فعال في بناء الحضارة الغربية الحديثة، وإن العرب وحضارتهم أصحاب فضل كبير على الحضارة البشرية وتطويرها.

ونهيب بهذا الفريق، وقوفه عند هذا الحد، وعدم محاولة تخطيه إلى العمل على إيضاح الحقيقة الخاصة، بأن الحضارة العربية، جمدت وذبلت ولكنها لم تمت، ولن تموت طالما أراد أبناؤها الشرفاء ذلك، فحضارتنا العربية الأصيلة، كالشجرة الراسخة، أصلها ثابت وجذورها قوية متينة، ممتدة في الأعماق، وهي لئن جفت بعض أوراقها وذبلت نتيجة لعدم العناية بها تحت ضغط الإستعمار الغاشم، في الماضي ومحاولته تضليل الحقيقة، فإن محاولة جدية مخلصة لرعايتها، ومزيد من العناية والإلتزام بجوهرها، وغير ذلك كفيل بأن يعيد لهذه الشجرة الباسقة نضرتها، وخضوتها وثمارها، حتى تنهض من كبوتها لتصبح أعظم مما أمست فيه، ويعود إلى الإستظلال بظلها، ليس العرب والمسلمون وحدهم وإنما البشر كافة، مثلما حدث في الماضي وعندها تقدم للبشرية جمعاء أضعاف ما يقدمون لها.

لقد فات هؤلاء الأقلية العددية بين ملايين العرب من المتشككين في عروبتهم، والمفتونين بحضارة الغرب الزائفة، والمتقاعسين المترحمين على مجد ولى، إن المارد العربي بدأ يحطم قمقمة الذي صنعه له الإستعمار الغاشم، بكل وسائله المرئية، والمكتوبة وبواسطة إرسالياته وجامعاته الخ، ليعود إلى إصالته وحضارته.

فالأمة العربية تمر اليوم بمرحلة من التطور التاريخي العظيم، فالعرب في عصرنا الحاضر، بدأوا يشكلون مصيرهم بأنفسهم، ويعملون على بناء مستقبل جديد يليق بإمكاناتهم في العالم الحاضر، وبما كان لهم من مكانة مرموقة خلال عصورهم التاريخية الزاهرة، التي ستعود بحول الله وقدرته.

لقد كانت هناك ظروف تحكمت في مصائر العرب، فأوقعتهم فريسة للحكم الأجنبي الغاشم، واستغلال المستعمر، لكنهم عادوا من جديد إلى مسرح التاريخ، فنفضوا عنهم سيطرة الأجنبي الغاشم، وأساليبه المعوجة العديدة لطمس حضارتنا

http://kotob.has.it

العربية الزاهرة، فنبه إلى حضارتهم وتراثهم، ينهلون من ينابيعها العديدة الفياضة، ويقتبسون مما حققه سواهم، في ميادين العلم والتطبيق، لأعادة بناء حضارة جديدة أصيلة.

فشعبنا العربي والإسلامي يواجه اليوم تحدياً قوياً يفرض عليه أن يقطع في أعوام قليلة، مراحل التقدم التي فاتته خلال عقود طويلة من الركود والجمود، ثم عليه بعد ذلك أن يتقدم في مضمار السباق العلمي بين الأمم، ويحقق لنفسه مكانة تليق بماضيه المجيد. وإمكاناته الواسعة.

ولن يتحقق لنا ذلك على أسس علمية سليمة، إلا إذا كنا على وعي كامل بحقيقتنا ومصيرنا، وعي يمتد من ماضينا إلى حاضرنا حتى يصل إلى مستقبلنا. وهذا يتطلب منا معركة علمية ضخمة، معركة تحرر العقول من الإستعمار، والذل والبؤس، والجهل، معركة عادلة يخوضها المارد العربي بكل إيمان وبطولة وتضحية، تدعمه فيها مئات ملايين الأحرار في العالم العربي والإسلامي، وحتى العالم أجمع.

إن النصر الحضاري لقريب بأذن الله وسنثبت للعالم أجمع، مرة أخرى، إننا جديرون بحمل مشعل الحضارة الإنسانية العربية العالمية، بفضل وعي أبنائنا الصناديد الأبطال من الجيل الصاعد بحول الله وقدرته.

فمثلاً لا يزال جانب عظيم من تراثنا الفكري يرقد في بطون الكتب، وكهوف المكتبات الأوروبية، وما تزال مكاتب كثير من عواصم الدول الأوروبية المعاصرة تحتضن العديد من المخطوطات العربية النفيسة، التي سرقوها من مكانها، عن طريق بعض المستشرقين، وأثناء الحروب الصليبية، حيث سرقت أوروبا كثيراً جداً من المخطوطات العربية العامة، كما سرقت مكتبات علمية عربية مهمة جداً، إلى جانب المكتبات الخاصة كمكتبة المؤرخ أسامة بن منقذ مؤرخ ومعاصر السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد نسب الغرب أكثر هذه المخطوطات والكتب العربية الأصل والجذور، بعد أن ترجموها إلى مؤرخيهم وعلمائهم كذباً وبهتاناً.

http://kotob.has.it

هذه المخطوطات والكتب العربية النفيسة، التي لا تزال موجودة في أوروبا تشكل ركناً هاماً من تراثنا الفكري العظيم.

هذا التراث النفيس يحتاج لسواعد وعقول أبنائنا، لدراسته، وعرضه من جديد، على الناشئة العربية، التي هي بحاجة ماسة إليه، ليقوي إيمانها بماضيها الفكري المشرف، ولتستعين به على شق طريقها الجديدة إلى حياة فكرية عربية إنسانية.

وإذا كنا نجد في الظروف القاسية، التي ألمت ببلادنا الإسلامية والعربية وشعوبنا وصرفتنا ودحاً من الزمن عن الإهتمام الجدي بماضينا الفكري الحضاري، بعض العذر سابقاً، فليس لنا اليوم وغداً، شيء من العذر في أي تقاعس، أو إهمال.

لقد حاول المستشرقون الأجانب دراسة عدد كبير من مؤلفاتنا العربية، والحضارية منها خاصة، وكتبوا بأقلامهم عن حضارتنا العربية، ولكنهم بالأجمال أساءوا كثيراً إليها، وقللوا من أهميتها، بل حاولوا قدر جهدهم، إثبات إن التراث العلمي والفلسفي العربي الإسلامي، ما هو إلا مجرد إحياء، وبعث جديد، للتراث الإغريقي القديم، وهي بالتأكيد نظرة خاطئة، بل وحاولوا أيضاً النيل من عرب الجاهلية، لينالوا من الأرومة العربية القديمة، لكي يظهروا للناس إن أصل العرب فاسد، وإن ماضيهم حقير، فالقلوب الحاقدة تنفث سمومها، وتلقي حقدها في تاريخ وحضارة العرب.

وللآسف العجيب، إن هذه الدعوى انطلت على بعض مؤرخي العرب، فدونوها مقتبسة عن مؤلفات المستشرقين والأجانب، التي عض عليها الدهر، دون تمحيص، والعودة إلى المصادر العربية الأصلية، فصارت حجة علينا وذلك أما لصعوبة الرجوع إلى مصادرنا أو للرغبة في سرعة الإنتاج العلمي من أجل الثروة العاجلة، والنفع المادي الآني، أو لشهوة الأتيان بحقائق مخالفة لما هو سائد في أوساطنا العلمية والدينية بحجة المدنية الزائفة.

http://kotob.has.it

وَلكنها كانت فترة من الزمن طغى على هؤلاء البعض من مؤرخينا هذا الشعور بالنقص والضعف، وعدم الثقة بالنفس إزاء الباحثين الغربيين المتجنين على ديننا وتراثنا وماضينا الزاهر.

ولكن عندما بدأت حركات الوعي السياسي، وبدأ استقلالنا السياسي عن سيطرة الغربيين، عاد عند مؤرخينا هؤلاء الشعور بوجوب الإستقلال الفكري، فعرفوا قيمة ديننا وحضارتنا وتراثنا وشعروا بالأهانة والخجل لموقفهم من اتكالهم على المستشرقين الجاقدين على إسلامنا وتاريخنا المشرق، وانتشر هذا الوعي الخجول في الأوساط المثقفة من دينية وغيرها فبدأ المؤرخون يكشفون الحقيقة، حقيقة هؤلاء المستشرقين في أبحاثهم وأهدافهم الدينية والإستعمارية من ورائها.

وبعد فإني أعتقد إنه قد انقضى ذلك العهد الذي كنا فيه نعتمد في مصادر معرفتنا بعلومنا وتاريخنا على هؤلاء الغربيين، مع إنهم ليست لهم مصادر إلا كتبنا ومدوناتنا، ولئن كنا بها جاهلين من قبل، فلقد آن الآوان أن نرفع عن جباهنا الناصعة خزي الجهالة بمصادرنا، وعار الإتكال في فهمها على فهم الغرباء عن لغتنا وصحة الإعتقاد بديننا وعلمائنا ما يريد منا هؤلاء المستشرقون المتعصبون أن نعتقده في حق ديننا وعلمائنا من شك وسوء ظن.

لقد آن الآوان أن ننفض الغبار وننشر كنوزنا العلمية الدفينة بأقلامنا، بصدق وبما يملأ نفوسنا من وعي كريم وشعور باستقلال شخصيتنا.

لهذا يجب على العرب والمسلمين أنفسهم أن يحتضنوا تراثهم الفكري بأنفسهم، ويتناولوه بالدرس والتمحيص العلميين، ليخلصوه من شوائب الإستعمار، ويصححوا المفاهيم الخاطئة، ويضعوا الأمور في نصابها، ثم يعرضوه على العالم في حلة قشيبة واضحة.

والإهمال أو التقاعس في ذلك هو ضرب من التآمر مع المستعمرين الذين يريدون إبقاء الهوة عميقة بين جماهيرنا العربية، وتاريخنا الفكري الحضاري العظيم، لتبقى مأخوذة بعجائب الحضارة الغربية المعاصرة، وبالتالي تبقى خاضعة

http://kotob.has.it

لتأثير أرباب تلك الحضارة التي أرادوها أن تعيش على امتصاص دم الشعوب الطاهرة، وأفقارها وتجهلها.

فمعركتنا الحضارية التحررية اليوم هي بحاجة أكثر من أي وقت مضى، إلى نضال فكري جبار يستمد حياته من حياة جماهيرنا، وجماهير العالم أجمع، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بمجدنا الفكري الحضاري السالف.

ويبدو لنا من خلال قراءة بعض مؤلفات كتبها مؤرخون عرب ومسلمون، متحررون من إسار الفكر الدخيل، والمستندون على نظرة ذاتية في فهم التراث وتفسيره، نرى كتبهم تظهر بوجه جديد، وبتفسير جديد يختلف عن الصورة التي جاء بها الإستشراق البغيض، ونقلها مؤرخون عرب دون تمحيص.

http://kotob.has.it

الفصل التاسع

ما هي أهم الخطوات
التي علينا اتخاذها إزاء الاستشراق

مقدمة:

الإستشراق - كما رأينا - في الفصول السابقة حركة فكرية هائلة، وما تنتجه يخص عقيدتنا الإسلامية، ولغتنا، وتاريخنا الخ.

فهل نكتفي بموقف المتفرج في المسرح، تعجبه بعض المشاهد، فتتهلل أساريره، ولا تعجبه بعض المشاهد الأخرى فيقطب جبينه ويغضب؟.

الأمر ليس مجرد إستحسان أو استهجان عابرين: نفرح حين يمن علينا بعضهم بكلمات المدح، ونغضب حين يصب علينا بعضهم الآخر صواعق فكرية، ثم نستأنف سيرنا العادي الرتيب. وقد يسأل سائل: ولكن هل يستحق الإستشراق والمستشرقون منا هذا الجهد الكبير في دراسة مؤلفاتهم، والبحث في مناهجهم؟؟. والجواب بلا تردد: نعم، على أن نعرف كيف ندرسهم، وما نأخذ منهم وما ندع. كما أن دراستهم تفيدنا في رؤية أنفسنا كما تبدو في مرائي غيرنا من المستشرقين، والأوروبيين، والمستغربين ومن لف لفيفهم، والتنبه لما يحاولون أن يحيكوه ضدنا.

فالأمر أيها القارىء المؤمن في منتهى الخطورة؛ لأنه يتعلق بعقيدتنا، وتاريخنا وحضارتنا المشوهين من قبل المستشرقين، مع محاولة إفساد مجتمعاتنا الإسلامية الحبيبة.

http://kotob.has.it

فما هو موقفنا من الإستشراق؟

نقول بكل إباء وشمم، إن موقفنا واضح وجلي، وليس أمامنا إلا المواجهة، وقبول التحدي، وإثبات الذات، وإلا فلسنا جديرين بالحياة.

فالمستشرقون يزلزلون في جذورنا؛ وقد آن الآوان لنعمل لتصحيح المسار الديني العقيدي، والمسار التاريخي والحضاري لنا، وألا نتهاون في ذلك، لأن المسألة مسألة مصير؟ إنها مسألة حياة أو موت.

الحرب الآن بين الإسلام الدين الحق، والتيارات المناوئة له، حرب أفكار. والمعركة إذن معركة فكرية لها أداتها وهي معرفة الحقيقة الدينية والتاريخية التي يجب التسلح بها؛ والخسران في هذه المعركة أشد وطأة، وأقوى تأثيراً، وأعظم فتكاً من خسارة أية معركة حربية أياً كان حجمها.

ولذلك علينا إتباع خطوات ثابتة للوصول إلى ربح المعركة.

ولعل **الخطوة الأولى** لذلك، هو استيعاب الإنتاج الإستشراقي حول الإسلام، ودراسته دراسة عميقة؛ لنستطيع نقده نقداً صحيحاً، وإثبات ما يتضمنه من تفاهة أو زيف؛ مما يجعل المستشرقين المنحرفين عن جادة الصواب، يفكرون آلاف المرات، قبل أن يكتبوا، تحسباً لما قد يواجههم من نقد علمي يعريهم، ويثبت زيف ادعاءاتهم. ويشير المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» إلى أن النقد الأوروبي قد يكون غير عادل في نقاط معينة، ولكن القيام بتفنيد هذا النقد يقتضي بدوره دراسته أولاً؛ إذ لا يمكن نقضه إلا على الأساس نفسه الذي قام عليه(١). ويجب أن يرتبط نقدنا لإنتاج المستشرقين بنقد ذاتي حقيقي بصفة مستمرة. وقد يتمثل الجانب الإيجابي للإستشراق في صورة الهجوم علينا وعلى أمجادنا، وليس في صورة المدح. فهذا الجانب الهجومي الإستفزازي علينا من جانب إنتاج المستشرقين، قد يكون بالنسبة لنا خيراً من جانب المدح؛ فرُبَّ ضارَّة نافعة كما

---

(١) M. Rodinson: Mohammed p: 8 etc.

http://kotob.has.it

يقول المثل. فقد يكون هذا الإستفزاز حافزاً لنا على الخروج من حالة الركود الفكري؛ وبذلك نقبل التحدي، ونستجيب له بانطلاقة إسلامية حضارية جديدة. والرد على المستشرقين، ليس فقط ردُّ الهجوم على عقيدتنا وتاريخنا وحضارتنا الخ، وترقب الطعنات للرد عليها. وإنما نريد الردَّ الفعَّال الذي ينتقل بعدها إلى الموقف الأقوى. فلا يجوز لنا دائماً، أن نقف موقف الضعيف المعتدى عليه؛ فالإستشراق يستمد قوَّته من ضعفنا، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته. والإستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية علينا[1].

واليوم والحمد لله رب العالمين، نرى العالم الإسلامي، وهو ينهض من عجزه، ويفهم كيف شوّه الإستشراق دينه وتاريخه الناصع، وحضارته اللامعة؛ ونرى أيضاً أن الإستشراق قد أصبح في أزمة، وخاصة الإستشراق المشتغل بعقيدتنا الإسلامية، وتاريخنا وحضارتنا؛ وذلك بعد أن وضعنا عن أنفسنا اغلال الوصاية الفكرية.

فنحن أمة الإسلام قد تحررنا بقدرة الله تعالى من الإستعمار العسكري الذي كان جاثماً على شعبنا فترة من الزمن. والآن نحن نعود إلى جذورنا وأصالتنا. ففي فترة الإستعمار جعلوا نظرتنا لكل ما يأتي من الغرب هي نظرة التقدير والإكبار؛ والمثل الشعبي كان «الفرنجي برنجي»؛ حتى وإن كان هذا الذي يرد إلينا متمثلاً في أزياء فاجرة غريبة عن أذواقنا؛ أو شرائط تحمل أصواتاً مزعجة، تصرخ بعنف يحطم الأعصاب، وتصحبها ألحاناً صاخبة تكاد تصرع آذاننا؛ وأفلام جنسية وأخرى إجرامية تفتك بشبابنا؛ إلى جانب دعايات بذيئة تفسد أولادنا، عن طريق «المرناة» في المنازل؛ إلى جانب ترويج المسكرات والمخدرات والتبغ، وغير ذلك مما ينخر في أجسام شبابنا، ويؤدي به إلى الهلاك؛ إلى جانب الموبقات التي أرسلوها لنا، ليفشوا السيدا بيننا، كما هو فاش فيهم نتيجة تمدنهم الزائف البعيد عن كل سمو

---

(١) جعيط: أوروبا والإسلام ص ٦٨.

http://kotob.has.it

أخلاقي. ولكننا مع ذلك كان بعضنا يعد ذلك حضارة، يتلقفها، ويحاكيها لأنها قادمة من الغرب المتقدم؛ غافلين عن الأسباب التي أفرزت في الغرب مثل هذه الظواهر، وهي أسباب غريبة عنا بكل تأكيد.

ويبدو أنّ عقدة «الخواجة»، والتقدير الفائق لقدرات الأجنبي، كان أمراً ضارباً بأطنابه أثناء فترة الإستعمار، ولا تزال آثاره حتى اليوم بين المتغربين من أبنائنا وبناتنا وأسرنا؛ فهم يفخرون ببعض العبارات والكلمات الأجنبية يتباهون بإطلاقها في مجتمعاتهم مثل «تانت، آنكل، مرسي، بونجور، بونسوار، مرسي، أورڤوار، باردون، داموزيل، مدام، هابي برث داي توير الخ»؛ وأحياناً لا يعرفون معناها بالضبط، ولكنهم يفخرون بترنيمها للدلالة على تمدنهم المزيَّف، وتمسُّحهم بما يتفوّه به الأجنبي.

والآن والحمد لله، ونحن ننفض عنا غبار العقليات السخيفة، نريد العودة إلى جذورنا، عن طريق تغيير جذري في أسلوب حياتنا، وإعادة النظر في تفكيرنا وثقافتنا.

فنحن أصحاب قضية مصيرية من أجل إثبات الذات الإسلامية، والإستشراق طرف في هذه القضية، لأن الدراسات الإستشراقية في إسلامنا الحنيف، تهدف بطريق مباشر أو غير مباشر إلى التشكيك في عقائدنا، والنيل من استقلالية شخصيتنا العربية والإسلامية، كما بيّنا في الفصول السابقة.

ونحن سنتصدى لذلك بكل إيمان، وعزيمة، وثقة بالنفس بحول الله وقوّته.

إن المواجهة الفكرية الجادة، هي الطريق الصحيح لمجابهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين، ومن أجل ذلك ينبغي علينا أن ننظر إلى حركة الإستشراق بكل جدية، ونأخذ في الحسبان أن لها آثاراً كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي وفي العالم الغربي على السواء.

لذلك نقول بتصميم أنه لا بد من التوفر على دراسة الإستشراق دراسة عميقة.

http://kotob.has.it

نحن نعرف أن كلامهم مغلوط؛ ولكن هذا الكلام المشوه للحقيقة الدينية والعلمية والحضارية، مكتوب بشتى اللغات الحيَّة، ومنتشر إنتشاراً واسعاً على مستوى عالمي. وعلينا أن تكون مواجهته، على المستوى العالمي أيضاً، وبشتى اللغات الحية أيضاً، لتنير الغرب والمتغربين من أبنائنا، والمتمسحين بالمستشرقين من مثقفي بلادنا، فقط للدلالة على أنهم مثقفين، ولتهدي الحائرين من طلاب الحقيقة.

وهناك طرق للوصول إلى أهدافنا منها:

١ ـ إعداد موسوعة إسلامية للرد على المستشرقين.

٢ ـ إعداد دائرة معارف إسلامية، بأقلام إسلامية مؤمنة.

٣ ـ إنشاء مؤسسة إسلامية علمية عالمية.

٤ ـ إنشاء جهاز عالمي ودار نشر عالمية للدعوة الإسلامية.

١ ـ إعداد موسوعة إسلامية للرد على المستشرقين:

إن التقدم العلمي الذي حققه الإنسان في العصر الحاضر، والتطورات الفكرية في عالم اليوم تقتضي منا أن نكون في معالجتنا للقضايا التي أثارها الفكر الإستشراقي على وعي تام بمقتضيات العصر، وإدراك كامل للمستويات الثقافية السائدة. ونظراً لأن هذه الموسوعة سوف تخاطب جمهرة المثقفين الذين أتيح لهم الإطلاع على شبهات المستشرقين، يجب أن يكون تناولنا لموضوعات الموسوعة تناولاً موضوعياً مدعماً بالحقائق العلمية، والشواهد التاريخية، والبراهين العقلية، وكذلك بالأسانيد الدينية فيما يتعلق بالعلوم النقلية التي يعترف المستشرقون بالمناهج التي استخدمت فيها.

وينبغي أن تصدر الموسوعة بدراسة عن الإستشراق بوجه عام، مبينة أهدافه ومناهجه، مع ذكر الأسباب التي دعت إلى الدراسات الإستشراقية، وأدت إلى إثارة الطعون والشبهات حول الإسلام وتاريخه وحضارته.

ويتطلب الرد على الشبهات والطعون التي أثارها المستشرقون، عرض هذه

http://kotob.has.it

الشبهات والرد عليها تفصيلياً، بعيداً عن النزعات الهجومية حتى يكون لهذا العمل العلمي أثره الإيجابي لدى المثقفين من كل الطبقات من المسلمين وغير المسلمين؛ ويكون بمثابة تعريف بالإسلام لكل راغب في التعرف عليه؛ كما سيكون دافعاً للمستشرقين إلى إعادة النظر في أقوالهم وكتاباتهم، وعوناً لهم على تصحيح إتجاهاتهم حول الإسلام وتاريخه وحضارته.

لقد طرق المستشرقون في دراستهم الطعن في كل فروع العلوم الإسلامية، والفكر الإسلامي بصفة عامة، وركزوا على أصالة الدين الإسلامي، والسنة النبوية الشريفة والفقه الإسلامي، وكذلك الفكر والعلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية. لذلك يمكن تقسيم المجالات العلمية التي ستكون محوراً للتناول في هذه الموسوعة إلى مجالين رئيسين يندرج تحتهما فروع مختلفة على النحو التالي:

أولاً : علوم دينية وتشمل دراسات المستشرقين حول الدين الإسلامي، وحول القرآن الكريم، مع العناية بدراسة الترجمات المختلفة التي قاموا بها للقرآن الكريم، وتقويم هذه الترجمات. كما تشمل كذلك الدراسات المتعلقة بالتفسير، وعلوم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وعلومه، والفقه الإسلامي، وعلم الكلام والتصوف وأصول الفقه؛ مع الإهتمام بتقويم مناهج المستشرقين في هذه الدراسات ووضعها في ميزان النقد العلمي، وبيان ملاءمتها، أو عدم ملاءمتها لهذه الدراسات.

ثانياً : علوم إنسانية، وتشمل علوم الفلسفة، واللغة وعلومها، والأدب وتاريخه، والنقد الأدبي، والسيرة النبوية العطرة، والتاريخ الإسلامي الحبيب، والجغرافيا، والفنون الإسلامية وخاصة فن العمارة، وفن زخرفة الخط العربي وغيرهما، كما تشمل أيضاً الحساب، والجبر، والهندسة، والفلك، وعلوم الفيزياء، والكيمياء، والطب، والصيدلة، وعلم الحيوان والنبات وغيرها. مع الإهتمام بإبراز مدى أصالة المسلمين وإبداعهم في كل ما ذكرناه، ومدى ما أسهموا به وقدّموه للحضارة

http://kotob.has.it

الإنسانية(1). وعلى القائمين بإعداد الموسوعة إجراء ما يلي:

١ - القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين عن كل المجالات السالفة الذكر بلغاتهم، وهي غالباً: الإنجليزية والفرنسية، والألمانة، والإيطالية، والإسبانية، والروسية. ويشمل هذا الحصر الكتب والمجلات والدوريات الخ.

والقيام بعملية الحصر يحتاج بالطبع إلى خبراء ومساعدين في مجال كل لغة من هذه اللغات الست؛ على أن يستعان لذلك بالمتخصصين في المجال الإستشراقي من الذين اعتنقوا الإسلام في أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها.

٢ - يجب توفير كل أعمال المستشرقين باللغات الست، وذلك عن طريق الشراء للمتوفر منها، أو التصوير إذا لم يكن هناك من شرائها. وتشكل هذه الأعمال مكتبة إستشراقية تكون تحت أيدي العلماء والخبراء والمساعدين الذين سيشتركون في إعداد الموسوعة.

٣ - يحتاج هذا العمل الموسوعي الضخم إلى عدد كبير من العلماء المسلمين المتخصصين في شتى مجالات الفكر الإسلامي على مستوى العالم الإسلامي من أصحاب الكفايات العلمية الممتازة، يقومون بمهمة الإعداد والتحرير لموضوعات الموسوعة. ويقوم جهاز متعاون من الخبراء في اللغات الست أعلاه بتحضير المادة، وتصنيف الموضوعات، وضم المادة التي يتكرر الحديث عنها في لغات مختلفة تحت موضوع واحد، كي يتم الرد عليها جملة واحدة. ويقدم الخبراء المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد الردود العلمية عليها.

ويطلب من العلماء الكتابة في موضوعات محدَّدة حسب المادة التي تقدَّم إليهم، كل في مجال تخصصه. ويراعي عند تقديم المادة لهم أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المطلوب الكتابة فيها من اللغات التي لا يجيدون القراءة بها، حتى يكون عندهم تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحة، وحتى يغطي

---

(1) للتوسع راجع بحثنا: لمع من حضارتنا العربية العالمية في العصور الوسطى ص: ٤٢٤ - ٥٦٣.

http://kotob.has.it

التناول للموضوع وجهات النظر التي قيلت فيه. ويجب أن يكون رد العلماء فيها وافياً، بعيداً عن الإيجاز المخل، أو التطويل الممل.

والواقع أن طبيعة الموضوعات هي التي ستحدد حجم الردود المطلوبة، وتوضع خطة زمنية محددة لوصول الرد.

٤ ـ يتم تحرير الموضوعات من قبل العلماء باللغة العربية، وفي الحالات التي لا يجيد فيها أحد العلماء المسلمين اللغة العربية، يمكن الكتابة بإحدى اللغات الأجنبية، شرط أن يتم ترجمة الموضوع إلى اللغة العربية فور وصوله.

وعند وصول رد من الردود، يحال إلى لجنة مختصة بالمراجعة والتدقيق، مهمتها تنحصر في فحص الرد من جميع جوانبه الدينية والعلمية والتاريخية؛ ومدى وفائه بالغرض المطلوب، أي استيعابه التام للرد على الشبهة المراد عليها، وتفنيد حججها بالأدلة الدامغة التي لا تقبل المناقشة.

٥ ـ تكون اللجنة العلمية دائمة، وتقوم بمهمة الإشراف والمراجعة للموضوعات وتكون مختصة بالإتصال بالعلماء الذين سيشاركون في كتابة الموسوعة في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وتقديم المادة العلمية لهم، وتلقي ردودهم عليها، وتقوم هذه اللجنة بمراجعة الردود التي تصل إليها مراجعة دقيقة؛ يتم بعدها تصويرها، وتوزيعها توزيعاً محدوداً على مجموعة من العلماء المتخصصين بنفس الموضوع، لمراجعتها مراجعة نهائية وإقرارها، أو بيان ما قد يكون هناك عليها من ملاحظات لمراعاتها، وأخذها بعين الإعتبار.

بعد اعتماد الرد اعتماداً نهائياً، يتم إعداده للطباعة، في إطار مجال من مجالات فروع العلوم الإسلامية والفكر الإسلامي؛ وفي نفس الوقت تبدأ مجموعة من الخبراء في ترجمته إلى اللغات الأجنبية الست التي ذكرناها ـ وبعدها يتم النشر في وقت واحد باللغة العربية وهذه اللغات الأجنبية.

٦ ـ بعد إتمام البنود الخمس السابقة، تنشر الموسوعة على مراحل حسب العمل الذي يتم إنجازه، مع مراعاة ضم قضايا المجال الواحد معاً، حيث تصبح

http://kotob.has.it

وحدة متكاملة، يمكن أن تأخذ صورة كتاب في موضوع معين. وبعد الإنتهاء من الموسوعة، يمكن إعادة طبعها مرة أخرى في صورة متكاملة.

وتقوم اللجنة العلمية الدائمة أيضاً بمهمة تبويب موضوعات الموسوعة، وتحديد فصولها، لتكون معدة للطبع بصورة نهائية متكاملة.

ويتطلب العمل في هذه اللجنة الدائمة تفرغاً كاملاً لعدد من العلماء المتخصصين في مختلف مجالات الفكر الإسلامي. ولهذه اللجنة الحق أن تستعين بمن ترى الإستعانة بهم من العلماء المتخصصين من أنحاء العالم الإسلامي.

ويكون هناك أيضاً مجلس للأمناء، يضم اللجنة العلمية الدائمة، والأمانة المالية، والأمانة الفنية؛ ويقوم هذا المجلس بالتنسيق بين الأجهزة المختلفة المشرفة على المشروع. ويجتمع المجلس في أوقات زمنية محددة لدراسة التقارير الشاملة عن سير العمل في المشروع، ومدى التقدم فيه، ووضع الحلول المناسبة، لما قد يحصل من مشكلات تعوق سير التنفيذ.

ولسرعة العثور على الموضوع المطلوب في الموسوعة، ولتمام الفائدة القصوى، يُعمل كشاف في نهاية الموسوعة، يضم فهرساً للأعلام، وفهرساً آخر للموضوعات.

٢ - إعداد دائرة معارف اسلامية بأقلام إسلامية:

واجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية بأقلامنا الإسلامية المؤمنة، المتحررة من الإستعمار والتغريب. وهذا يعد من الأولويات العلمية الملحة. لأنه من العيب والعار، والخزي والأسف الشديد، أن نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية الأوروبية المشوَّهة والمحرَّفة، والتي أعدت بأيدي أكثر المستشرقين عداء للإسلام قبل الحرب العالمية الثانية. فتلك، قد تجاوزها المستشرقون أنفسهم، وانتهوا منذ بضع سنوات من إصدار دائرة معارف إسلامية ثانية لا تقل حقداف على الإسلام من الأولى، تشوِّه وتشكك في ديننا الإسلامي الحنيف الحق، والسيرة النبوية العطرة لنبينا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه، والحديث

http://kotob.has.it

النبوي الشريف، والتاريخ الإسلامي الراقي، والمعارك الإسلامية البطولية الجهادية، التي ترفع رؤوسنا بالمجد والفخار، إلى جانب سيرة رجالاتنا الإسلامية المجاهدة.

لذلك من واجبنا كمسلمين، بل نحن مجبرون إصدار دائرة معارف إسلامية، تكتبها أقلام إسلامية مؤمنة، وتصدر باللغة العربية، واللغات الأوروبية الرئيسية، تفوق دائرة المعارف الإسلامية الخاصة بالمستشرقين تخطيطاً وتنظيماً، وتتفوق عليها علمياً، وتنقل الحقيقة الإسلامية الناصعة في شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية، إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء، لمعرفة الحقيقة الدينية والعلمية والأدبية الإسلامية الناصعة.

ودائرة المعارف الإسلامية هذه تختلف بالطبع عن «موسوعة الرد على المستشرقين»، لأن الموسوعة محدودة بالرد على شبهات وتشكيكات معينة، أثارها المستشرقون، ومناقشة هذه الشبهات والتشكيكات وتفنيدها وإظهار زيفها، وإثبات الحقائق الإسلامية فيها. أما دائرة المعارف الإسلامية المطلوبة، فهي عامة وشاملة لكل جوانب الدين الإسلامي، والسيرة النبوية العطرة، والحديث النبوي الشريف، والفقه الإسلامي، والتاريخ والفكر والحضارة الإسلامية الراقية بوجه عام. وذلك من أجل تقديم عمل نافع مثمر للأجيال المسلمة، التي تنتظر الكثير من علماء المسلمين، لكي تستطيع أن تواجه شتى التيارات الفكرية التي تحيط بها من كل جانب. وكذلك من أجل المتغربين والمفتونين بزيف حضارة الغرب، وكل ما يقوله الغرب؛ من أبناء المسلمين بالهوية، الذين غسل الغرب وإرسالياته في بلادنا عقولهم؛ وذلك للعودة إلى الدين الإسلامي، والحقيقة التاريخية الإسلامية الغراء.

ويجب أن تطبع دائرة المعارف الإسلامية باللغة العربية، وتترجم إلى لغات العالم أجمع ليتعرف العالم بأسره على الدين الإسلامي، والسيرة النبوية العطرة، والفقه الإسلامي، والتاريخ والحضارة والفكر الإسلامي البنّاء المبدع.

فالدين الإسلامي الخالد أرسل للناس كافة، وللعالم أجمع حتى قيام الساعة؛ والرسول الحبيب صلوات الله وسلامه عليه هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأرسل

http://kotob.has.it

لهداية الناس أجمعين قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[5].

لذلك يجب على علماء المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، التخطيط معاً لإنجاز دائرة المعارف الإسلامية بأسرع وقت ممكن والله ولي التوفيق[6].

٣ ـ إنشاء مؤسسة إسلامية علمية عالمية:

هناك ضرورة دينية وعلمية ملحة ومستعجلة لإنشاء مؤسسة إسلامية علمية عالمية، توكل إليها مهمات عديدة؛ ولا تنتمي بالولاء لقطر معيَّن من الأقطار الإسلامية، ولا لمذهب سياسي أو فكري معين، بل يكون ولاؤها الأول والأخير لله تعالى وحده جل وعلا، ولرسوله الحبيب صلوات الله وسلامه عليه. ويتكون أعضاؤها من صفوة العلماء الإسلاميين المؤمنين الباحثين في شتى المجالات، بصرف النظر عن جنسياتهم، ويتوزعون إلى مجموعات عمل، يتوفر كل فريق منها على دراسة قطاع معيَّن من قطاعات الفكر الإسلامي. وتقف على قدم المساواة مع الحركة الإستشراقية، ويكون لها دوريات بلغات مختلفة؛ وتخطط هذه الصفوة أيضاً

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٦) للتوسع راجع كتبنا: العزر في سير المؤرخين وأخبارهم؛ لمع من حضارتنا العربية العالمية في العصور الوسطى؛ دروس من السيرة النبوية الشريفة؛ المستشرقون والمرأة المسلمة؛ المشرق العربي منذ ضعف الخلافة العباسية وحتى ظهور الخلافة العثمانية. زقزوق: الإستشراق ص ١٤٢ وبعدها.

http://kotob.has.it

للبحوث الإسلامية في جامعات العالم الإسلامي، فتصل الماضي بالحاضر، وتجدِّد شباب تراثنا وتجنِّده لخدمة الحياة الإسلامية المتجدِّدة. وبذلك تعمل على استعادة أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار الحقيقية والحرة والجريئة والصريحة. وهـذا الطريق هـو الطريق الصحيـح إلى الإستقلال الإقتصـادي والسياسي؛ إذ أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسة، لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه(1).

وعلى هذه المؤسسة العلمية أن يكون لها أكثر من الإمكانات العلمية والمادية التي تملكهـا المؤسسة الإستشـراقية. فبـلادنا الإسـلامية غنيـة بعقيدتهـا الـدينيـة، وبإمكانياتها المادية، وخاصة دول الخليج وباقي الدول النفطية؛ وتستطيع أن تتبنى مثل هذا المشروع العظيم.

ولا يجوز الخلط بين هذه المؤسسة العلمية المقترحة، وبين لجنة «موسـوعة الرد على المستشرقين» ولجنة «دائرة المعارف الإسلامية» لأسباب متعددة منها:

١ ـ إن هذه المؤسسة العلمية لها مهام متعددة، لتغذية الإنسان المسلم بالغذاء الفكري الصحيح، ونقل دعوة الإسلام الحنيف في صفائها، ونقائها، وحقيقتها إلى شعوب الأرض قاطبة؛ ولا تكون مماثلة لأي من الهيئات الإسلامية المعاصرة، التي تجتمع في مناسبات معينة، على شكل مؤتمرات دعـائية لإصـدار بيانـات للدعايـة فقط، لا أثر لها في حيـاة المسلم، ولا تأثيـر، ولا حياة فيهـا، ولا روح، ولا تنفَّذ قراراتها.

٢ ـ ومن المهمات التي توكل لهذه المؤسسة أيضاً، أن تقف بالمرصـاد لكل التيارات المناوئة للإسلام أياً كانت اتجاهاتها، وأياً كان مصدرها. ولا بد أن يكون لها جهاز لمتابعة كـل ما ينشـر في العالم من بحـوث تتعلق بالإسـلام والمسلمين.

---

(١) للتـوسع راجـع: مالـك بن نبي: إنتاج المستشـرقين ص ٦٢ وبعدهـا؛ زقزوق: الإستشـراق والخلقية الفكرية ص ١٣٧ وبعدها.

http://kotob.has.it

ويمكن لهـذه المؤسسة أيضـاً أن تتبنى تياراً إسـلامياً خـاصاً، يقـوم بدراسـة تراث الغربيين، ونقد ما عندهم من دين وعلوم وحضارة.

وهنا أذكر أمل الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله حين قـال: «سيأتي يـوم نتقلب فيه نحن إلى دراسة تراث الغربيين، ونقْد ما عندهم من دين وعلوم وحضارة، وسيأتي اليوم الذي يستعمل فيه أبناؤنـا وأحفادنـا مقاييس النقـد التي وضعها هؤلاء الغربيون، في نقد ما عند هؤلاء الغربيين أنفسهم من عقيدة وعلوم، فإذا هي أشـد تهافتاً، وأكثر ضعفاً مما يلصقونه اليوم بعقيدتنا وعلومنا.

تُرى لو استعمل المسلمون معايير النقد العلمي التي يستعملها المستشـرقون في نقد القرآن والسنة، في نقد كتبهم المقدَّسة وعلومهم الموروثة، ماذا كان يبقى لهـذه الكتب المقدسـة والعلوم التاريخيـة عندهم من قـوة؟ ومـاذا يكـون فيهـا من «ثبوت»؟ تُرى لو استعمل المسلمون في المستقبل معايير النقـد العلمي التي يزعم المستشرقون أنهم يأخذون بها عند نقد تاريخنا وأئمتنا في نقد تاريخ هذه الحضارة ومقدساتها وفاتحيها ورؤسائها وعلمائها، ألا يخرجون بنتيجة من الشك وسوء الظن أكبر بكثير مما يخرج به المستشرقون بالنسبة إلى حضارتنا وعظمائنا؟ ألا تبـدو هذه الحضارة مهلهلة رثة الثيـاب؟ وألا يبدو رجـال هذه الحضـارة من علماء وسيـاسيين وأدباء بصورة باهتة اللون لا أثر فيها لكرامة ولا خلق ولا ضمير؟

كثيراً ما أتمنى أن يتفرغ منا رجال للكتابة عن هذه الحضارة وتاريخ علمائهـا بنفس الأسلوب الـذي يكتب به المستشـرقـون من تتبـع الأخبـار السـاقـطة، وفهم النصوص على غير حقيقتها، وقلب المحاسن إلى سيئات، والتشكيك في كل خير يصـدر عن هؤلاء الغربيين، ولـو حصل هـذا، لخرجت منـه صورة لهـذه الحضارة ولرجالها مضحكة مخزية ينكرها المستشرقون قبـل غيرهم، أتُـرى أحداً ينهض منـا لهذا العبء عبء استعمال المقاييس النقدية عند الغربيين بالأسلوب الذي ذكرنـاه لإعطاء صورة عنهم وعن عقائدهم وعن حضارتهم ليقرأها المستشرقـون بأنفسهم، فيروا كيف عادت هذه الطريقة التي زعموا أنهم يستخدمونها لمعرفـة «الحقيقة» في تاريخنا وديننا وبالاً عليهم، لعلهم يخجلون ـ بعدئذ ـ من استمرارهم في التحريف

http://kotob.has.it

والتضليل والهدم»[1].

ونحن نضم صوتنا إلى صوت الدكتور سباعي رحمه الله في مثل هـذا الأمل بحول الله وقوّته.

٣ ـ ومن المهمات التي توكل لهذه المؤسسة أيضاً، إصدار موسوعات متخصصة، مثل موسوعة للحديث النبوي الشريف، وموسوعة للفقه الإسلامي، وموسوعة للتاريخ الإسلامي الخ. وينبغي أن يكون هناك تنسيق بين علماء المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، حتى لا تتوزع الجهود وتتكرر الأعمال. فالتكرير يحبس جهود مجموعة من العلماء لسنوات عديدة في عمل معين، بينما التنسيق المتكامل بين العلماء في أرجاء العالم الإسلامي، يساعد في توزيع الجهود إلى مجالات إسلامية أخرى، تنتج فيها أعمال ليس لها نظير في جهة أخرى في العالم الإسلامي؛ وهذا ولا شك خدمة للإسلام وبناء حياة إسلامية على أسس إسلامية متينة، والنهوض مرة أخرى دينياً وثقافياً وحضارياً.

٤ ـ ومن المهمات التي يمكن أن توكل لهذه المؤسسة العلمية أيضاً إعداد ترجمات إسلامية مقبولة لمعاني القرآن الكريم باللغات الحية، نسد بها الطريق أمام عشرات الترجمات المنتشرة الآن بشتى اللغات، والتي قام بإعدادها بعض المستشرقين والمنصرين؛ وصدروها بمقدمات مملوءة بالطعن والحقد على إسلامنا الحنيف؛ ولم يستطيعوا تفسير معاني القرآن الكريم كما ينبغي؛ ولن يستطيعوا مهما حاولوا لإعجاز القرآن الكريم عن أفهامهم.

٥ ـ ومن المهمات التي يجب أن توكل لهذه المؤسسة العلمية أيضاً، ترجمة كتب الحديث النبوي الشريف، ككتب صحيح مسلم، وصحيح البخاري، والمسند للإمام أحمد وغيره؛ لتكون ترجمة الحديث النبوي الشريف، مع ترجمة معاني القرآن الكريم في متناول جميع المسلمين غير الناطقين بالعربية، وفي متناول غير

---

(١) السباعي: الإستشراق ص: ٦٤ ـ ٦٦.

http://kotob.has.it

المسلمين الذين يريدون فهم الإسلام من منابعه الأصلية، وليس كما يريد المستشرقون، ومن سار على دربهم من المفتونين بالغرب والمتغربين من أبناء العالم الإسلامي.

وهذا ضروري جداً لأن العرب لا يشكلون أكثر من نسبة ١٥٪ فقط من تعداد المسلمين في العالم، فهل يُترك باقي المسلمين من غير العرب تحت رحمة ترجمات فاسدة للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قام بها أناس غرباء عن دينهم.

٦ ـ ولا بأس أن توكل لهذه المؤسسة العلمية أيضاً، مهمة اتصال علمائها بالمستشرقين المعتدلين، بهدف إجراء حوار مستمر معهم، وعقد لقاءات وندوات تجمع بين علمائنا المسلمين المؤمنين وبين هؤلاء المستشرقين المعتدلين. فمثل هذه اللقاءات ستكون دعماً لمواقف هؤلاء المستشرقين، وتقوية لجانبهم، وتشجيعاً لاتجاهاتهم، لكي تصبح هذه الإتجاهات المعتدلة في يوم من الأيام تياراً عاماً في الغرب، يكون له تأثيره الفعال في تصحيح الصورة الخاطئة عن إسلامنا الحنيف في العالم الغربي. هذا إلى جانب ترشيد المثقفين المسلمين المتغربين والمتأثرين بأفكار استشراقية سلبية، وبذلك قد نستطيع منع اندفاعهم وتقليدهم لهذه الأفكار الخاطئة، وإعادتهم إلى جادة الصواب في مواقفنا الإسلامية الحنيفة الصحيحة.

٧ ـ ومن المهمات التي توكل لهذه المؤسسة أيضاً تنقية تراثنا الإسلامي العظيم من الخرافات والإسرائيليات التي يستخدمها المستشرقون دليلاً ضدنا. والتراث هو كل إنتاج بشري للمسلمين في شتى مجالات الأدب، أو اللغة، أو الفكر، أو العلوم بصفة عامة، أو الفنون المختلفة وغيرها؛ وهو يمثل الإطار الذي يحدِّد للعرب والمسلمين هوية معينة وصبغة متميزة، كما يعطي لهم الركيزة الأساسية لخاصيتهم الإسلامية التي يتميزون بها بين الأمم.

وتراثنا الإسلامي يُعد أغنى تراث في العالم، ونحن نعتز به، ولن نفرِّط فيه. والإهتمام بهذا التراث لا يعني أبداً التغني بأمجادنا الماضية فقط، بل يعني أيضاً البحث عن الجذور الحقيقية للشخصية الإسلامية، واستعادة الأمة الإسلامية للثقة

http://kotob.has.it

بنفسها وأمجادها، وقدرتها على البناء والتطور الحضاري، حتى يسير أبناؤها بخطى ثابتة على أرض صلبة مستندة على رصيد حضاري ضخم، من إبداع أدبي وعلمي وفني الخ. كما أن الإهتمام بتراثنا لا يعني أبداً أن نتقوقع وننعزل عن التطورات العلمية في عالمنا المعاصر؛ فتراثنا الحضاري الضخم يعطينا كيف أن المسلمين أجدادنا، عندما بنوا حضارتهم لم ينعزلوا، وإنما استفادوا من كل ما كان موجوداً من علوم ومعارف على اختلاف أنواعها. فالتراث يجدد نفسه دائماً بمواكبته لروح العصر، والإستفادة إلى أقصى حد من أفضل الوسائل والأساليب الحديثة في تنميته وتطويره، بما لا يتعارض مع مقوِّماته الأساسية.

وتراثنا العربي المجيد، شأنه شأن كل جهد بشري يشتمل على جوانب غثَّة سلبية، وجوانب ثمينة إيجابية؛ ففيه بعض الخرافات والإسرائيليات ـ كما ذكرنا ـ الأمر الذي يعطي الفرصة للمستشرقين للبحث والتنقيب عن الجوانب الغثَّة السلبية المملوءة بالإسرائيليات، والتركيز عليها، وتفصيل القول فيها، ظناً منهم أنهم بذلك قد عثروا على نقاط الضعف في الإسلام ذاته، على الرغم من أن الإسلام لا يتحمل أي وزر في ذلك؛ ويكفي في هذا أن نشير إلى مثال واحد وهو كتاب «الأغاني» للأصفهاني، والأغلاط التاريخية التي لا تحصى الواردة فيه.

ونحن إذا اتهمنا المستشرقين بالتجني على تراثنا، حقٌّ لهم أن يردوا الإتهام بأنهم لم يخترعوا شيئاً من عندهم، بل هي واردة في بعض مصادرنا المعتمدة.

لذلك من واجب هذه المؤسسة العلمية الإسلامية، تنقية التراث، على أن *يكون لديها خطة عمل تراعي فيه الأولويات الملحة، فيما يتعلق بتحقيق كتب التراث* ونشرها. لذلك من الواجب على علماء المسلمين، والدول المعنية بتراثنا العربي، الإسراع بإنجاز مثل هذه المؤسسة العلمية الإسلامية العالمية بأقصى سرعة، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

٤ ـ إنشاء جهاز عالمي ودار نشر عالمية للدعوة الإسلامية:

من الأمور الضرورية المهمة والملحة أيضاً في مجال العمل الإسلامي، إنشاء

http://kotob.has.it

جهاز للدعوة الإسلامية في الخارج يدعو للإسلام، ويظهر للغرب والعالم أجمع، كيف أن الإسلام هو الوحيد القادر على فتح طريق المستقبل العالمي للعالم. ويقف هذا الجهاز ضد التضليل الصهيوني والتبشير النصراني الضخم.

ويكون هذا الجهاز على شكل مؤسسة علمية دينية إسلامية، تدعو للإسلام من ناحية، وتحمي المسلمين بالوراثة من ناحية ثانية، وترعى المسلمين الجدد من ناحية ثالثة، وتكون مركزاً يتدرب فيه الدعاة إلى التعرف بدين الإسلام الحق، وبعدها ينتشرون لبثّ ونشر الإسلام بين الناس في جميع أنحاء العالم، وبجميع اللغات الموجودة في العالم. فإسلامنا الحنيف هو رحمة للعالمين أجمعين، وواجبنا الديني يحضنا على تعريفة ونشره للعالم أجمع. ومن مهام هذه المؤسسة.

١ ـ يتطلب هذا العمل الضخم من المؤسسة إصدار كتب إسلامية باللغات الحية العالمية؛ منها كتب لتصحيح التصورات الخاطئة عن الإسلام في الأذهان، ومنها كتب تعرض الإسلام بأسلوب علمي يتناسب مع العقلية المعاصرة، ومنها كتب تبرز معاني وحدة وشمولية نعمة الإيمان، وتقدم الحلول الإسلامية لمشكلات المسلمين العصرية.

٢ ـ يمكن لهذه المؤسسة أيضاً أن تنشىء معاهد أو مراكز بحوث إسلامية في أوروبا وأمريكا على غرار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، ويكون لهذه المراكز منشورات علمية. وهذه المعاهد يمكنها أن تزوِّد الجهات العلمية في الغرب بالمعلومات الصحيحة، كما تسهم بنشر بحوث علمية رصينة بلغات تلك البلاد، تساعد في تصحيح التصورات الخاطئة عن الإسلام، وخاصة في أوروبا وأمريكا.

٣ ـ يمكن لهذه المؤسسة أن تستفيد من خبرات وأفكار الشخصيات الغربية والآسيوية الواعية التي اعتنقت الإسلام، والإتفاق معها على خطة عمل، لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية في الغرب وأقصى الشرق، وفي جميع قارات العالم على السواء.

http://kotob.has.it

ذلك لأن الغربي المسلم الذي ولد ونما وعاش في بلاد الغرب، وتثقف بالثقافة الغربية، أقدر من غيره على فهم نفسية الغربيين، وما يشعرون به من أزمات روحية واجتماعية وحياتية وبيئية؛ وما يتطلعون إليه من حلول، وأقدر أيضاً على معرفة الأساليب التي يمكن أن يكون لها تأثير في نفوسهم وعقولهم.

٤ - كما أنه يمكن لهذه المؤسسة أن تستعين بالعديد من الوسائل لتسهيل عملها، مثل نشر الكتيبات المبسَّطة بجميع لغات العالم، وبأسعار زهيدة، تعرِّف بالإسلام، وتدعو لاعتناقه، وتنشر وتوزع في جميع أنحاء العالم.

٥ - هذا إلى جانب الحضور الدعائي المستمر في وسائل الإعلام الغربية والشرقية على السواء، إلى جانب تنظيم معارض للكتاب الإسلامي، والفن الإسلامي، وإقامة المهرجانات الخطابية الإسلامية العالمية، والحوار المستمر لعلمائنا الدعاة مع علماء غربيين على أحدث وسائل الإعلام العالمي المرئي والمسموع. إلى جانب إقامة ندوات ولقاءات ومحاضرات في الغرب، تسهم في تصحيح التصورات الخاطئة، عن الإسلام في الغرب وأمريكا، والتخفيف من غلواء العداوة للإسلام في الغرب بصورة عامة؛ كما تساهم في انتشار الإيمان وثقافة الإسلام في العالم.

٦ - كذلك فإن من مهمات هذه المؤسسة أيضاً إقامة مراكز للدعاة المسلمين في جميع مدن العالم، وجعلها مركزاً للإشعاع الديني والثقافي، حيث يبث الدعاة في المدن للدعوة واعتناق الدين الإسلامي الحنيف.

٧ - وللتعريف بالإسلام، ولتقوية الحضور الإسلامي في الغرب، وخاصة في الجامعات الأوروبية والأمريكية، يمكننا اقتحام مجالات تدريس العلوم الإسلامية والعربية في الغرب، بالتعاون مع هذا الجهاز الإسلامي، كهمزة وصل عن طريق الإتفاقات الثقافية التي تعقد بين بلدان العالم الإسلامي، ودول أوروبا، وأمريكا، والشرق الأقصى؛ وذلك بإرسال أساتذة جامعيين أكفاء من الأقطار الإسلامية، إلى معاقل الإستشراق للتدريس فيها، وذلك بإنشاء كراسٍ لتعليم أصول ومبادىء وعقائد الدين الإسلامي، والحضارة الإسلامية، واللغة العربية فيها.

http://kotob.has.it

وعندها يمكن لنا تصحيح التصورات الغربية عن الإسلام، بالعمل العلمي الدؤوب، وليس عن طريق الشعارات الجوفاء التي تذهب هباء منثوراً.

٨ ـ ولهذا كله أصبحت الحاجة ملحة لإنشاء دار نشر إسلامية عالمية، تقوم بنشر المطبوعات الإسلامية، بكافة لغات العالم، حتى لا تبقى المطبوعات الإسلامية باللغات الأجنبية، تحت رحمة الناشر ودور النشر في الغرب. ويمكن أن تقوم هذه الدار المقترحة أيضاً بإصدار مجلات وصحف إسلامية بلغات مختلفة، وتكون هذه المجلات والصحف، وسيلة للربط بين المسلمين في جميع أنحاء العالم، وعاملاً على توحيد صفوفهم، وتجميعهم، وتعريفهم بقضايا ومشكلات الإسلام، وإعلامهم بأخبار العالم الإسلامي عامة من مصادر صحيحة.

٩ ـ ويمكن لهذه الدار أيضاً أن تقوم بإنشاء وكالة أنباء إسلامية عالمية، تثبت وجودها، كأهم وكالات الأنباء العالمية؛ وتكون هذه الوكالة المصدر الرئيسي الذي يستقي منه الغرب معلوماته عن العالم الإسلامي. فنحن اليوم نستقي معلوماتنا عن العالم الإسلامي من وكالات الأنباء الغربية، التي تتحرى التحيز لحكوماتها، وتتخذ عامة موقفاً سلبياً إزاء الإسلام، لتشويه صورته انطلاقاً من النظرة الغربية للإسلام المعتمدة على المواقف الإستشراقية التي ترسخت في الأذهان على مدى قرون عديدة؛ ولا تتخذ الدقة والموضوعية والحقيقة في عرضها لأخبار العالم الإسلامي.

وهذا العمل الإسلامي الضخم في حاجة إلى بحث مستفيض ودراسة واعية، وتخطيط سليم، كما يحتاج إلى دعم مالي هائل، لتدعيم مثل هذا المشروع الضخم.

http://kotob.has.it

الخاتمة

لقد تعرض العالم الإسلامي منذ فجر التاريخ وحتى اليوم لغزوات عسكرية أوروبية. لعل من أهمها الحروب الصليبية أواخر القرن الخامس هـ/ الحادي عشر م، والحروب الإستعمارية التي بدأت منذ القرن التاسع هـ/ الخامس عشر م، وكثرت خاصة قبيل إسقاط الخلافة العثمانية، وذلك لاحتلال العالم العربي والإسلامي؛ إلى جانب غزو فكري، اغتصب الثروة والإنسان والأرض، وحاول اغتيال دين هذه الأمة وهو الإسلام الدين الحق، ورد الأمة إلى الكفر والإلحاد، بعد أن منَّ الله عليها بنعمة الإيمان، قال تعالى: **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾**[1].

ولقد أدركت الأمة المؤمنة خطورة الهجمة الأوروبية الشرسة، فهبت عن بكرة أبيها تجاهد المغتصب، رغم تفوقه في أدوات القتل والتدمير، وتستشهد في سبيل الله، في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، حتى أجبرته على الخروج من ديار الإسلام. وهذا ما لم تكن تتوقعه الدول الأوروبية المحتلة؛ التي كانت قد أصدرت قرارات تعتبر بلاد الإسلام المغتصبة جزءاً من الوطن الأم (أوروبا)، كما فعلت فرنسا في الجزائر، وكما فعل البرتغاليون في افريقيا.

ولكن قبل أن يخرج المحتل المغتصب من بلاد العالم الإسلامي حديثاً، كان

(١) سورة البقرة، آية ٢١٧.

http://kotob.has.it

قد نجح في تمزيقها تمزيقاً هائلاً، وزرع فيها مشاكل الحدود والأقليات، وربطها معه برباط التبعية الفكرية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية.

ولعل أخطر ما في هذه الهجمة الأوروبية الشرسة، **الغزوة الفكرية**، التي استهدفت تربية أجيال لا تعرف لها رباً ولا ديناً. ولتحقيق ذلك فإنهم حرصوا على تشويه التاريخ الإسلامي الذي كتب بأيديهم الحاقدة، وإفساد مناهج التعليم وصبغها بالصبغة العلمانية، ومحاولة إفساد تعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وإفساد المرأة المسلمة الخ.

وقد نال التاريخ الإسلامي «أستاذاً، ومنهجاً، ومرجعاً» النصيب الأوفر من المؤامرة الأوروبية الضارية.

فالمستشرقون حرصوا على تشويه وتزييف التاريخ الإسلامي، تحت شعار كاذب سموه «البحث العلمي المجرد». فترتب على اتباع النهج الإستشراقي في كتابة التاريخ الإسلامي، نوع من التبعية الفكرية الخطيرة، التي جعلت المسلم ينظر إلى دينه، وإلى نفسه، وإلى تاريخ أمَّته من خلال كتابات أعدَّها أعداء الداء لهذا الدين القويم.

ولكي تضمن أوروبا استمرار تنفيذ مخططاتها حتى بعد خروج جيوشها المدججة بالسلاح، أعدت جيوشاً أخرى من أبناء الأمة العربية والإسلامية، في دور علمها، حيث لقنتهم أفكارها ومبادئها، وأعادتهم إلى بلادهم وأمتهم، لكي يباشروا دورهم في تدمير الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة، والتاريخ، والفكر الإسلامي للأمة. ومما يؤسف له حقاً أن الكثيرين ممن لُقّنوا المنهج الإستشراقي في كتابة ودراسة وتدوين التاريخ الإسلامي، ما زالوا حتى اليوم يتربعون على مراكز التوجيه الديني والفكري في دور العلم، وخاصة الدور العليا في بلاد الإسلام. ويبدو أن هذا أخطر على الأمة المسلمة من الغزوة الفكرية التي تعرضت لها من قبل الأعداء الألداء للإسلام.

ونحن في هذا البحث قد نبهنا إلى ما تعرض له الدين الإسلامي، والسيرة

http://kotob.has.it

النبوية العطرة، والتاريخ الإسلامي عامة، على أيدي المستشرقين من أبناء أوروبا، ومن سار على نهجهم ودربهم من المفتونين بالغرب من أبناء المسلمين؛ وذلك من باب التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

كما نبهنا أيضاً إلى ضرورة التحرر من التبعية الفكرية. ذلك لأن الأمة المسلمة لها سمت متميز، فهي خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[1]. وهي الأمة الشاهدة، قال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**[2]. ولا يجوز لأمة هذا سمتها، أن تسمح لغيرها أن يشرح لها كتاب الله تعالى جل وعلا، وسنة نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وأن يفكّر لها، أو أن تقرأ تاريخاً إسلامياً كتبه لها أعداؤها، أو أن تكون في المؤخرة أو الذيل في أي أمر.

ومن هذا المنطلق قدمنا تصوراً مقترحاً للمواد أعلاه في ضوء الكتاب والسنة، ودراسة التاريخ الإسلامي من منابعه الأساسية، وكذلك الحضارة والتراث الإسلامي بكامله؛ بعيداً عن التصور الإستشراقي البغيض، مع خطوط رئيسية للمنهج. وبينا أهمية المنهج الإسلامي لكتابة ودراسة وتدريس التاريخ الإسلامي، وضرورة رسم ملامحه الرئيسية. فمثل هذه الدراسة ستؤدي بالتأكيد بإذن الله تعالى إلى بناء الفرد المسلم المخلص لربه، الحريص على دينه، المعتز بتاريخه وحضارته وانتمائه إلى ذلك التاريخ الناصع المشرّف، والمؤمن بعودة الوحدة الشاملة للأمة الإسلامية قاطبة في ظل دستورها الإلهي القرآني.

- وفي ظل هذا التصور تتخلص أمتنا الطاهرة من التبعية الفكرية الأجنبية، وتتضح لها هويتها وشخصيتها الإسلامية. ويصبح عمر التاريخ الإسلامي عمر الزمان كله، فتاريخ الإسلام يبدأ بخلْق الكون مسلماً منقاداً طائعاً لله رب العالمين، وتاريخ الأمة الإسلامية يبدأ بخلق آدم عليه السلام وزوجه وبنيه، مستسلمين لله عزّ وجل،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

http://kotob.has.it

ويتضح للجميع أن الدين الإسلامي، وهو الدين الذي دعا إليه جميع رسل الله - عليهم السلام - وهو الذي لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره؛ حقيقة بارزة في تاريخ الأمة الإسلامية[1]. وبذلك يتضح خطأ الدراسات التاريخية المعاصرة التي وضع أسسها المستشرقون، والتي ما نزال حتى اليوم نسير في عالمنا العربي والإسلامي على نهجها، والتي تقسم تاريخ البشرية إلى: تاريخ قديم، ووسيط، وحديث ومعاصر. وتجعل بداية التاريخ الإسلامي فقط عهد الرسول الحبيب ﷺ، وتجعله في فترة العصور الوسطى، عصور التخلف والرجعية والظلام، وتجعل بضعة آلاف من تاريخ الأمة الإسلامية تاريخاً وثنياً جاهلياً محضاً لا أثر فيه لدين الله عز وجل وهو الإسلام، وأطلقت عليه اسم التاريخ القديم.

- وفي ظل هذا التصور أيضاً، تبرز ملامح الأمة الإسلامية، ودورها على مدار تاريخ البشرية، وتبرز ملامح الجاهلية، ودورها في إبعاد الناس عن دين الله عز وجل، وتتضح كذلك حقيقة الإسلام، وكونه نظاماً شاملاً من حيث العقيدة والسياسة والتنظيمات العسكرية والمدنية، والإقتصاد، والإجتماع، والتعليم والثقافة والحضارة وغيرها، وكونه صالحاً لكل زمان ومكان.

- وفي ظل هذا التصور أيضاً، تتضح الحقيقة الكبرى التي من أجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وقام الصراع بين الحق والباطل، ومن أجلها تنصب الموازين القسط يوم القيامة، ومن أجلها خلق الله الجنة والنار... وهذه الحقيقة هي ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[2]. ومن خلال استعراض تاريخ الأمة الإسلامية، وهي تحمل هذا الحق، وتكافح من أجله، وتدعو إليه، وتجاهد وتضحي وتستشهد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، يظهر لنا الدور الحقيقي لكل فرد من أفراد المجتمعات المسلمة في كل زمان ومكان، كما يظهر لنا من هم

---

(١) للتوسع راجع نجا: دروس من السيرة ص ٧٩ وبعدها.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

http://kotob.has.it

أعداء الأمة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل، وتتضح حقيقة الكيد الشيطاني والتآمر الدولي العالمي على الأمة الإسلامية، وكيف تستطيع هذه الأمة أن تواجه كيدهم وتتقي شرّهم.

وفي الختام نحن هنا نعلنها صراحة، أن أمتنا الإسلامية لن ترضى أن تخرج عن حدود دينها، لأنها مؤمنة بصلاح نظامه الإلهي. وعلينا أن نقوم بوقف التيار الإستشراقي المخالف للإسلام، وللحق، ولمصلحة المجتمع. وعلينا واجب تنوير الأذهان، وإظهار الأخطاء بكل ما في وسعنا من جهد، والتنبيه إلى الخطر على براعمنا ومجتمعات أمتنا الطاهرة. وإذا استمر تيار الإستشراق بعد ذلك، يهدم في عقول المتغربين من أبناء أمتنا الإسلامية، فيكفينا من ثواب الله أن يصدق علينا قوله تعالى: **﴿وإذ قالت أمة منهم لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يرجعون﴾**(1). وحسبنا أننا قمنا بواجبنا تجاه المتغربين، والمفتونين، وأذناب المستشرقين والمستعمرين من أبناء أمتنا الطيبة، وفرّقنا في كتابنا بين الحق والباطل، في قضية الإستشراق الخطيرة وبيّنا بوضوح وجلاء «نور الإسلام وأباطيل الإستشراق».

ونحن هنا نقول للمستشرقين وأذنابهم كافة، وبصريح العبارة، إنه قد أصبح للإيمان الحق الذي ننادي به، جيش ضخم من الشباب المؤمن، والشابات المؤمنات، عاهدوا الله عهداً لا رجعة فيه، على أن يجهروا للإيمان الحق، لا التواء فيه، ويحملوا لواءه، ويكافحوا في سبيله، ويجاهدوا ويستشهدوا في طلبه، غير عابئين بالعقبات، ولا مكترثين بالإتهامات من فئات تحيط بها كل الشبه والإتهامات.

وهذا الجيش المؤمن الذي انتشرت كتائبه في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي والعالم كله، ليس إلا امتداداً لكتائب الخير والإيمان التي حملت لواء الكفاح مع الشر منذ ابتداء الصراع بين الخير والشر على ظهر البسيطة، وسيمضون

---

(1) سورة الأعراف، آية ١٦٤.

http://kotob.has.it

في طريقهم وينتصرون على الباطل في كل مكان، وهم يرددون قول الله تعالى جلّت قدرته: ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنـا فاغفـر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾[1].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،

استغفرك وأتوب إليك، وصل اللهم علي سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة.

د. فاطمة هدى نجا

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٣.

http://kotob.has.it

ملحق

جدول رقم (١)

المستشرقون المعاصرون

● **ابراهام كاش:**

عرف من نشاطه أنه مؤلف كتاب (اليهودية في الإسلام).

● **س. س. أدامز c. c Adems**

إنجليزي باشر التدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الزمن. ومؤلف كتاب (الإسلام والتجديد في مصر) المترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

● **ادوارد أبر:**

أستاذ في الجامعة الكاثوليكية في واشنطن.

● **ادوارد فرمان E. Ferman**

من ألد أعداء الإسلام وأكثر المستشرقين طعناً فيه. له كتاب بالإنجليزية عن (تاريخ المسلمين وفتوحاتهم).

● **ادوين كالفرلي E. Calverley**

أمريكي متعصب رئيس تحرير مجلة «العالم الإسلامي» The Muslim World الأمريكية لفترة من الزمن، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، ومن الذين

(١) جدول ١ [المستشرقون المعاصرون] وجدول رقم ٢ [الخطرون من المستشرقين]، وجدول رقم ٣ [بعض الكتب الخطيرة، وجدول رقم ٤ [أهم المجلات التي يصدرونها] مأخوذة عن كتاب: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، تأليف الدكتور محمد البهي، محاضرة للدكتور محمد البهي بعنوان: المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام؛ وكتاب: الإستشراق والمستشرقون تأليف الدكتور مصطفى السباعي؛ وكتاب: أخطاء يجب أن تصحح تأليف الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود، والدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة؛ وكتاب: دراسات في السيرة النبوية لمحمد سرور بن نايف زين العابدين.

http://kotob.has.it

باشروا التدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة عدة مرات، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة.

● اريك شرودر:

مؤلف كتاب «أمة محمد» الذي صدر بالإنجليزية سنة ١٩٥٥.

مؤلف «العناصر الصوفية في محمد» الذي صدر بالإنجليزية في سنة ١٩٥٤.

● آرثر جيفري **Arthur Jeffry**

معروف بتعصبه السافر ضد الإسلام والمسلمين. ومن كتبه:

- (مصادر تاريخ القرآن)، صدر بالإنجليزية في سنة ١٩٣٧.
- (الكلمات الدخيلة في القرآن) بالإنجليزية.
- (القرآن ككتاب ديني) صدر بالإنجليزية في سنة ١٩٥٢.

● ت. و. آرنولد **T. W. Arnold**

إنجليزي اشترك في تحرير (دائرة المعارف الإسلامية) ومن كتبه.

- «الدعوة إلى الإسلام» ترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.
- «الخلافة»، صدر بالإنجليزية في سنة ١٩٣٤.
- «تراث الإسلام» صدر بالإنجليزية في سنة ١٩٣١.

● أرنولد توينبي **Arnold Toynbee**

إنجليزي له أخطاء فيما كتب عن الإسلام والرسول في كتابه العالمي «دراسة في التاريخ». وخطؤه هنا شديد الخطورة؛ لأن الكتاب يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتاريخ في العصر الحديث في نظر كثير من الناس، وخاصة الشرقيين والعرب منهم بوجه أخص.

● أ. أ. الدار **Elder**

قسيس يساهم في تحرير «مجلة العالم الإسلامي» التي تصدر بالإنجليزية في أمريكا.

● الفرد كارلتون **A. Karlton**

أمريكي كان مديراً لكلية حلب، ثم عين نائباً لرئيس جمعية البعثات الأمريكية التبشيرية في الخارج.

http://kotob.has.it

● ج. أ. أ. ايزنبرج J. Eisenberg

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ف. بابنجر F. Babinger

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. باجليارو A. Bagliaro

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ج. بارث J. Barth

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ر. باريت R. Paret

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ر. باست R. Passet

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. بشوب Bishop

قسيس يساهم في تحرير مجلة «العالم الإسلامي» الأمريكية.

● براون Browne

إنجليزي كان عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق.

● ل. ل. براون L. L. Brown

قسيس أمريكي يساهم في تحرير مجلة «العالم الإسلامي» الأمريكية.

● س. س. برج:

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. هـ. برو H. H. Brau

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. ل. بروفنسال E. L. Provensal

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ر. بل. R. Bell

http://kotob.has.it

إنجليزي كثير الخطأ في حديثه عن الإسلام والقرآن. ومن كتبه:

- «أصول الإسلام في بيئته المسيحية»، صدر في سنة ١٩٢٦.
- «القرآن» صدر في سنة ١٩٣٧.
- «مقدمة القرآن» صدر في ١٩٥٤.

● ر. بلاشير R. Blacher

فرنسي ومؤلف كتاب «مقدمة القرآن» صدر في ١٩٤٧.

● م. بلسنر M. Plessner

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ف. بول F. Buhl

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ت. ف. بوتشنر T. V. Buchner

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ج. بيدرسن J. Podersen

دانيمركي ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق، والآن أستاذاً في جامعة كوبنهاجن.

● ك. بيكنز:

قسيس يساهم في تحرير «مجلة العالم الإسلامي» الأمريكية.

● ا. س. بيفريدج A. S. Beveridge

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● س. هـ. بيكر S. D. Becker

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. س. تريتون A. S. Tritton

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ر. تشودي: R. Chudi

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● توماس جوينبول Th. Juynboll

http://kotob.has.it

من كبار محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● تيودري نولدكه T. Noeldeke

ألماني معروف بعدائه للإسلام «له كتاب عن القرآن» وكتاب آخر عن التاريخ الإسلامي ظهر بالإنجليزية في «مسلسلة تاريخ العالم».

● جايتاني Gaetani

إيطالي، وكان عضواً بالمجمع العلمي في دمشق.

● ا. جروهمان A. Grohman

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● جريفني Griffni

إيطالي، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق.

● جوتهيل Gottheil

كولومبي، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق.

● ل. جوثير L. Gauthier

فرنسي، متعصب دينياً وجنسياً، وكثير التشهير بالإسلام والحقد عليه، من أتباع رينان في فكرة تمييز الآريين في السيادة على غيرهم (انظر ص ٢٥ وما بعدها من العدد ١ من المجلد ٩، يناير سنة ١٩٢٥) من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية».

● جودفروي ديمومبنز Gaudefroy Demombynes

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية» له كتاب عن «الحج» فيه كثير من الخلط والتشويه، (انظر ص ١٣ من العدد ١٦، من المجلد ٩، يناير سنة ١٩٢٥ من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية»).

● و. جوركمان W. Bjorkman

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● جويدي Guidi

إيطالي، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق.

● ب. جويل B. Goel

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

http://kotob.has.it

● جي دوسو Guy Dussaud

فرنسي، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق.

● جيمس هنري بريستيد J. H. Brestead

أمريكي، يدير معهد الشرق الأوسط بجامعة شيكاغو في أمريكا.

● ج. ل. دلاڤيدا G. L. Della Vida

من كبار محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. هـ. دوجلاس D. M. Donaldson

قسيس أمريكي، يساهم في تحرير مجلة «العالم الإسلامي» الأمريكية ومن كتبه:

- «دين الشيعة» صدر في عام ١٩٣٧.

- «دراسات في علم الأخلاق الإسلامية»، صدر عام ١٩٥٣.

● دي بور De Boer

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية» وله كتب عن الفلسفة الإسلامية ترجم بعضها إلى العربية.

● ديتريش Dietrich

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. دينيه E. Dinet

فرنسي، شديد التعصب ضد الإسلام، له كتاب بالفرنسية «الشرق والغرب».

● ر. روبرتز R. Roberts

إنجليزي، ومؤلف «القوانين الإجتماعية في القرآن» وله دراسة مقارنة بين القرآن التوراة في القوانين الاجتماعية صدر في عام ١٩٢٥.

● هـ. ريكندروف H. Rekendorf

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية» وله بعض الكتب.

● ك. ف. زيترستين K. v. Zettersteen

من كبار محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. سبير H. Speyer

http://kotob.has.it

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● م. سترك M. Strech

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ستيفن رونسمان:

مؤلف «تاريخ الحروب الصليبية» صدر الجزء الثالث منه عام ١٩٥٤.

● سميث M. Smith

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● سنوك هروج رونجه Snouk Horgronje

هولندي ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية». حارب الإسلام والمسلمين بكتبه، وكان مستشاراً لحكومته في شؤون أندونيسيا، له كتاب «الإسلام».

● ر. شتروتمان R. Strotman

ألماني الأصل، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ب. شريك B. Schrieke

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ج. شليفر J. Shlaifer

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● صمويل مرسر S. Merecer

أمريكي، وكان رئيساً لجمعية الدراسات الشرقية الأمريكية، التي تأسست في مدينة حامبير بولاية أوهايو، وكان لها فروع في أوروبا وكندا، كما كان رئيساً لتحرير مجلة هذه الجمعية.

● سي. ڤان اريندونك Cvan Arendonk

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. فوخس H. Fuchs

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ك. فوللرز K. Vollors

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

http://kotob.has.it

● ف. فوكا V. Vocca

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. فيشر A. Fisher

ألماني الأصل، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● كارل بروكلمان Karl Brockelmann

ألماني الأصل، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، صاحب أكبر موسوعة في تاريخ الآداب العربية باللغة الألمانية، ومن مؤلفاته الهامة «تاريخ الشعوب الإسلامية» المترجم من الألمانية إلى الإنجليزية. كان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق، (انظر الإشارة إلى بعض أخطائه التاريخية والعلمية في مجلة الإسلام) Al-Islam التي تصدر بالإنجليزية في كراتشي ـ باكستان ص ١٤١ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨).

● ر. ا. كرن R. A. Kern

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. كور A. Cour

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● كوستي ولسون K. Willson

يساهم في تحرير مجلة «العالم الإسلامي» الأمريكية.

● ج. هـ. كريموز J. H. Kramers

هولندي من محرري «دائرة المعارف الإسلامية» كثير الطعن في الإسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة.

● لونجوورث دايمز Longworth Dames

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ت. لويشي T. Luwichi

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ب. لويس Benrard Lewis

إنجليزي، له مقالات كثيرة وبعض الكتب منها: (العرب في التاريخ)، صدر في

http://kotob.has.it

عام ١٩٥٠، والآن أستاذ بجامعة لندن.

● ر. ليفي R. Levy

متخصص في الدراسات الإجتماعية في الإسلام، ومن كتبه:

ـ مقدمة لدراسة علم الإجتماع الإسلامي صدر في عام ١٩٣٣.

ـ «والهيكل الإجتماعي للإسلام» ظهر في عام ١٩٥٧، ويصدر في أجزاء متتالية.

● جز مارسايز G. Marasis

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. ماسي H. Massey

فرنسي ويعرف من مؤلفاته كتاب (الإسلام) صدر في عام ١٩٣٠.

● ل. ا. مرل:

أمريكي يساهم في تحرير مجلة «العالم الإسلامي» الأمريكية.

● ت. منتزل c. Morrison

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● سي. موريسون Morrison

أمريكي، ومؤلف كتاب (التوتر السياسي والإجتماعي والديني في الشرق الأوسط) عام ١٩٥٤.

● ف. مينورسكي V. Minorski

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية» والآن أستاذ بجامعة كمبردج.

● نالينو Nalino

إيطالي، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق. معروف بكتاباته ضد الإسلام.

● هـ. سي. نيبرج H. S. Nyberg

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● م. نيتس:

كان محرراً في مجلة العالم الإسلامي (الأمريكية).

http://kotob.has.it

● و. هانتر Hartner

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● هارتمان Hartman

ألماني الأصل، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق، ويعرف من مؤلفاته (الإسلام والقومية) ظهر في عام ١٩٤٨.

● هاورث دن H. Dunne

من أصل ألماني، ويعيش في أمريكا الآن، ويسمي نفسه جمال الدين، ويعرف من مؤلفاته (مقدمة لدراسة التربية في مصر) بالإنجليزية.

● هاورد ريد H. Reed

أمريكي، نشأ في بيئة تبشيرية في تركيا، وتخصص في التاريخ الإسلامي والشؤون التركية. كان أستاذاً ببعض الجامعات الأمريكية، ثم ممثلاً لمؤسسة فورد في بيروت، له بعض المقالات، ولا تعرف له كتب تذكر.

● م. هوتسما M. Hautsma

هولندي، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● هورفيتس J. Horovits

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. هونجمان A. Hongman

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ا. ج. هويسمان A. J. Huisman

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ب. هلر B. Heller

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● و. هيفننج W. Heffeneng

من محرري دائرة المعارف الإسلامية».

http://kotob.has.it

● هيورت Huart

من المستشرقين المشهورين بالتخبط في عرض الإسلام، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

إنجليزي له بعض المقالات ومن كتبه:

- (الجبر والإختيار في الإسلام). صدر في عام ١٩٤٨.

- (محمد في مكة). صدر في عام ١٩٥٣.

● ج. ووكر J. Walker

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، ومؤلف كتاب: (ملامح عن التوراة في القرآن)، صدر في عام ١٩٣٦.

● ب. ويتك P. Wittek

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ت. هـ. وير T. HG. Weir

من محرري «دائرة المعارف الإسلامية».

● ك. يانج C. Young

أمريكي، مارس التبشير في إيران، كان أستاذاً في قسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون في أمريكا، والآن مدير هذا القسم، ومستشار وزارة الخارجية الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط، وخاصة في شؤون إيران، له مقالات متفرقة ولا يعرف له كتب تذكر.

● يوليوس ولهاوزن J. Welhausen

ألماني الأصل (١٨٤٤ - ١٩١٩) اشتهر بتعصبه ضد الإسلام وتشويه مبادئه، يعرف من كتبه (تاريخ اليهود).

http://kotob.has.it

جدول رقم (٢)

الذين تعد كتاباتهم حجة بين الغربيين، أو لآرائهم شبه حجية بين المسلمين.

- **● ج. أربري A. J. Arbery**

إنجليـزي معروف بـالتعصب ضـد الإسـلام والمسلمين، ومن محـرري «دائـرة المعارف الإسلامية» والآن أستاذ بجامعة كمبردج، ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في انجلتـرا ومن كتبه:

- (الإسلام اليوم) صدر في عام ١٩٤٣.
- «مقدمة لتاريخ التصوف» صدر في عام ١٩٤٧.
- (التصوف) صدر في عام ١٩٥٠.
- (ترجمة القرآن) صدر في عام ١٩٥٠.

- **● الفردجيوم A. Geom**

إنجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسـلام، حاضـر في جامعـات إنجلترا وأمريكا. وتغلب على كتابته وآرائه. الروح التبشيرية. ومن كتبه «الإسلام» ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية.

- **● بارون كرادى فو Baron Carra de Vaux**

فرنسي متعصب جداً ضـد الإسلام والمسلمين، سـاهم بنصيب بارز في تحـرير «دائرة المعارف الإسلامية».

http://kotob.has.it

● هـ. ا. ر. جب H. A. R. Gibb

أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين، كان عضواً بالمجمع اللغوي في مصر والآن أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية، من كبار محرري وناشري «دائرة المعارف الإسلامية». له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة، وهذا هو سر. خطورته. ومن كتبه:

- «طريق الإسلام» ألفه بالإشتراك مع آخرين، وترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- «الإتجاهات الحديثة في الإسلام»:

صدر في عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه وترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- «المذهب المحمدي» صدر عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه.

- (الإسلام والمجتمع الغربي) يصدر في أجزاء، وقد اشترك معه آخرون في التأليف، وله مقالات أخرى متفرقة.

● جولدزيهير Goldziher

مجري عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية). كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه: «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق.

● جون ماينارد J. Maynard

أمريكي متعصب، كان يساهم في تحرير (مجلة جمعية الدراسات الشرقية) الأمريكية، وخاصة باب الكتب الجديدة التي لها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم. (انظر - مثلاً - ص ٢٢ وما بعدها من العدد ٢، من المجلد ٨؛ أبريل سنة ١٩٢٤ من المجلة المذكورة.

● س. م. زويمر S. M. Zweimer

مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤسس مجلة (العالم الإسلامي) الأمريكية التبشرية، مؤلف كتاب (الإسلام تحد لعقيدة) صدر في سنة ١٩٠٨، وناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في

http://kotob.has.it

سنة ١٩١١ بلكنو في الهند، وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.

● **عزيز عطية سوريال:**

مصري مسيحي، كان أستاذاً بجامعة الإسكندرية، والآن يدرس بإحدى جامعات أمريكا، شديد الحقد على الإسلام والمسلمين، وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية، يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين، له بعض الكتب عن الحروف الصليبية.

● **غ. فون جرونباوم G. von Grunbaum**

من أصل ألماني يهودي، مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها، وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو، من ألد أعداء الإسلام، وفي جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين، كثير الكتابة، وله معجبون من المستشرقين. ومن كتبه:

- (إسلام العصور الوسطى) صدر في عام ١٩٤٦.
- (الأعياد المحمدية) صدر في عام ١٩٥١.
- (محاولات في شرح الإسلام المعاصر) صدر في عام ١٩٤٧.
- (دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية) صدر في عام ١٩٥٤.
- (الإسلام) مجموعة من المقالات المتفرقة، صدر في عام ١٩٥٧.
- (الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية)، صدر في عام ١٩٥٥.

● **فيليب حتي P. H. Hitti**

لبناني مسيحي تأمرك، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيساً لهذا القسم، وهو الآن بالمعاش. من ألد أعداء الإسلام، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا، وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شؤون الشرق اووسط، يحاول دائماً أن ينتقض دور الإسلام في بناء الثقافة الإنسانية، ويكره أن ينسب للمسلمين أي فضل؛ فقد كتب - على سبيل المثال - في (دائرة المعارف الأمريكية) طبع سنة ١٩٤٨ تحت عنوان (الأدب العربي) ص ١٢٩ يقول: «ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجدبدة

http://kotob.has.it

بالظهور إلا في القسم اوخير من القرن التاسع عشر، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان، تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين). ومحاولات «حتي» انتقاص فضل الإسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث، ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامي كما هو موضح في كتبه نذكر منها:

- (تاريخ العرب) ظهر بالإنجليزية وأعيد طبعه عدة مرات، وهو مليء بالطعن في الإسلام والسخرية من نبيه، وكله حقد وسم وكراهية. انظر مثلاً مجلة «الإسلام» بالإنجليزية Al-Islam التي تصدر في كراتشي.
- باكستان ص ١٣٨ من عدد أبريل سنة ١٩٥٨، ص ١٤٦ من عدد أول مايو سنة ٥٨.
- (تاريخ سوريا).
- (أصل الدروز وديانتهم) صدر في سنة ١٩٢٨.

● ا. ج. فينسينك:

عدو لدود للإسلام ونبيه، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسين الهواري مؤلف كتاب (المستشرقون والإسلام) صدر في سنة ١٩٣٦. وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه في القرآن والرسول: مدعياً أن الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته، انظر (المستشرقون والإسلام) ص ٧١٠ وما بعدها. هذا والمعروف لفينسينك، كتاب تحت عنوان (عقيدة الإسلام) صدر في سنة ١٩٣٢.

● كينيت كراج:

أمريكي شديد التعصب ضد الإسلام، قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية. بالقاهرة لفترة من الوقت، والآن رئيس تحرير مجلة «العالم الإسلامي» الأمريكية التبشرية، ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتفورد «ومتعهد» مبشرين، ومن كتبه (دعوة المئذنة)، صدر في عام ١٩٥٦.

http://kotob.has.it

● لوي ماسينيون L. Massignon

أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، زار العالم الإسلامي أكثر من مرة، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع العلمي العربي في دمشق، متخصص في الفلسفة والتصوف الإسلامي، ومن كتبه: (الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام)، صدر في سنة ١٩٢٢ وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف، وهو من كبار محرري «دائرة المعارف الإسلامية». وكان من زعماء الحركة الرامية إلى الكتابة بالعامية، وبالحرف اللاتيني. وقد حاول أن يبث دعوته هذه في مصر والمغرب وفي سورية ولبنان خاصة.

● د. ب. ماكدونالد D. B. Macdonald

أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. من كبار محرري «دائرة المعارف الإسلامية» ومن كتبه:

- (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام) صدر سنة ١٩٠٣.
- (الموقف الديني والحياة في الإسلام) صدر سنة ١٩٠٨.

● مايلز جرين M. Green

سكرتير تحرير مجلة «الشرق الأوسط».

● مجيدي قدوري:

مسيحي عراقي، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكنز في واشنطن، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية بواشنطن، متعصب حقود على الإسلام وأبنائه، ومن كتبه المشحونة بالطعون والأخطاء: «الحرب والسلام في الإسلام» صدر في سنة ١٩٥٥، وله مقالات أخرى.

● د. س. مرجوليوث D. S. Margoliouth

إنجليزي متعصب ضد الإسلام، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية». كان

http://kotob.has.it

عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق. ومن كتبه:
- (التطورات المبكرة في الإسلام) صدر في سنة ١٩١٣.
- (محمد ومطلع الإسلام)، صدر في سنة ١٩٠٥.
- (الجامعة الإسلامية)، صدر في سنة ١٩١٢.

● ر. ا. نيكولسون R. E. Nicholson

كان من أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين، ومن محرري (دائرة المعارف تخصص في التصوف الإسلامي والفلسفة، وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري. وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحي، ويصفه بالمادية وعدم السمو الإنساني، ومن كتبه:
- (متصوفو الإسلام)، صدر في سنة ١٩١٠.
- (التاريخ الأدبي للعرب)، صدر في سنة ١٩٣٠.

● هارفلي هول:

رئيس تحرير «مجلة الشرق الأوسط الأمريكية، وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشؤون الشرق الأوسط السياسية والثقافية في العصر الحديث.

● هنري لامنس اليسوعي H. Lammens

فرنسي ١٨٧٢ - ١٩٣٧: من محرري «دائرة المعارف» شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه، مفرط في عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم!! (انظر ص ١٥ - ١٦ من ١، من المجلد ٦ يناير سنة ١٩٢٥ من «مجلة الدراسات الشرقية» الأمريكية ومن كتبه:
- (الإسلام).
- (الطائف).

● يوسف شاخت J. Shaet

ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله، من محرري «دائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف العلوم الإجتماعية»، وأشهر كتبه: «أصول الفقه الإسلامي».

http://kotob.has.it

جدول رقم (٣)

بعض الكتب الخطيرة

المشوهة للإسلام، والشائعة الإنتشار أو لها شبه حجية عند المسلمين، ولها مكانة علمية عند بعض الناس.

موسوعات:

- دائرة المعارف الإسلامية» The Encyclopaedia of Islam صدرت بعدة لغات حية، ويعاد طبعها في الوقت الحاضر، وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل.
- «موجز دائرة المعارف الإسلامية» Shorter Encyclopaedia of Islam.
- دائرة معارف الدين والأخلاق» Encyclopaedia of Religion And Ethecs (المقالات المتعلقة بموضوعات إسلامية).
- «داشرة معارف العلوم الإجتماعية» Encyclopaedia of Social Sciences (الموضوعات المتصلة بالإسلام والعرب).
- «دراسة في التاريخ».

  (القسم المتصل بالإسلام ورسوله) من تأليف أرنولد تويني A. Toynbee

الكتب:

- «حياة محمد» من تأليف سير وليام موير W. Muir.
- «الإسلام» من تأليف الفرد جيوم A. Geom.
- «دين الشيعة» من تأليف د. م. دونالدسون D. M. Donaldson.
- «تاريخ شارل الكبير» من تأليف القس تيرين Bishop Turpin.
- «الإسلام» ظهر بالفرنسية من تأليف هنري لامنس H. Lammens.

http://kotob.has.it

- «الإسـلام» (تحد لعقيـدة) ظهر بـالإنجليـزيـة من تـأليف المبشـر زويمـر S. M. Zweimer.
- «دعوة المئذنة» ظهر بالإنجليزية من تأليف كينيت كراج K. Cragg.
- «الإسلام اليوم» بالإنجليزية من تأليف ا. ج. آبري A. J. Arbrry.
- الترجمة الإنجليزية من وضع ا. ج. آبري.
- «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» ظهر بالألمانية وترجم إلى العربية من تـأليف جولدزيهر Goldziher.
- «تاريخ العرب» ظهر بالإنجليزية والعربية، وطبع عدة طبعات، من تأليف فيليب حتي.
- «اليهودية في الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف إبراهام كاش.
- «عقيدة الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف ا. ج. فينسينك Wensink.
- «الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام» ظهر بالفرنسية من تأليف لوي ماسينيون L. Massingon.
- «الحرب والسلام في الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف مجيدي قدوري.
- «تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام» ظهر بالإنجليزيـة من تأليف دز ب. ماكدونالد D. B. Machdonald.
- «الإتجاهات الحديثة في الإسلام» ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية، من تأليف هـ. ا. ر. جب Gibb.
- «طـريق ازسلام» ظهـر بالإنجليـزية وتـرجم إلى العربيـة من تأليف جمـاعـة من المستشرقين اشترك في تأليفه ونشره هـ. ا. ر. جب.
- «التصوف في الإسلام» ظهر بالإنجليزية، وتـرجم إلى العربيـة من تأليف ر. ا. نيكلسون Nicholson.
- «مصادر تاريخ القرآن» بالإنجليزية من تأليف آرثر جيفري Arthur Jeffry.
- «أصول الإسلام في بيئته المسيحية» بالإنجليزية من تأليف ر. بل R. Bell.
- «مقدمة القرآن» بالإنجليزية من تأليف ر. بل.

http://kotob.has.it

- «التطورات المبكرة في الإسلام» بالإنجليزية من تأليف د. س. مرجوليوث D. S. Margoliouth.
- «محمد ومطلع الإسلام» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «الإسلام» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «الجامعة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «قنطرة إلى الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف أريك بينمان.
- «إسلام العصور الوسطى» ظهر بالإنجليزية من تأليف ج. فون جرونباوم G. von Grunebaun.
- «الإسلام» مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالإنجليزية للمؤلف السابق.
- «الأعياد المحمدية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- محاولات.. في شرح الإسلام المعاصر» مجموعة مقالات ظهرت بالإنجليزية لنفس المؤلف.

http://kotob.has.it

جدول رقم (٤)

أَهَمُّ المجلاَّت الَّتي يُصدِرُونَهَا

أ - في عام ١٧٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين ألحقوها بأخرى في عام ١٨٢٠، ثم أصدروا «المجلة الآسيوية».

ب - وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣، وقبل الملك أن يكون ولي أمرها، وأصدرت «مجلة الجمعية الآسيوية الملكية».

جـ - وفي عام ١٨٤٢ أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم «الجمعية الشرقية الأمريكية» وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا.

د - ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» وكانت تصدر مدينة جامبير Gambier بولاية Ohio ولها فروع في لندن وباريس وليبزج، وتورونتو في كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن، وطابعها العام على كل حال طابع الإستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية، وخاصة في باب الكتب.

هـ - ويصدر المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر، «مجلة شؤون الشرق الأوسط». وكذلك «مجلة الشرق الأوسط». وطابعها على العموم طابع الإستشراق السياسي كذلك.

و - وأخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة «العالم الإسلامية» The Muslim World أنشأها صمويل زويمر Zweimer في سنة ١٩١١، وتصدر الآن من هارتفورد Hartford بأمريكا ورئيس تحريرها

http://kotob.has.it

كنيث كراج k. cragg وطابع هذه المجلة تبشيري سافر؛ وتوزع في جميع أنحاء العالم.

- وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهـة بمجلة «العالم الإسـلامي» في روحهـا واتجاهها العدائي التبشيري وأسمهـا أيضاً. . Le Monde Musulman، وتـوزع في جميع أنحاء العالم.

http://kotob.has.it

فهرس المصادر والمراجع

أ ـ المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

- القرآن الكريم.
- **إبراهيم الشريقي**: التاريخ الإسلامي. رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة ط ١٩٧١ م.
- **إبراهيم شعوط**: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ. المكتب الإسلامي ـ الطبعة الخامسة. بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
- **إبراهيم اللبان**: المستشرقون والإسلام (ملحق بمجلة الأزهر. صفر ١٣٩٠ هـ/ نيسان ١٩٧٠ م.
- **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ (١٤جزءاً) دار صادر. بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.
- **أحمد بن حنبل**: المسند (١٤ جزءاً). دار المعارف. مصر. ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩ م.
- **أحمد شلبي**: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (٦ أجزاء) مكتبة النهضة. مصر ١٩٧٨ م.
- **أحمد أمين**: فجر الإسلام. دار الكتاب العربي ١٩٦٩ م.
- **أحمد أمين**: ضحى الإسلام (٣ أجزاء). لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢.
- **أحمد أمين**: ظهر الإسلام. مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٥.

http://kotob.has.it

- **أحمد أمين**: زعماء الإصلاح. القاهرة ١٩٧١.
- **أحمد بن أبي بكر البوصيري**: كتاب علامات النبوة. مكتبة السوادي للتوزيع. جدة. الطبعة الأولى ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م.
- **أحمد شفيق**: حوليات مصر السياسية جـ ١ ـ ٧. مصر ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٦ م.
- **أحمد شوقي**: ديوان (٤ أجزاء) مصر ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ م.
- **أحمد عزت عبد الكريم**: تاريخ التعليم في مصر. (٣ أجزاء). الطبعة الأولى. مطبعة النصر بمصر. ١٩٤٥.
- **أحمد عزت عبد الكريم**: دراسات في تاريخ العرب الحديث. دار النهضة العربية ١٩٧٠.
- **أحمد بن ماجد النجدي**: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد. نشر فران. باريس (١٩٢١ ـ ٣) وهو مخطوط أيضاً بالمكتبة اوهلية بباريس برقم ٢٢٩٢، ٢٥٥٩.
- **الأحاديث القدسية**: جـ ١. دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٨٢.
- **أحمد مختار العبادي**: في التاريخ العباسي والأندلسي. دار النهضة بيروت ١٩٧٢.
- **آدم متز**: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هـ. في مجلدين. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٦٧.
- **إدوارد سعيد**: الإستشراق. المقدمة، السلطة، الإنشاء. ط ثانية. ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ١٩٨١ م.
- **أرنولد**: الخلافة. ترجمة جميل معلى. ١٩٤٦.
- **أرنست باركر**: الحروب الصليبية. ترجمة الباز العريني. دار النهضة بيروت ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧ م.
- **أسامة بن منقذ**: كتاب الإعتبار. تحقيق فيليب حتي. جامعة برنستون ١٩٣٠.
- **إسحق موسى الحسيني**: الإستشراق (محاضرة في الموسم الثقافي لوزهر).
- **إسماعيل الكيلاني**: لماذا يزيِّفون التاريخ ويعبثون بالحقائق. المكتب الإسلامي. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

http://kotob.has.it

- **أمير علي**: مختصر تاريخ العرب. ترجمة عفيف البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٨١.
- **أمين سعيد**: الدولة العربية المتحدة (٣ أجزاء). مصر ١٣٥٤ ـ ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨.
- **أمين سعيد**: الثورة العربية الكبرى (٣ أجزاء). مصر. مطبعة عيسى الحلبي.
- **أنيس فريحة**: تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد.
- **أندريه إيمار**: تاريخ الحضارات العام. مجلداً. نقله إلى العربية فريدم بالإشتراك مع غيره. منشورات عويدات. بيروت.
- **أومان**: الأمبراطورية البيزنطية. تعريب مصطفى بدر. القاهرة ١٩٥٣.
- **أوليري**: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب. نقله إلى العربية تمام حسان. القاهرة ١٩٥٧.
- **بارتولد**: تاريخ الحضارة الإسلامية. ترجمة حمزة طاهر. ط ٢. القاهرة.
- **الباز العريني**: الدولة البيزنطية. دار النهضة. بيروت ١٩٨٢ م.
- **البخاري**: صحيح البخاري (٩ أجزاء) مطابع الشعب. مصر. ١٣٧٨ م.
- **بدر الدين الزركشي**: البرهان في علوم القرآن ـ القاهرة ١٩٥٦ م.
- **ابن بطوطة**: «رحلة» في مجلدين. مؤسسة الرسالة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.
- **أبو بكر الجزائري**: منهاج المسلم. المكتبة العلمية. المدينة المنورة ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.
- **أبو بكر الجزائري**: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. جدة. طبعة ثانية ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.
- **بلياس**: الأبنية الإسبانية الإسلامية. مجلة معهد مدريد. ١٩٥٣ م.
- **البلاذري**: أنساب الأشراف. دار المعارف. مصر. ط ١٩٥٩ م.
- **ترتون**: أهل الذمة في الإسلام. ترجمة حسن حبشي. القاهرة ١٩٤٩ م.
- **التوراة**: سفر أشعيا.
- **ابن تيمية**: السياسة الشرعية. مطبعة دار الكتاب العربي. ط ١٩٥١ م.
- **ثابت بن قرة**: الذخيرة في علم الطب. تحقيق حجي. القاهرة ١٩٢٨ م.

http://kotob.has.it

- الجاحظ: البيان والتبيين. المكتبة التجارية. مصر ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م.
- ابن جبير: «رحلة». دار التراث. بيروت ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م.
- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي (٤ أجزاء). القاهرة ١٩٠٢ ـ ١٩٠٥.
- جب سير هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام. ترجمة إحسان عباس وغيره. بيروت ١٩٦٤.
- جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية والإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة. القاهرة ١٩٦٠.
- جريدة «المسلمون» الدولية.
- جوتيية: المدخل لدراسة الفلسفة ازسلامية. ترجمة د. محمد يوسف موسى. القاهرة ١٩٤٥.
- جورج يعقوب: أثر الشرق في الغرب. ترجمة فؤاد حنين. القاهرة ١٩٤٦.
- جوستاف لوبون: «حضارة العرب». ترجمة محمد عادل زعيتر. القاهرة ١٩٤٥.
- حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم جـ ١ ـ ٢. مصر ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م.
- حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين. مصر ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥ م.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام. ٤ أجزاء. مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٦٧.
- حسن حبشي: نور الدين والصليبيون. القاهرة ١٩٤٨.
- حسين فوزي النجار: السياسة الإستراتيجية في الشرق الأوسط. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣.
- حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث. القاهرة ١٩٣٨.
- ابن خلدون: المقدمة. دار الفكر. بيروت ١٩٧١.
- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر. طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ. مصر.
- دروزة محمد عزة: الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث. دار اليقظة العربية. دمشق ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.
- دومينيك وجانين سورديل: الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي. ترجمة حسني زينة. دار الحقيقة بيروت.

http://kotob.has.it

- **ديبور**: تاريخ الفلسفة في الإسلام. ترجمة د. أبو ريدة.
- **ديمومبين**: النظم الإسلامية. ترجمة الشماع والساحر. بغداد ١٩٥٢.
- **الذهبي**: تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٦ م.
- **رافائيل نخلة**: قواعد اللهجة اللبنانية السورية. المطبعة اليسوعية. بيروت ١٩٥٠.
- **رشيد الناضوري**: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني. بيروت ١٩٦٩.
- **رنا قباني**: أساطير أوروبا عن الشرق، لفِّق تسُد. ترجمة د. صباح قباني. لندن ١٩٨٧ م.
- **رودي بارت**: الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية. ترجمة د. مصطفى ماهر. القاهرة ١٩٦٧.
- **الزمخشري**: الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل «٣ أجزاء». القاهرة ١٩٢٥.
- **زيغريد هونكة**: شمس العرب تسطع على الغرب. ترجمة فاروق بيضون. دار الآفاق. بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.
- **أبو زيد شلبي**: تاريخ الحضارة الإسلامية. مكتبة وهبة. القاهرة ١٩٨٦.
- **ساذرن**: نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى. ترجمة د. على فهمي حشيم. دار مكتبة الفكر. طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٥.
- **ابن سعد**: الطبقات الكبرى (٨ أجزاء) دار صادر. بيروت.
- **السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي**: السيرة النبوية. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت ط ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.
- **سعيد عبد الفتاح عاشور**: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى. جامعة بيروت العربية ١٩٧٧.
- **سعيد عبد الفتاح عاشور**: الحركة الصليبية. جزآن. القاهرة ١٩٦٣.
- **سعيد الأفغاني**: الإسلام والمرأة. دار الفكر. بيروت ط ثالثة.
- **سعيد حوى**: الله جل جلاله. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٧.
- **سعيد حوى**: الرسول ﷺ. دار الكتب العلمية. بيروت ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م.

http://kotob.has.it

- سعيد حوى: الإسلام. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.
- سهيل زكار: تاريخ العرب والإسلام. دار الفكر. بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.
- سلامة موسى: اليوم والغد. مصر ١٩٢٧.
- سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب. ترجمة عفيف البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الرابعة ١٩٨١.
- السيد الجميلي: وصايا رسول الله ﷺ إلى المرأة المسلمة. دار الكتاب العربي. بيروت طـ ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- سيد قطب: في ظلال القرآن. دار إحياء التراث العربي. طـ ٦. ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م.
- سيد قطب: هذا الدين. دار الشروق. بيروت ١٩٨٣.
- سيد قطب: معالم في الطريق. دار الشروق. بيروت ١٩٨٣.
- سيد قطب: العدالة الإجتماعية في الإسلام. دار إحياء الكتب العربية. الطبعة الرابعة. ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م.
- ا. ل. شاتلية: الغارة على العالم الإسلامي. ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب. مصر ١٣٥٠ هـ.
- شاخت وبوزورت: تراث الإسلام. ترجمة د. محمد زهير السمهوري. سلسلة عالم المعرفة. الكويت ١٩٧٨.
- شكري الخوري: التحفة العامية في قصة فنيسانوس. المطبعة اليسوعية. لبنان ١٩٥٠.
- شيدر: روح الحضارة العربية. ترجمة عبد الرحمن بدوي ١٩٤٩.
- صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب. بغداد ١٩٥٩.
- طاهر الطناجي، محمد فريد وجدي: الإسلام دين الهداية والإصلاح. دار الهلال. العدد، ١٤٠، ١٩٦٢.
- الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن. طـ ٣. القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م.
- الطبري: تاريخ الرسل والملوك (١٠ أجزاء). دار المعارف. مصر. الطبعة الثانية.

http://kotob.has.it

- **طه حسين**: على هامش السيرة. مصر ١٩٣٣.
- **طه حسين**: في الأدب الجاهلي. دار المعارف بمصر طـ ١٩٢٧.
- **طه حسين**: في الشعر الجاهلي. مصر ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦ م.
- **طه حسين**: مستقبل الثقافة في مصر. مصر ١٩٤٤ م.
- **عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)**: «مع المصطفى». دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٣ م.
- **عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)**: موسوعة آل النبي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.
- **عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)**: تراثنا بين ماضي وحاضر. دار المعارف بمصر ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٠ م.
- **عاشور**: فضل العرب على الحضارة الأوروبية. القاهرة ١٩٥٧ م.
- **عاشور**: أوروبا بالعصور الوسطى. الجزء الثاني. النظم والحضارة. القاهرة ١٩٥٩.
- **عاشور**: الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى. القاهرة ١٩٥٦.
- **عاشور أنيس**: النهضات الأوروبية في العصور الوسطى. القاهرة ١٩٥٦.
- **عاشور فايد**: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي. دار المعارف. الإسكندرية. طـ أولى ١٩٨٠.
- **عاشور فايد**: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.
- **عباس محمود العقاد**: أثر العرب في الحضارة الأوروبية. دار المعارف. مصر. ١٩٤٦.
- **عباس محمود العقاد**: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه. دار القلم. القاهرة. طـ ثانية ١٩٦٧.
- **عباس محمود العقاد**: المرأة في القرآن. دار الكتاب العربي. طبعة ثانية ١٩٦٧.
- **عباس محمود العقاد**: التفكير فريضة إسلامية. بيروت ١٩٦٩.
- **عبد الجليل شلبي**: الإسلام والمستشرقون. القاهرة ١٩٧٧.

http://kotob.has.it

- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٨٤.
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة. دار القلم ـ دمشق. الطبعة الخامسة. ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.
- عبد الرزاق نوفل: الله والعلم الحديث. مكتبة مصر. الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م.
- عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية. الإسكندرية ١٩٧٤.
- عبد العزيز سليمان نوار: الشعوب الإسلامية. دار النهضة. بيروت ١٩٧٣.
- عبد العزيز جاويش: الإسلام دين الفطرة والحرية. دار الهلال. مصر.
- عبد الكريم زيدان: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨١.
- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. مكتبة الإنجلو المصرية. القاهرة ١٩٦٣.
- عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي. ط ١٦. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٧ م.
- عماد الدين خليل: دراسة في السيرة. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة السادسة. ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.
- عماد الدين خليل: دراسات تاريخية. المكت الإسلامي. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
- عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧١.
- على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام. مكتبة النهضة المصرية. ١٩٧٧.
- فرانز روز نثال: علم التأريخ عند المسلمين. ترجمة صالح أحمد العلي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
- هـ ا. ل. فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى. ترجمة محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني. دار المعارف. مصر. ١٩٦٦.

http://kotob.has.it

- **فاطمة هدى نجا**: العزر في سير المؤرخين وأخبارهم. دار الإيمان. طرابلس لبنان. طـ أولى ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- **فاطمة هدى نجا**: لمع من نحضارتنا العربية العالمية في العصور الوسطى. دار الإيمان. طرابلس لبنان. طـ أولى ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.
- **فاطمة هدى نجا**: دروس من السيرة النبوية الشريفة. دار الإيمان. طرابلس لبنان. طـ أولى ١٤١١ هـ/ ١٩٩٢ م.
- **فاطمة هدى نجا**: المستشرقون والمرأة المسلمة. دار الإيمان. طرابلس لبنان. طـ أولى ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.
- **فاطمة هدى نجا**: المشرق العربي منذ ضعف الخلافة العباسية حتى ظهور الخلافة العثمانية. دار الإيمان. طرابلس لبنان. طـ أولى ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.
- **فيليب حتى، إدوارد جرجي، جبرائيل جبور**: تاريخ العرب. دار الغندور. ١٩٨٠.
- **فيليب حتي**: موجز تاريخ الشرق الأدنى. ترجمة أنيس فريحة. دار الثقافة. بيروت. ١٩٦٥.
- **فيليب حتي**: العرب تاريخ موجز. ترجمة أنيس فريحة. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الخامسة ١٩٨٠.
- **قاسم أمين**: تحرير المرأة. مطبعة روز اليوسف. مصر. الطبعة الثانية ١٩٤١.
- **كارل بروكلمان**: تاريخ الشعوب الإسلامية. طـ أولى. ١٩٤٩. (٤ أجزاء). ترجمة نبيه فارس وغيره.
- **ابن كثير الدمشقي**: تفسير القرآن الكريم. القاهرة ١٩٣٧.
- **كلود كاهن**: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية. دار الحقيقة. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٧.
- الكتاب المقدس، أخبار اويام اول. سفر التكوين، سفر حزقيال، سفر إرميا الخ.
- **مارون غصن**: في متلو هلكتاب. مطبعة عنطورا ـ لبنان.
- **مازن فروخ**: الإسلام والعلم. دار الرشاد ازسلامية. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

http://kotob.has.it

- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. القاهرة ١٩٧١.
- مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين. القاهرة ١٩٧٠.
- الماوردي: الأحكام السلطانية. دار الكتب العلمية. بيروت ط ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.
- مجلة الإزهر: القاهرة مجلد ٢٤ جـ ٨ شعبان ١٣٧٢ هـ.
- مجلة الباحث: العدد ٢٥ ك٢ ـ شباط ١٩٨٣.
- مجلة حوليات: مصر السياسية.
- مجلة حولية: كلية الشريعة، جامعة قطر.
- مجلة العباد: عدد ٢٧ بيروت ١٩٥٥.
- مجلة المقتطف: من عدد نوفمبر ١٨٨١ م حتى نهاية عام ١٩٠٢ م.
- مجلة المعرفة: مصر.
- مجلة كلية الآداب: جامعة بغداد.
- مجلة كلية الآداب: الجامعة المصرية.
- مجلة الهندسة: جامعة القاهرة.
- مجلة المسلمون: اعداد ١٩٥٢ ـ ١٩٥٥ م.
- مجلة الفكر العربي: عدد ٣١ عام ١٩٨٣. معهد الإنماء العربي. بيروت.
- مجلة السياسة الأسبوعية: عدد ٤ ربيع الأول ١٣٥١ هـ/ يوليو ١٩٣٢ م.
- مجلة العالم الإسلامي: (The Muslin world) تموز ١٩٦٣.
- مجلة مجمع اللغة العربية: من شعبان ١٣٥٣ هـ/ اكتوبر ١٩٣٤ حتى عام ١٩٥٥.
- محمد حسين: الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. جزآن. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثامنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.
- محمد محمد حسين: الروحية الحديثة دعوة هدامة. بيروت. دار الإرشاد ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.
- محمد قطب: مفاهيم يجب أن تصحح. دار الشروق. بيروت.
- محمد أسد [ليوبولد ڤايس]: الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة عمر فروخ. دار

http://kotob.has.it

العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثامنة ١٩٧٤.
- **محمد أحمد باشميل**: القومية في نظر الإسلام. بيروت ١٩٦٠.
- **محمد سرور بن نايف زين العابدين**: دراسات في السيرة النبوية. دار الأرقم. الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
- **محمد فريد وجدي**: نقد كتاب الشعر الجاهلي، مصر. الطبعة الأولى.
- **محمد الخضر حسين**: نقد كتاب في الشعر الجاهلي. مصر. ١٣٤٥ هـ.
- **محمد ناصر الدين الألباني**: مختصر صحيح الإمام البخاري. المكتب الإسلامي. بيروت. الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
- **محمد فؤاد عبد الباقي**: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الثانية ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.
- **محمد علي الصابوني**: مختصر تفسير ابن كثير. (٣ مجلدات). دار القرآن الكريم. بيروت. الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ.
- **محمد عبد الله دراز**: مدخل إلى القرآن الكريم. دار القلم. الكويت ١٩٧٤.
- **محمد غلاب**: نظرات استشراقية في الإسلام.
- **محمد عبد العظيم الزرقاني**: مناهل العرفان في علوم القرآن. الطبعة الثالثة.
- **محمد البهي**: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي. دار الفكر. بيروت ١٩٧٣.
- **محمد إقبال**: تجديد التفكير الديني في الإسلام.
- **محمد أبو ريان**: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. الإسكندرية ١٩٨٣.
- **محمد السنباطي**: ترجمة المعاني القرآنية. الدوحة. القطر.
- **محمد أحمد برانق ويوسف المحجوب**: «محمد واليهودية» سلسلة مع العرب عدد ٤.
- **محمد الغزالي**: فقه السيرة. دار الكتب الحديثة. مصر. الطبعة السابعة. ١٩٧٦.
- **محمد عبد الله القصيمي، أحمد نبيل أبو حظوة**: كتاب إيدز ٨٦. الشركة السعودية للتوزيع.
- **محمد أبو زهرة**: محاضرات في النصرانية. مطبعة أحمد مخيمر. القاهرة.

http://kotob.has.it

- **محمد أبو زهرة**: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام. دار الفكر. بيروت.
- **محمد الخضري**: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية جـ ١ مطبعة الإستقامة القاهرة. طـ خامسة ١٣٦٦ هـ.
- **محمد الخضري**: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية. الدولة العباسية. طـ دار إحيار الكتب العربية. مصر ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠ م.
- **محمد عبد الغني سعودي**: الوطن العربي. المكتبة النموذجية. مصر.
- **محمد عزة دروزة**: القرآن المجيد. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.
- **محمد حسين هيكل**: حياة محمد. دار القلم. الطبعة السابعة ١٩٦٠.
- **محمد رشيد رضا**: الوحي المحمدي. مطبعة المنار. مصر. الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ.
- **محمد نمر الخطيب**: من هدي القرآن. مطبعة اليقظة. دمشق ١٣٦٦ هـ/ ١٩٥٠ م.
- **محمد سعيد رمضان البوطي**: فقه السيرة. دار الفكر. الطبعة الثامنة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- **محمد مهدي الإستانبولي**: تحفة العروس. المكتب الإسلامي. الطبعة السادسة.
- **محمد كرد علي**: الإسلام والحضارة العربية. طبعة القاهرة ١٩٦٨ في جزئين.
- **مصطفى صبري**: موقف العقل والعلم والعالم. طـ مصر. ١٣٥٢ هـ.
- **مصطفى صبري**: مسئلة ترجمة القرآن. طـ مصر. ١٣٥١ هـ.
- **مصطفى صبري**: قولي في المرأة. طـ مصر. ١٣٥٤ هـ.
- **مصطفى صبري**: النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة. بيروت. ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٤ م.
- **مصطفى عبد الرزاق**: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. القاهرة ١٩٦٦.
- **مصطفى صادق الرافعي**: المعركة بين القديم والجديد. طـ مصر. ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣ م.
- **مصطفى صادق الرافعي**: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مطبعة الإستقامة. القاهرة. الطبعة الخامسة ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م.

http://kotob.has.it

- مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون. المكتب الإسلامي. الطبعة السادسة. ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.
- مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. بيروت ١٩٧٨ م.
- مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون. المكتب الإسلامي. بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- مصطفى الخالدي وعمر فروخ: التبشير والإستعمار. المكتبة العصرية. صيدا - بيروت. الطبعة الثانية ١٩٥٧.
- مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه. مصر. ١٩٥٩.
- معروف الرصافي: ديوان. جزآن. بيروت ١٩٣١. دار المعارف.
- موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض. مؤسسة صقر الخليج الكويت ١٩٨٤.
- محمود شيت خطاب: الرسول القائد. مكتبة الحياة. مكتبة النهضة. بغداد ط ثانية ١٩٦٠.
- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي. المكتب الإسلامي. بيروت. الطبعة الثالثة. ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- محمود حمدي زقزوق: الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. الطبعة الأولى. قطر ١٤٠٤ هـ.
- محمود حمدي زقزوق: الإسلام في الفكر العربي. دار القلم. الكويت ١٩٨١.
- المدور جميل نخلة: حضارة الإسلام في دار الإسلام. القاهرة ١٩٣٢.
- مونتجمري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية. ترجمة حسين أحمد أمين. دار الشروق. بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق. دار الفكر العربي ١٩٦٥.
- موريس بوكاي: «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم». ترجمة نخبة من الدعاة. دار الكندي. بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

http://kotob.has.it

- **ميسيلي**: العلم عند العرب، وأثره في تطور العلم العالمي. نقله النجار ومحمد موسى.
- **النووي**: صحيح مسلم بشرح النووي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- **نفوسة زكريا**: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. دار الثقافة ـ الإسكندرية ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م.
- **ندوات علمية**: «في الرياض وباريس والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي في جنيف والمجلس الأوروبي في سترا سبورغ حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام». رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٧٣.
- **نجيب العقيقي**: المستشرقون (٣ أجزاء) طـ دار المعارف. القاهرة ١٩٨١.
- **ابن هشام**: السيرة النبوية (٤ أجزاء)، مجلدان حققها وضبطها مصطفى السقا وغيره طـ مصر. ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م.
- **هشام جعيط**: أوروبا والإسلام. ترجمة د. طلال عتريسي. دار الحقيقة. بيروت ١٩٨٠.
- **واشنجتون أرفنج**: حياة محمد. ترجمة وتعليق الدكتور حسني الخربوطلي. دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية.
- **ول. ديورانت**: قصة الحضارة. ترجمة محمد بدران. طـ جامعة الدول العربية ١٩٦٤.
- **اليعقوبي**: تاريخ اليعقوبي في مجلدين، دار صادر.
- **أبو عمر يوسف بن عبد البر**: جامع بيان العلم وفضله. المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ.
- **يوسف القرضاوي**: شريعة الإسلام. المكتب الإسلامي. بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣.

http://kotob.has.it

ب - المراجع الأجنبية:

- **Aghnidos:** Muhammedan theories of Finance, New-York 1916.
- **Ali Moh, Fahmy:** Muslim sea --power in the eastern mediteranean. Cairo 1966.
- **Arberry:** An introduction of the history of sufism. London 1943.
- **Archer:** (T): Kings ford, (c). The crusades, London, 1984.
- **Arnold**: Sir Thomes W: The Caliphate (Oxford) 1924.
- **Arnold**: Painting in Islam Oxford 1928.
- **Atiya: (A.S.):** The Crusade in the later middles Ages, London, 1938.
- **Atiya: (A.S.):** Crusades, commerce and culture. New York 1966.
- **Becker:** Christentum und Islam. Tubingen 1907.
- **Broane (Edwardo):** Alicterary History of persia, 4 vols, Cambridge 1909 - 1930.
- **Bernard Lewis:** The Arales in History, London.
- **C.E. Bosworth:** Oriental and Orientalists (in Arab Islamic biliolography, 1977, Great Britain.
- **Browne:** A Lieterary History of persia. 4 vols, Cambridge, 1920 - 1930.
- **Buri:** A study on the beginnings of history writing in Islam vol, XIX, Paris, 1957.
- **Cake:** The Arabis place in the sun, 1929.
- **Chalandon:** (F): Histoire de la premiere Qoisade. Paris 1925.
- **Covlton:** Life in the middle Ages. 4 vols, Cambridge, 1928.
- **The Earlof Gomer:** Modern Egypt (II vol).
- **Ency clopédia de l'Islam:** Iéd, 4 eyde, 1913 - 1942) 2ed, Paris, 1945 sgg.
- **Ency. Brit:** Ency clopaedia Brètannica, 1964, vol 17.
- **M.A. Fischer - Barnicol:** Die Islamische revolution. Stuttgart 1981.
- **Fyzee:** Lao and culture in Islam. 1st, cult XVII n°4, Oct 1943.
- **Johan Fueck:** Die arabis chon studien in Europe, 4 eipzig, 1955.
- **Fyzee:** Islamic culture. Bombay, 1944.
- **Gibb:** The Evolution of goverment in early Islam. 1955.
- **Gibb:** Whither Islam.
- **Gibbon (E):** The History of the Decline and full of the Roman Empire London 1957.

http://kotob.has.it

- **Gibb, Brown:** Islamic Society and the west London, 1957.
- **Gustav Piannmueller:** Hand buch der Islam **Licterature.** Berlin 1932.
- **Goldziher:** Muhammed anische studien. 2 vol **Halle, 1888**, 90.
- **Hitti:** The origins of Islamic state. New **York, 1916.**
- **Hitti:** The history of the Arabs. **(London, 1934).**
- **Hughes:** Dictionary of Islam 2éd, London, 1896.
- **Kirk (George E):** A Short history of the middle east. London, 1964.
- **Khudda Buksh:** Contributions to the History of Islamic civilisation. 2 vol, Calcutta, 1929.
- **Henry Lammens:** Mecque á la veille de L'Hêgira, Beyrouth, 1924.
- **Lane Poole:** The story of Cairo. (London, 1912).

Lane Poole: Aralian society in the middle ages. London, **1883.**
- **Lewis (B):** The Arabs in History London, 1958.
- **T.E. Lawrance:** The seven pillars of wisdom. Stuttgart, 1981.
- **Lord Lloyd:** Egypt since Cromer (II vol) London, 1933.
- **Léve Provençal:** La civilisation arabe en Espagne, Paris, 1948.
- **Michaud (J.F.):** Histoire de Croisades. Paris, 1817 - 1822.
- **Muir (Sir Williams):** The Caliphate, its rise, decline and fall. (Edinburgh), 1924.
- **Nickolson (Reymond A):** Leiterary history of the Arabs. (London, 1914).
- **Oman (Sir Charles):** A history of the art of war in the Middle ages. (London, 1924).
- **Ostrogorosky (G):** History of the byryantine state. (Oxford 1956).
- **Phicibly:** The back ground of Islam. Alexandria, 1947.
- **Major E.W. Polson Newman:** Great Britain in Egypt. London, 1928.
- **M. Rodinson:** Mohammed. Frankfurt, 1975.
- **Rudi Paret:** Der Koran. Stuttgart, 1980.
- **Runciman:** A History of the Crusades. (Cambridge 1951 - 1954).
- **Setton (K):** A history of the Crusade. London, 1969.
- **Stevenson (W.B.):** The Crusaders in the East Cambridge, 1907.
- **Sauvaget (J):** Historiens Arabes. (Paris, 1946).

Tyan: The Califat. Paris, 1954.
- **Thompson:** Economic and social History of the Middle Ages. London, 1959.
- **Viscount wavel:** Allenby in Egypt. London, 1943.

http://kotob.has.it

فهرس موضوعات الكتاب

الإهداء ٥
مقدمة ٧
الفصل الأول: ما هو الإستشراق؟ وكيف وصلت الحضارة والثقافة العربية العالمية إلى أوروبا في عصورها الوسطى المظلمة؟ ١٥
- ما هو الإستشراق ١٥
- كيف وصلت الحضارة والثقافة العربية العالمية إلى أوروبا في عصورها المظلمة ١٨
الفصل الثاني: تاريخ الإستشراق ٣٧
- الإستشراق والتنصير ٤٣
- الإستعمار والإستشراق ٤٩
الفصل الثالث: دوافع الإستشراق وأهدافه ٥٣
- مقدمة ٥٣
١ - الدافع الديني: موجود في الفصل الرابع ....
٢ - الدافع الاقتصادي وهدفه ٥٥
٣ - الدافع الإستعماري وهدفه ٥٧
٤ - الدافع السياسي وهدفه ٦٨
٥ - الدافع العلمي وهدفه ٧١
الفصل الرابع: المستشرقون والإسلام: دوافع، تشكيك، أهداف، حقيقة الإسلام ٧٩
١ - التشكيك بصحة رسالة الإسلام ٨٠
٢ - إنكارهم أن يكون القرآن الكريم العظيم كتاباً منزلاً من عند الله عز وجل ... ٨٩
- الرد عليهم ٩٧

http://kotob.has.it

- فرية أخذ القرآن الكريم عن اليهود والنصارى ١٠٠
- كتبهم المحرَّفة تكذبهم ١٠٦
٣ - إن المستشرقين يشككون الناس في صحة النص القرآني ١١٠
٤ - يتبع إنكارهم هذا التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف ١١٨
٥ - التشكيك بأن الشريعة الإسلامية مستمدة من القانون الروماني ١٢٥
- اعتماد التشريع الإسلامي على المصادر الآتية: ١٣١
١ - القرآن الكريم ١٣١
٢ - الحديث والسنة ١٣٣
٣ - الفقه أو علم الفروع ١٣٥
- ازدياد هجوم المستشرقين على إسلامنا الحنيف ١٤٠
- غداً للإستشراق عدة مدارس، كل منها له أهداف ١٤٣
- ردنا على دراساتهم ١٥١
الفصل الخامس: أنشطة المستشرقين لتحقيق أهدافهم ١٦٠
١ - التعليم الجامعي ١٦٠
٢ - المؤسسات العالمية، لتوجيه التعليم والتثقيف ١٦١
٣ - عقد المؤتمرات والندوات وإلقاء المحاضرات ١٦٢
٤ - إنشاء الجمعيات وإصدار المجلات ونشر المقالات العديدة ١٦٣
٥ - جمع المخطوطات العربية والتحقيق والنشر ١٦٥
٦ - تأليف الكتب ١٦٦
٧ - الدعايات المغرضة ضد الإسلام عبر الأشرطة المرئية ١٦٨
٨ - دائرة المعارف الإسلامية (الموسوعة الإسلامية) ١٦٨
الفصل السادس: المستشرقون والمرأة المسلمة ١٧٠
مقدمة ١٧٠
١ - مبادىء الإسلام في المرأة ١٧٠
٢ - حقوق المرأة في الإسلام ١٧٤
٣ - محاولات المستشرقين والمبشرين إفساد المرأة المسلمة ١٩٧
١ - مجالات التربية والتعليم والثقافة على اختلاف أنواعها وأشكالها ١٩٩
٢ - مجالات الفنون المختلفة ٢٠٠
٣ - مجالات الصناعة والتجارة ٢٠١

http://kotob.has.it

٤ ـ فتنة الإختلاط ٢٠١
الفصل السابع : الإستشراق واللغة العربية الفصحى ٢٠٧
١ ـ أهمية اللغة العربية ٢٠٧
٢ ـ الإستعمار الغاشم ومحاربته للعربية الفصحى في ديارنا الإسلامية والعربية . ٢١٠
٣ ـ نظرة تاريخية إلى حركة التحويل عن الفصحى وفشلها ٢١٣
٤ ـ غزو الفصحى عن طريق العبث بقواعدها وإصلاح رسم الخط العربي ٢٢٨
ـ النيل من أسس قواعد العربية الفصحى ٢٢٨
ـ نصيحة إصلاح رسم الخط العربي ٢٣٣
ـ الرد على المستشرقين ٢٣٤
٥ ـ غزو الفصحى عن طريق صرف الإهتمام بالأدب العربي القديم والعناية بالأدب الشعبي ٢٤٣
٦ ـ دغدغة العواطف القومية القديمة للتحويل عن الإسلام واللغة العربية الفصحى ٢٥٠
٧ ـ غزو الفصحى بالمفردات الأجنبية الدخيلة ٢٥٤
٨ ـ ردود على مزاعم خصوم الفصحى ٢٥٦
٩ ـ كيف نتعامل مع أعداء اللغة العربية الفصحى ٢٥٩
الفصل الثامن: كيف نعود إلى إحياء تراثنا وحضارتنا بأقلامنا العربية ٢٦٧
ـ عصبة المشككين ٢٦٨
ـ عصبة المفتونين بحضارة الغرب الزائفة ٢٧٠
ـ عصبة المتقاعسين ٢٧٢
ـ عصبة الساعين لإعادة مجدنا العربي المجيد ٢٧٣
الفصل التاسع : ما هي أهم الخطوات التي علينا اتخاذها إزاء الإستشراق ٢٧٨
ـ مقدمة ٢٧٨
ـ فما هو موقفنا من الإستشراق ٢٧٩
ـ طرق للوصول إلى أهدافنا منها ٢٨٢
١ ـ إعداد موسوعة إسلامية للرد على المستشرقين ٢٨٢
٢ ـ إعداد دائرة معارف إسلامية بأقلام إسلامية ٢٨٦
٣ ـ إنشاء مؤسسة إسلامية علمية عالمية ٢٨٨
٤ ـ إنشاء جهاز عالمي ودار نشر عالمية للدعوة الإسلامية ٢٩٣

http://kotob.has.it

الخاتمة ٢٩٧
ملحق ٣٠٣
جدول رقم (١): المستشرقون المعاصرون ٣٠٣
جدول رقم (٢): الخطرون من المستشرقين ٣١٤
جدول رقم (٣): بعض الكتب الخطيرة ٣٢٠
جدول رقم (٤): أهم المجلدات التي يصدرونها ٣٢٣
فهرس المصادر والمراجع ٣٢٥

http://kotob.has.it